الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

منهج الشيخ محمد بن أطفيش في تفسيره تيسير التفسير

اعداد الطالب :

محمد مصطفى درويش الخواجا

اشراف فضيلة الدكتور

أحمد فريد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

أيار / ١٩٩٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٧ / ذي الحجة / ١٤٠٤هـ الموافق ١٨ / ٥ /١٩٩٤م وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم		التوقيع
الدكتور / أحمد فريد	مشرفاً .	
الدكتور / أحمد نوفل	عضواً .	
الدكتور / محمد الخطيب	عضواً .	

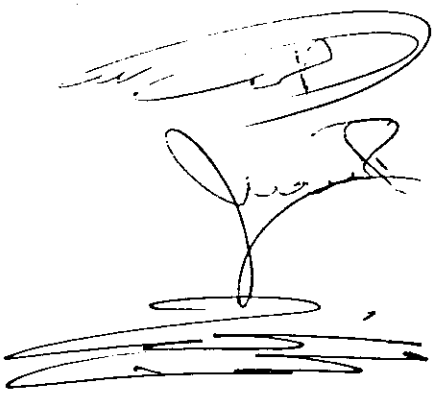

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره على ما أولانا من نعمة وتوفيقه ، ثم أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى استاذي الفاضل **الدكتور أحمد فريد** الذي أشرف على هذه الرسالة والذي كان له الفضل بعد الله (تعالى) في اخراجها فكم بذل من جهد وكبح من جماح ؛ فجزاه الله خير الجزاء

كما أتقدم بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة :

الدكتـور أحمـــد نوفـل

والدكتور محمد الخطيب

اللذين تفضلا بقبول مناقشتي وتوجيهي للصواب فلهما مني الدعاء ومن الله الأجر والثواب وأذكر بالفضل والعرفان فضل اساتذة كرام جلست إليهم على مدى سني دراستي وأخص بالذكر فضيلة استاذنا الدكتور فضل حسن عباس الذي وجهني لهذا الموضوع .

كما أشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة باسداء رأي أو إعارة مرجع أو نصيحة أو كلمة طيبة وأخص بالشكر الاخوة الإباضيين الذين لم يبخلوا علىّ بملاحظاتهم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
شكر وتقدير	جـ
فهرس الموضوعات	د
ملخص باللغة العربية	ز
الفصل الأول **الفكر الإباضي**	١
المقدمة	٢
المبحث الأول : نشأة المذهب الإباضي	٤
المبحث الثاني :الاباضية والفرق الاسلامية	١٢
المبحث الثالث: الأصول الأساسية عند الإباضية	١٨
المبحث الرابع : بعض المسائل الخلافية	٣٠
الفصل الثاني : **حياة الشيخ الإمام محمد إطفيش**	٣٥
المبحث الأول : نشأته ، وصفاته	٣٦
المبحث الثاني : نبوغ الشيخ وفكره ونشاطه	٣٨
المبحث الثالث : آثاره ومؤلفاته ووفاته	٤٥
الفصل الثالث : **مدخل إلى تفسير الشيخ محمد إطفيش**	٥٠
المبحث الأول : التفسير في القرن الرابع عشر الهجري	٥١
المبحث الثاني : حركة التأليف عند الإباضية	٥٦
المبحث الثالث : ندره الدراسات القرانية عند الإباضيه	٥٨
المبحث الرابع : تفاسير الإباضية القديمة	٦٠
المبحث الخامس : تفاسير الإباضية الحديثة	٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع :**دراسات في المنهج العام لهذا التفسير** ٧٥

المبحث الأول : مصادر الشيخ في تفسيره ٧٦

المبحث الثاني : موقف الشيخ من المفسرين السابقين ٨٥

المبحث الثالث : منهجه العام ٩٢

المبحث الرابع : التفسيرالمأثور.....٩٤

المبحث الخامس : موقفه من الإسرائيليات ١٠٤

المبحث السادس : اهتمامه بالأمورالتاريخية.....١١٩

الفصل الخامس: **قضايا علوم القرآن في هذاالتفسير**.....١٢١

المبحث الأول : أول ما نزل وآخر ما نزل ١٢٢

المبحث الثاني : أسباب النزول ١٢٤

المبحث الثالث: المناسبة بين الآيات والسور ١٢٨

المبحث الرابع: الناسخ والمنسوخ ١٣٠

المبحث الخامس: التكرار وموقفه منه ١٣٣

المبحث السادس: القراءات القرآنية ١٣٥

المبحث السابع : المحكم والمتشابه.....١٣٩

المبحث الثامن : إعجاز القرآن ١٤١

الفصل السادس : **منهجه العقدي في هذا التفسير**.....١٤٤

المبحث الأول : آراء الشيخ التي رجح فيها أصول مذهبه ١٤٧

المبحث الثاني : موقفه من الفرقالأخرى.....١٦٥

المبحث الثالث : تعرضه للديانات والعقائد الأخرى.....١٧٠

الفصل السابع:**القضايا اللغوية والبلاغية في هذا التفسير** ١٧٣

المبحث الأول: مسائل اللغة والنحو.....١٧٥

المبحث الثاني : البلاغة وفروعها ١٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثامن : **منهجه في الأحكام الفقهية** ٢٠٨

المبحث الأول : عرضه لبعض قواعد أصول الفقه ٢٠٩

المبحث الثاني : عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم ٢١١

المبحث الثالث : موقفه من المسائل الخلافية المذهبية ٢١٩

الخاتمة ٢٢٥

فهرس المصادر والمراجع ٢٢٩

ملخص الدراسة باللغةالإنجليزية.....٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

عنوان الرسالة : منهج محمد بن يوسف بن أطفيش في تفسيره تيسير التفسير

اعـــداد : محمد مصطفى الخواجا

اشـراف : الدكتور أحمد فريد

عنيت هذه الدراسة بتجلية منهج الشيخ محمد أطفيش أحد أعلام التفسير في القرنين الثالث عشر والرابع عشرالهجريين . في التفسير المُسَمّى (تيسير التفسير) . أعطت هذه الدراسة فكرة موجزة عن مذهب الشيخ الذي ينتمي إلى المدرسة الإباضية ، وهَدَفَتْ من ذلك بيان معالم الطريق منذ البداية من خلال النظرة المنهجية المتجردة.

كشفت هذه الدراسة عن جوانب هامة من حياة الشيخ فَعَرّفت به وبشـخصيته وأخلاقـه ، وآثاره ، وما قام به من أعمال فكرية ، وتربوية وجهادية خدمة لدينه ومذهبه.

احتوت على عرض موجز لتفاسير الإباضية على مدى تاريخهم حتى يومنا هذا ، فعرّفت بها وبمؤلفيها وبالطريقة التي تناولوا فيها القرآن بالشرح والتفسير وتناولت أهم المؤلفات التفسيرية في القرن الرابع عشر الهجري وما تميزت به.وسعت هذه الدراسة إلى إظهار الاتجاه الذي سلكه مصنف هذا التفسير ، والمنهج الذي ارتضاه ، واوضحت موقفه من التفسير بنوعيه : المأثور، والمعقول ، ومحاولة الجمع بينهما وأبانت عن السمة الغالبة على منهج الشيخ وهي الاستقصاء والتوسع في المسائل التي يبحثها . وأبانت هذه الدراسة عن مدى تأثره بمن سبقه من المفسرين ، وكيف تعامل معهم ، وما هي المآخذ التي سجلت عليه ، وما هي المجالات التي أبدع فيها .

ركزت هذه الدراسة على القاعدة الفكرية التي انطلق منها الشيخ في معالجته لجميع القضايا التي تطرق إليها، وعلى تحرير الآراء التي جاء بها ، ومدى اعتماده في ذلك على نصوص الكتاب العزيز ، وتحدثت عن مدى اهتمامه بمسائل علوم القرآن الكريم ، واهتمامه بقضايا اللغة والنحو واعتماده عليهما اعتماداً كبيراً ، وأوضحت عن مدى معالجته للقضايا الفقهية والتزامه بمذهبه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتهت هذه الدراسة إلى أن الشيخ مفسر جامع يحاول أن يساير المدرسة الحديثة في التفسير ، وينسج على منوال من سبقه من المفسرين وأوضحت أن الشيخ كان داعية لمذهبه مما لم يجعله موضوعيا تماماً ـ أحياناً وتفسيره ينم عن سعة اطلاعه وتبحره في العلوم المختلفة ، ومع ذلك فهو ليس سهل القراءة من ناحيتي المضمون ، والشكل ؛ فلا يصلح لمختلف المستويات من القراء . والفئة التي يمكن أن تستفيد منه هم المتخصصون في هذا العلم .

والحمد لله في الأولى والآخرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
الفكر الإباضي

وفيه المباحث التالية :

المقدمة

المبحث الأول :

نشأة المذهب الإباضي .

المبحث الثاني :

الاباضية والفرق الاسلامية

المبحث الثالث :

الاصول الاساسية عند الإباضية

المبحث الرابع :

بعض المسائل الخلافية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

الحمدلله رب العالمين وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن اهتدى بهدية واتبع سنته إلى يوم الدين .

وبعد ،،

فإن خير الأعمال الاشتغال بالعلم الديني ، وأفضله وأعظمه بركة ، معرفة أعظم كتاب عرفته الإنسانية ، إنه كتاب الله تعالى ، الذي لم يكن للامة الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنا ملاذ يحمي بقاءها ، وتحقق به وجودها غيره والذي التحمت به قلوب المؤمنين على تنائي الديار وتباعد العصور وتفاوت الأفكار على نور من الله ابتغاء مرضاة الله .

فكرة الدراسة : بعد إتمامي للمواد الدراسية ، حان الوقت لأن أكتب بحثا ، فأخذت أبحث عن موضوع يكون موضوعا لرسالتي ، وبعد البحث المتواصل ، والجهد المستمر ، والاستشارة المتكررة لاساتذتي الأفاضل وقع الاختيار على تفسير (تيسير التفسير) للشيخ محمد أطفيش ؛ وذلك للأسباب الآتية : ـ

أولا : غياب الدراسات العلمية المنهجية حول فرقة الإباضية التي لا تزال مجهولة عند الكثير إلى الآن .

ثانيا : دراسة المنهجية الإباضية في التفسير ، ومحاولة التعرف على الطريقة التي تناولت فيها القرآن الكريم بالشرح والتفسير ، والإضافات التي أضافتها للمكتبة القرآنية .

ثالثا : ثراء نتاج المؤلف وغزارة علمه ومنزلته في دنيا مذهبه ، وأثره البارز في الدعوة والإصلاح ، لهذه الأسباب وغيرها تم اختياري لهذا الموضوع.

أما الطريقة التي اتبعتها في هذه الدراسة ، فبعد أن تمت الموافقة على هذه الرسالة شمرت عن ساعد الجد والمثابرة وبدأت في جمع وإحضار المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع البحث، والاطلاع على فهارس المكتبات العامة والخاصة ، وراسلت المراكز والجامعات والسفارات داخل المملكة وخارجها ثم قمت بدراسة ما جمعته وتتبعت آراء الإباضية الأصولية في كتبهم المعتمدة والكتب المساندة التي نقلت آراءهم ثم قمت بتحليلها وتقويمها واستخراج النتائج منها .

أما خطة البحث فهي مكونة من مقدمة وثمانية فصول وخاتمة على النحو التالي : ـ

المقدمة اشتملت على فكرة الدراسة وأسباب اختيارها وخطة العمل فيها .

أما الفصل الأول : فجاء في الفكر الإباضي .

الفصل الثاني : حياة الشيخ محمد أطفيش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : مدخل إلى تفسير محمد أطفيش .

الفصل الرابع : دراسات في المنهج العام لهذا التفسير .

الفصل الخامس : قضايا علوم القرآن في هذا التفسير .

الفصل السادس : منهجه العقدي في هذا التفسير .

الفصل السابع : منهجه في مسائل اللغة والنحو .

الفصل الثامن : منهجه في عرض الأحكام الفقهية .

أما الخاتمة فقد أشرت فيها إلى بعض ما سجل على الشيخ من سلبيات وما سجل له من محامد ومحاسن ثم ذكرت بعض التنبيهات والاقتراحات .

أما العقبات التي اعترضت سبيلي في هذا البحث فإنها غيريسيرة فلم يكن اخراج منهج الشيخ أطفيش أمراً سهلاً ، ولا المغامرة في قراءة تفسير ه ومراجعة مادته نزهة في بستان فقد كلفني الكثير من الجهد والوقت وأهم هذه العقبات تعود إلى : -

١- قلة الدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع ، فلم أجد أمامي أثراً أتبعه .

٢- أن أكثر المصادر والمراجع الواجب الاطلاع عليها لم يكن الحصول عليها سهلاً .

٣- سوء اخراج الكتاب وطباعته فهو يفتقد عنصر الترتيب وجاء مشحونا بالاخطاء المطبعية والنحوية ، ويخلو من الضبط وعلامات الترقيم ، وكأنه مسودة لم تبيض أو مخطوط بحاجة إلى تحقيق ، زد على ذلك أسلوب الشيخ وصعوبة عباراته التي يحاكي فيها النحاة القدامى والتي لا تخلو من تكلف فلا يستطيع القارئ الوصول إلى فهمهما إلا بعد عناء ومشقة.

وأخيرا فإن ما بذلته من جهد في هذه الرسالة فهو قدر الوسع والطاقة فما كان منه صوابا فهو من الله وحده وما كان خلافه فأسأل الله أن يغفر لي والكمال لله وحده . وحسبي أن أقول في ختام هذا البحث أن الكلام في التفسير والحكم على مفسريه دين يحاسب المسلم عليه. لذلك ؛ يشهد الله أني ما أردت إيثار مسلك أو مذهب معين ، وإنما سلكت في هذا البحث اسلوب البحث العلمي المتجرد ، وسيطر عليه روح البحث عن الحقيقةوالصواب في الرأي .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يقع هذا البحث موقع القبول لكل من يقف عليه ويقرأ فيه . ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه إنه جواد كريم .

والحمد الله رب العالمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : نشأة المذهب الإباضي

تمهيد : حول موضوع الخلافة اختلطت مفاهيم العقيدة بقضايا السياسة ، فكان لا بد لكل من رام البحث في تاريخ الفرق الإسلامية ، أن يبحث هذه المسألة ،

* فكيف تم إختيار الخلفاء الراشدين الأربعة ؟ .

تكاد الروايات تجُمع على وقائع اختيار الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - فعندما التحق النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى ، واختاره الله تعالى لجواره، ولم تمض تلك الليلة ، وقبل أن يوارى جسده الطاهر، وتجف الدموع في المآقي ، تمت البيعة لأبي بكر(١) واختاره أهل الحل والعقد، بطريقة الإنتخاب المباشر. بينما كان إختيار عمر(٢) - رضي الله عنه - عن طريق ترشيح أبي بكر له ، وموافقة الأمة على هذا الترشيح . ولما قضى الفاروق ، تم اختيار عثمان - (٣) رضي الله عنه - من بين عدد من الأشخاص الذين رشحهم عمر - رضي الله عنه - ممن توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ . وبعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - ؛ أختير علي (٤) - رضي الله عنه - عن طريق البيعة العامة له من أهل الحل والعقد، وجمهور المسلمين ، ثم أُرسل بالبيعة إلى الآفاق والأمصار، فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام ، والزعم أن طلحة والزبير - رضي الله عنهما - لم يدخلا في البيعة ، أو بايعا مكرهين فلا سند له ولا حقيقة. (٥).

بوادر الخلاف والأصول التاريخية للخوارج :-

قام الإمام علي بإجراء تنظيمات إدارية لإعادة الاستقرار والأمن ، وتم له ما أراد إلا ما كان من أهل الشام ، ووواليها معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - الذي كان قد وطّدحكمه وبسط نفوذه في الشام ، ثم أخذ يطالب بالاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يمهل الإمام علياً طويلا (٦).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الإبياري ،عبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث ٣٨/٤. وسيشار إليه فيما بعد بسيرة ابن هشام ، البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير تحقيق مجموعة من العلماء ،دار الكتب العلمية بيروت ٣٠٥/٦ وسيشار إليه فيما بعد بالبداية والنهاية، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبي ،دار الكتاب العربي ٦/١ وسيشار إليه فيما بعد بتاريخ الإسلام .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المطبعة الحسينية المصرية بيروت ١٣٣/٦ وسيشار إليه فيما بعد بتاريخ الطبري ، البداية والنهاية ١٨/٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣٣/٥ ، تاريخ الإسلام الذهبي ٣٠٥/٣.

(٤) تاريخ الطبري ١٥٢/٥ ، البداية والنهاية ٢٣٧/٧.

(٥) تاريخ الطبري ١٥٨/٥.

(٦) المصدر السابق ١٦٣/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرت بينهما مفاوضات ، ولكنها باءت بالفشل ، والتقى جيش علي ، وجيش معاوية في صفين (٣٦هـ - ٦٥٧م). واستعرت الحرب ، وكثر القتل في جيش معاوية ، ولاحت إمارات النصر لجيش علي ، ونادى الصحابي عمرو بن العاص في جيش معاوية : من كان معه مصحف فليرفعه. وأحب بعض أهل العراق الموادعة ، ورفض علي ذلك ؛ ولكنه اضطر في النهاية إلى قبول التحكيم نزولا على رغبة الغالبية العظمى ممن كانوا معه، وإن لم يقتنع به (١) وهناك وجهة نظر لمؤرخ إباضي ؛ (٢) إذ يرى أن رفع المصاحف مؤامرة دبرها عمرو بن العاص ، ومعاوية ، والأشعث بن قيس ، وأن الأشعث أجبر عليا على قبول التحكيم ، وأنه هو الذي اختار أبا موسى الأشعري حَكَمًا ، ويرى أن الأشعث هو أصل كل اضطراب ، وفساد كما نص على ذلك ابن أبي الحديد.(٣) ونعود لما قرره كتّاب أهل السنة، فبعد قراءة كتاب التحكيم ظهر نزاع في جيش علي حول صيغة التحكيم. (وتباغض القوم وتسابوا ، وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض).(٤) ثم أمر علي بالرحيل إلى الكوفة ، ولحق معاوية بالشام ، ولما دخل علي الكوفة أنكر عليه بعض من جيشه التحكيم ؛ بعد أن رأوا أنه لم يوقف القتال ، وظهرت بدايات تمرد من قبل بعض الجيش ، ورفعوا شعارا صاغوه حين ذاك:(لاحكم إلا لله) وطالبوا عليا أن يتوب كما تروي ذلك كتب أهل السنة وكتب الإباضية . (٥) ثم أخذ الأمر يتجاوز هذه القضايا حين حصل أخطر شقاق وأقصى نزاع ظهر في حياة المسلمين بعد معركة صفين ، وانعزلت جماعة من الجيش ونزلوا حروراء ، (٦) وكانوا على ما رواه ابن كثير (٧) ستة عشر ألفا أو اثني عشر ألفا.

---

(١) وهذه وجهة نظر الإباضية ، وهي تتفق إلى حد كبير مع روايات أهل السنة والنصوص التاريخية، فعلي - رضي الله عنه - كان يدرك أن طلب التحكيم خدعة من قبل الشاميين ولكن جيشه ألح عليه بذلك وقال قائلهم كما رواه شيخ المؤرخين الإمام الطبري: (يا علي أجب إلى كتاب الله عزوجل إذا دعيت إليه ، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان) تاريخ الطبري ٢٧/٦.

(٢) الخوارج هم أنصار الإمام علي للشيخ سليمان بن داود بن يوسف ، دار البعث الجزائر ص ٨٢ ، ص ١١٧.

(٣) نهج البلاغة لابن أبي الحديد (وهو مؤرخ فيه نزعة إلى التشيع) تحقيق لجنة إحياء الذخائر بيروت ٤٦٨/١.

(٤) أنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر الطبعة الرابعة ٤٠٤/٢ .

(٥) أنظر تلبيس إبليس للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ،دار الفكر ص ٩٣، نهج البلاغة ٤٦٠/١.

(٦) قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها / معجم البلدان ياقوت الحموي ٢٤٥/٢.

(٧) البد اية والنهاية ٢٩٠/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأت المفاوضات والمناظرات بين علي - رضي الله عنه - وعناصر الانفصال ، وتبادل الفريقان الوفود أملاً في إيجاد حل ، إلا أن هذه العناصر قررت عدم الاعتراف بشرعية الإمام علي ، واستمروا على ضلالهم كما وصفهم الحافظ ابن كثير،(١) ثم اختاروا أميرا لهم وتجمعوا في النهروان ؛ (٢) فخرج إليهم الإمام علي وناقشهم ،فلم يستجيبوا ، واستحلوا دماء المسلمين فقاتلهم الإمام علي ، ولم ينج منهم إلا قلة قليلة.وقرروا الانتقام من علي ، فنال الشهادة - رضي الله عنه - على يد واحد منهم سنة (٤٠ هـ = ٦٦٠م) (٣).

حكم المسلمين على الخوارج ومن دان بقولهم : -

نقل الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن بطال والخطابي وغيرهما : أن المسلمين أجمعوا على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأنهم لا يكفرون ، ماداموا متمسكين بأصل الإسلام . (٤) وقرر ابن تيمية ؛ أن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيهم علي - رضي الله عنه لم يكفروا الخوارج .

---

(١) البداية والنهاية ٧/٢٩٠

(٢) بالفتح وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي معجم البلد ان ٣/٨٩٤.

(٣) ويرفض صاحب كتاب (الخوارج هم أنصار الإمام علي) ما نسب إلى الخوارج من استحلال دماء المسلمين ، وقتل الإمام علي ، ويرى أن الذي هجم على أهل النهروان ليلاً وهم رقود، الأشعث بن قيس، عندما رأى أن عليا مُصِرٌ على مواصلة الحرب مع معاوية.ويرى أن اغتيال علي مؤامرة دبرها الأشعث بن قيس، وأن الخوارج برآء من دم علي .

وما ذهب إليه مصنف هذا الكتاب لا دليل عليه ، ولم يرد عند المؤرخين المتقدمين المشهورين، ولم أرَ أحداً من أهل التاريخ نقله وصاحب هذا الكتاب لم يعطنا مصدراًمتقدما أخذ منه هذا ، والأصل في هذه الروايات أن نقف عندها ونمحصها ، فجميع كتب التاريخ تذكر أن الذي قتل علياً هو (ابن ملجم) أمابالنسبة للأشعث وإتهامه بتدبير المؤامرة لقتل علي فلم أر كذلك أحداً من المؤرخين وكتاب الفرق أشار إلى ذلك ولو كان حصل شيء من ذلك لذكره المؤرخون ولم يتغافلوا عنه بل الذي يذكرونه أن الذي صلى عليه بعد وفاته هو الحسن بن علي فلو كان عند الحسن شبهةً في تورط الأشعث في اغتيال أبيه لما صلى عليه وقد ذكر (فلهوزن) أن هذه تهمة جاءت نقلاً عن المستشرقين وهو منهم وحسبو تخميناتهم وقائع وحقائق ولهذا لاقيمة لرواياتهم ، ويرى أن الأشعث كان يمثل دورة الوساطة بين علي ومعاوية. أنظرأحزاب المعارضة في صدر الإسلام (فلهوزن) .أنظر ترجمة الأشعث : التاريخ الكبير ١/٤٣٤،الإصابة ١/٥١أسد الغابة ١/١١٨

(٤) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر ، المكتبة السلفية ١٢/٣١٤ ، وسيشار إليه فيما بعد بفتح الباري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وناقش من يقول بتكفيرهم .(١) ولعل مفتاح الحكم على الخوارج ما نسب إلى علي - رضي الله عنه - حين سُئل عن أهل النهروان . أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيـل : أمنافقون. قال : إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا ، فقيل : فما هم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم (٢) وهناك من العلماء من صرح بكفر الخوارج واستدلوا بظاهر الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله يقول : (يخرج في هذه الامة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي الى سهمه فيتمارى في الفوقية هل علق بها من الدم شيء) وقد أحتج بهذا الحديث كذلك من لم يقل بتكفيرهم فبعد أن وصفهم الحديث بالمروق من الدين قال ينظر الرامي الى سهمه فيتمارى (لأن التماري من الشك وإذا وقع الشك في ذلك لم يقطع عليهم بالخروج من الاسلام لأن من ثبت له عقد الاسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين)(٣) والذي يبدو - والله أعلم - أن الخوارج لا يكفرون - وإن أخطاؤا - ؛ لأنهم مُقرونَ بالشهادتين ، إلا إذا أنكروا معلوما من الدين بالضرورة ، وإن بغوا وأفسدوا قوتلوا ببغيهم وإفسادهم .

نشأة الإباضية : -

كانت معركة النهروان المعركة الوحيدة التي اجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة. وبعد ذلك تفرق شملهم ، وانقسموا على أنفسهم ، وأصبحت ظاهرة الانشقاق مألوفة لديهم ، وتميَز كل فريق منهم برأي ، وقامت جماعا ت منهم بثورات متعددة ، وتصاعد نشاطها ضد بني أمية ؛ إلا أنها لم تستطع أن تحقق أهدافها التي كانت تنشدها.

(وكانت هناك جماعة انشقت بعد النهروان ، وسكنت البصرة، وآثرت السلم لعرض أرائها ، وقد تزعم هذه الجماعة أبو بلال ابن أُديّةَ ، (٤) وكونت البذرة التي أنتجت ما عرف في التاريخ الإسلامي بالفرقة الإباضية) (٥) . أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها، وأعلامها ، وأتباعها ؛ فكان ذلك تدريجيا استلزم عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبدالله بن

---

(١) المنتقى في منهاج الاعتدال ابن تيمية ، اختصره الحافظ الذهبي - حققه محب الدين الخطيب، ٣٣٤.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب قتال أهل البغي ١٧٣/٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٦/١، واورداه في معركة الجمل ، أما ابن كثير فأورده في أهل النهروان البداية والنهاية ٣٠٠/٧٢ ، وقال : هذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

(٣) فتح الباري رقم الحديث (٦٩٣١) ٣١٤/١٢

(٤) ابن أدية هو أبو بلال مردا س بن جدير بن عامر بن كعب التميمي ابن أدية وأدية أمه ، شهد صفين مع علي - رضي الله عنه - وأنكر التحكيم وشهد النهروان ، توفي سنة ٦١ هـ ، لسان الميزان ٦/ ١٤ ، الأعلام ٧/ ٢٠٢.

(٥) نشأة الحركة الإباضية د. عوض محمد خليفات ٦٤ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إباض صراحة رفضه الخروج مع المتطرفين ، بعد لقاء (١) عبدالله بن الزبير سنة (٦٥هـ = ٦٨٤م) .وهذا الموقف تذكره كذلك كتب الإباضية (٢). أما التأسيس والتنظيم لهذه الفرقة فقد كان على يد الامام جابر بن زيد الذي انضم الى جماعة أبي بلال بعد مجيئه إلى البصره ، وممن كان لهم دور أساسي في تنظيم الحركة الاباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فقد انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة الامام جابر ، واستطاع أن يضع للاباضية تنظيماً سرياً خاصاً ، واتبع سياسة اللين والاعتدال في الدعوة وحظي بثقة الحكام الامويين ، ومنهم كذلك الربيع بن حبيب الذي أصبح زعيماً للمذهب بعد وفاة أبي عبيدة (٣).

سبب التسمية : على الرغم من اضطراب المعلومات حول تسمية الإباضية بهذا الإسم ، إلا أن أغلب المصادر التي ترجمت لهذه الفرقة ، تشير إلى أنها سُمِيت بهذا الإسم نسبة إلى عبدالله بن إباض ،(٤) وابن اباض نفسه ، إضْطَرَبَ المؤرخون في سيرته، ولم تورد له كتب التراجم ـ الإباضية وغيرها ـ إلا معلومات يسيرة ، فلا يعرف بالتحديد سنة ولادته، ولا وفاته، ولا مكانهما ولا كيفية انتسابه إلى هذا المذهب ، وأول إشارة صريحة إلى عبدالله بن إباض ، كانت اشتراكه في الوفد الخارجي ، الذي توجه إلى الحجاز لمشاركة عبدالله بن الزبير في حربه ضد بني أمية ، على الرغم من اختلافهم معه في المبادئ. وعلى أي حال ؛ فإن ابن إباض كان أكثر ظهورا في الميدان السياسي من غيره. بل الناطق الرسمي باسم هذه الفرقة ، والمسؤول عن مخاطبة الأمة بفكر مذهبه، والمباشر للصراع الفكري مع الحركات الأخرى ، فارتبطت هذه الجماعة باسمه وانتسبت إليه . (٥) ورغم ارتباط هذه الجماعة باسمه فإنهم لا يرونه إمامهم المؤسس ، وأما المؤسس الحقيقي

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٤٣.

(٢) العقود الفضية في أصول الإباضية سالم بن حمد الحارثي ١٢٢.

(٣) الامام جابر وآثاره في الدعوة ـ الصوافي ١٦٩-١٧٥ باختصار.

(٤) انظر : طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العبا س أحمد بن سعيد الدرجيني ، تحقيق ابراهيم طلاي ، وهو كتاب في ترجمة مشايخ الإباضية ـ وسيشار إليه فيما بعد بطبقات الدرجيني وقد عد الدرجيني عبدالله بن إباض من رجال الطبقة الثانية وهم الذين عاشوا ما بين (٥٠ ـ ١٠٠ هـ) ٢١٤/٢ ، وقال عنه صاحب كتاب (إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء /سالم بن حمود بن شامس السيابي ـ تحقيق د : سيدة اسماعيل كاشف) : كان رجلا عراقيا أصله من تميم وله مراسلات مع عبد الملك بن مروان ص ٤٩. وذكره الزركلي في الاعلام ٤/ ١٨٤.

(٥) إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذه الفرقة في المصادر الإباضية فهو : جابر بن زيد (١) أس المذهب ، والإمام الروحي ، والعقل المخطوط؛ (الشخص الذي بلور الفكر الإباضي بحيث أصبح متميزا عن غيره من المذاهب) (٢) وإذا كان الإمام جابر بن زيد بهذه المكانة ، فلماذا لم ينسب إليه المذهب ؟.

يحاول مؤرخو الإباضية الإجابة على هذا السؤال، بأن عبدالله بن إباض :

اشتهر بمواقفه الكلامية والسياسية . يقول السيّابي : (... كانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها أهل الحق فعرفوا به) (٣)

ويقول المؤرخ الإباضي محمد علي دبوز : إن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر بن زيد ، حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار ، ولا يبدون في هالة جابر المشرقة فتميل إليهم النفوس ، فنسبوهم إلى ابن إباض ، وهو أقل منزلة من جابر في العلم ...) (٤)

ويرى باحث ثالث ؛ أنه كان يستخدم أسلوب التقية (٥) ، فكان يعمل بالخفاء ؛ لأن أي أمر يكشف ولاءه للإباضية فإنه يعرضه للخطر . ومما يجدر التنبيه إليه أن بعضاً من مصادر أهل السنة تورد بعض الروايات تنفي فيها علاقة الامام جابر بن زيد بالاباضية ، ملاخصها (أنه قيل لجابر إن الإباضية يزعمون أنك منهم فقال : أبرأ الى الله منهم) (٦).

وإن صحت هذه الروايات فلعله قال ذلك تقية ، وإلا فانه لا يمكن لباحث أن يقطع الصلة بين جابر بن زيد والاباضية فمعظم مصادر الفرق الاباضية وغير الاباضية تعتبر جابر بن زيد أحد اسلاف الاباضية (٧).

---

(١) هو جابر بن زيد الأزدي البصري المعروف بأبي الشعثاء والشعثاء ابنته ، ولد في عُمان سنة (٢١ هـ) كان من أبرز التابعين تلقى العلم عن عبدالله بن عباس وقال فيه : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر لاوسعهم علما ، وثقه ابن معين وأبو زرعة، وروى له البخاري ومسلم في صحيحيها ويقال إن له كتابا يسمى (ديوان جابر) ضمنه آراءه وفتاويه وهو مفقود توفي سنة ٩٣ ،وقيل ٩٦ ، وقيل ١٠٣.

انظر ترجمته : التاريخ الكبير ٢٠٤/١ ، تهذيب التهذيب ٣٤/٢ ، تذكرة الحفاظ ٧٢/١ الاعلام ١٠٤/٢ ، طبقات الدرجيني ٢٠٥/٢ ، الإمام جابر بن زيد وآثاره صالح الصواف .

(٢) نشأة الحركة الإباضية ـ عوض خليفات ص ٨٠.

(٣) إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص ٥٦.

(٤) تاريخ المغرب الكبير محمد علي دبوز ٣٩٨/٢ .

(٥) الإمام جابر بن زيد وآثاره ـ الصواف ١٤٨ ، والتقية عندهم جائزة ، وليست واجبه (منهج الطالبين) ٤٨٢/٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٣٨/٢.

(٧) مقالات الاسلامية ١٥١ نهج البلاغة ٧٦/٥ الدرجيني ٢٠٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما يجدر التنبيه إليه أن هناك اختلافا في لفظ الهمزة فبعضهم يفتح همزة (أباض) فتصير النسبة والتسمية (الأباضية) والبعض الآخر يكسر همزة كلمة (إباض) فتصير التسمية (الإباضية)(١)

وأخيرا : فقد كان عليّ أن أُقدم هذه الكلمات الموجزة ، وأن القي نظرة سريعة ، وفكرة مختصرة عن الملامح التاريخية لهذه الفرقة ونشأتها وأنا بسبيل البحث في منهج تفسير إمام من أئمة هذه الفرقة، دون الدخول في قضايا وتفصيلات قد تخرجنا عن أصل الموضوع .

(١) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز ـ سالم بن حمود السيابي ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
الإباضية والفرق الإسلامية الأخرى

أ- الإباضية والخوارج .

ب - الإباضية والمعتزلة .

جـ - الإباضية والشيعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني :الإباضية والفرق الإسلامية

فرق الاسلام جميعها على اختلاف مناهجها وتباين مدارسها خدمت الفكر الاسلامي وساهمت في إغنائه ، والحق ليس حكراً على أحد والرأي مشترك ، والذم يلحق كل من لا يطلب الحق أو يطهر له فيعرض عنه ، وهذه إشارة عجلى لعلاقة الاباضية مع بعض الفرق الاسلامية .

١ـ الإباضية والخوارج .

إن مسألة التفريق بين الإباضية ، والخوارج مسألة قديمة حديثة تعددت فيها الآراء ، واختلفت فيها المآخذ ، والمشارب ، حتى في المذهب الإباضي نفسه . والحديث في هذه المسألة يطول ، ولكن الذي أود الإشارة إليه أن موضوع اللبس جاء من تحديد مفهوم الخوارج. فأهل السنة يرون أن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة فهو خارجي (١) . قال الأشعري :(والسبب الذي سموا به خوارج خروجهم على علي (٢)) .

أما عند الإباضية فالخروج هو : المروق من الدين . أما الخروج على الإمام فلا يعتبرونه خروجا. والخوارج في نظر الإباضية هم الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروهم ، وأبطلوا آيات الكتاب فهم خوارج ؛ لأنهم فعلوا ذلك لا لأنهم انفصلوا عن علي (٣).

يقول أحدهم : والخروج عن الإسلام يكون بإنكار الثابت القطعي ، وأكثر الفرق الإسلامية إلى هذا المعنى هم الأزارقة ، ومن ذهب مذهبهم . أما أصحاب المقالات ومؤرخو المذاهب الكلامية في القديم والحديث ، فإنهم يعدون الإباضية فرقة من فرق الخوارج (٤) .أما الإباضيون وخاصة المتأخرون منهم ، فإنهم يعلنون براءتهم من الخوارج ، ويغضبون حين يسمعون أحدا ينسبهم إلى الخوارج (٥). ويعتبرون أن إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية أهل الحق من الدعايات التي نشأت عن التعصب السياسي ، والمذهبي.ويقول علي يحيى معمر : (إن توافق رأي الإباضية مع الخوارج في نقطة لا يجعل الإباضية خوارج ، ولا الخوارج إباضية (٦) .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١٤/١ ـ الملل والنحل لابن حزم ٤/٢. (٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٥. (٣) الإباضية في موكب التاريخ . علي يحيى معمر ٣٤/١.

(٤) مقالات الإسلاميين الأشعري ١٠٢ ، الفرق بين الفِرَق للبغدادي ٧٢، التبصير في الدين الإسفرايني ص ٢٢، تاريخ المذاهب محمد أبو زهرة ٩١/١، دائرة المعارف الإسلامية ١٣/١ .

(٥) اسلام بلا مذاهب ، مصطفى الشكعه ١٣٢. (٦) الإباضية في موكب التاريخ ٢٧/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يتبين لنا أن الإباضية في مصطلح أهل السنة يدخلون ضمن فرق الخوارج. أما في اصطلاح الإباضية أنفسهم ، فلا يصنفون ضمن فرق الخوارج.

ولا بد هنا من وقفة يسيرة مع هذا الموضوع .هناك رسالة (١) بعثها من ينتسب إليه المذهب وهو عبدالله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان ، وهذه الرسالة ترسم الخطوط العريضة للمذهب الإباضي ، وتشمل الإنكار على عثمان، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وتأييد أهل النهروان ، ويوافق الخوارج في خروجهم . ثم يقول : يشهد الله ، والملائكة ، انا لمن عاداهم أعداء ولمن والاهم أولياء ، نعيش على ذلك ، ونموت عليه، ونبرأ من الأزرق ، وصنيعه ، واتباعه . (٢) وقد وضع ابن حزم قانونا ضابطا لمعرفة الخوارج. فقال: (ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكبائر ، وتخليدهم في النار ، والقول بالخروج على أئمة الجور، والإمامة جائزة في غير قريش، فهو خارجي (٣). وللحقيقة وبعد دراسة واطلاع على ما كتبه مؤرخو أهل السنة، والإباضية على السواء ، وليس مسايرة لأحد، ولا تعصبا لمذهب ، ومن خلال الإطار الذي خطه عبدالله إباض ، والقانون الذي وضعه ابن حزم. وللجذور التاريخية، ولربط الإباضين أنفسهم بأهل النهروان ـ وهم نواة الخوارج ـ . فإن الباحث لا يستطيع أن يخرج الإباضية من فرق الخوارج.وان اختلف المذهب فيما بعد.وهذا الاعتقاد هو القائم عند المؤرخين الذين أرخوا لهذه الفرقة بشكل عام. ومحاولات التفريق بين الإباضية ، والخوارج يقوم بها غالبا الكُتّابْ الإباضيون أنفسهم. ويبدو أن الإباضية أحيانا يعترفون بهذا الوصف . ويقبلونه، ولكنهم يميزون أنفسهم عن المتطرفين . (بإطلاق لقب خوارج الجور على المتطرفين)(٤). وفي ثنايا تفاسير الشيخ محمد أطفيش نحصل منه على اعتراف صريح ؛ بأن أصل الإباضية فرقة من فرق الخوارج. فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ... ﴾ البقرة آية (٣) يقول : (واختلفوا ـ الخوارج ـ وهم الذين خرجوا على ضلالة علي ، فقالت الإباضية الوهبية ، وسائر الإباضية) (٥) وفي تيسير التفسير قال :(ولماقال الصفريةوالنجدية ،

---

(١) لم أطلع على أحد ذكر هذه الرسالة من مؤرخي أهل السنة.

(٢) نشأة الإباضية نقلاً عن الجواهر المنقاة ١٧٢ ـ ١٨٠ .

(٣) الملل والنحل ـ لابن حزم ١١٣/٢، الفرق بين الفرق ـ البغدادي ٧٣.

(٤) نشأة الحركة الإباضية د. عوض خليفات ص ٨١.

(٥) همیان الزاد إلى دار المعاد ١٩٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأزارقة بتحليل الدماء والأموال بالذنب خرج عنهم الإباضية الوهبية) . (١) فالواضح من نص الشيخ أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج ، وإن انفصلت عنهم فيما بعد.

ب ـ الإباضية والمعتزلة (٢)

يكاد كتاب الفرق ومؤرخو المذاهب أن يجمعوا على تشابه الفكر الإباضي ، مع الفكر المعتزلي في أهم الأصول العقائدية ، والسياسية ، والفكرية. حتى لا يكاد يمكن التمييز بينهما، مما جعل القدماء يصفون المعتزلة بوصف فيه لمزٌ بهم (٣) . وقد قرر المستشرق الإيطالي نيلنو (ت ١٩٣٨) الصلة بين المعتزلة، والإباضية وأورد شواهد على توافق الفكرين في أهم المسائل ومنها : مسألة خلق القرآن، ومسألة الرؤيَة ، والوعد والوعيد ، وتأويل آيات الصفات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الإمامة، وإنكار الشفاعة، ويلتقيان في تخليد أصحاب الكبا ئر في النار.(٤) ومع هذا التوافق والالتقاء إلا أنه كان هناك صراع فكري بين علماء المعتزلة، وعلماء الإباضية. قام على المناقشات الكلامية ، والمساجلات العلمية ـ خاصة ـ حول المسائل الخلافية، ومن أهمها : مسألة القدر ، وحرية العبد في أفعاله ، والمنزلة بين الإيمان والكفر. وكتب تأريخ الإباضية تذكر ما جرى بينهم، وبين المعتزلة من مناظرات، ومساجلات.(٥) وكثيرا ما تعرض لهم الشيخ محمد أطفيش في تفسيره وذمهم. (٦) وهنا لا بد أن نتساءل : أي الفريقين تأثر بالآخر؟ . يرى البعض أن الإباضية هم الذين تأثروا بفكر المعتزلة . يقول الأستاذ أحمد أمين عن الإباضية : (ولهم أصول كلامية متأثرة إلى حد كبير بمذهب المعتزلة)(٧) .وقال الملطي : (.. وقد ظهر فيهم مذهب الإعتزال ، فمنهم من

---

(١) تيسير التفسير ٣٧٦/١٢

الصفرية : سموا بذلك نسبة إلى رئيسهم زياد بن الأصفر ، الفرق بين الفرق ص ٩٠.

النجدية : أتباع نجدة بن عامر الحنفي ، الفرق بين الفرق ص ٧٨

الأزارقة : وهم اتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي وهم أكثر الخوارج عددا ، الفرق بين الفرق ص ٨٢.

(٢) في تسميتهم المعتزلة آراء كثيرة منها : أن واصل بن عطاء كان تلميذا للحسن البصري فاختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة فاعتزل مجلسة وصار أس المعتزلة فقيل له ولاتباعه (معتزلة) الفرق بين الفرق البغدادي ص٢١.

(٣) وهو أنهم (مخانيث الخوارج) التبصيرفي الدين الأسفرايني ص ٤١ ، الفرق بين الفِرَق ص ١١٩.

(٤) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين ، ترجمها وألف بينها عبد الرحمن بدوي ٢٠٤ ـ ٢١٠.

(٥) طبقات الدرجيني ـ ٢/ ٢٤٦.

(٦) سيمر شيء من ذلك في الفصل السابع.

(٧) ضحى الإسلام ٣٣٣/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترك مذهبه وقال بالاعتزال)(١) وهناك رأي آخر يقرر ، أن المعتزلة ، هم الذين تأثروا بالإباضية يقول أحد علمائهم /وأما المعتزلة فغالب مذهبهم في الأمة مكتسب من مذهب الخوارج (٢)) (أما ابن الجوزي فيرى ؛ أن المعتزلة كانت لهم أقوال معتمدين فيها على ما أخذوه من الخوارج)(٣). ويستشهد الإباضية بتلقي المعتزلة الفكرة منهم بسبق نشأتهم بدليل أن إمام الإباضية متقدمٌ على إمام المعتزلة وعليه فإن فلسفة الإباضية تبلورت قبل أن يظهر واصل بن عطاء ومذهبه .(٤).

والحقيقة أن النشأة التاريخية لم تكن يوما من الأيام دليلا على التبعيّة الفكرية ، ثم إن الفرق جميعها ـ وعلى اختلاف مسالكها ـ لم يستقل أمرها، ويكن لهم أقوال كلامية شاملة مقعّده حتى بداية القرن الثاني الهجري. ويبدو ـ والله أعلم ـ أن القضية قضية تأثر متبادل ، وتلاقح فكرين رديفين ، وأن كلا منهما أخذ عن الآخر ، وأثّر بعضهم في بعض.فقد استقواجميعا من مصدر واحد، وأما الخلاف فإنه يمكن إن يقال: إنه يتسق تمام الاتساق مع أصول كل منهما، وفي النهاية فهو خلاف داخلي في حدود مدرسة واحدة ـ وهي المدرسة العقليه ـ وهي تضم مجموعات من الطلاب ، وهؤلاء الطلاب ليسوا على مستوىً واحدٍ ، وإنما يجمعهم المنهج العام لهذه المدرسة.

جـ ـ الإباضية والشيعة (٥)

أفرزت معركة (صِفين) (٦) صَفين في جيش علي ـ رضي الله عنه ـ ، فصف وافقه وهم الشيعة ، وصف خالفه وهم الخوارج ، فأول فرق الإسلام هم الشيعة ، والخوارج . ويقرر مؤرخو الفرق أن الخوارج ـ ومنهم الإباضية ـ ، والشيعة على طرفي نقيض (٧) ، فالأولى : تكفر عليا. والحكمين ، والثانية : تغلو في حب علي حتى التقديس ، وترى أنه مصيب في

---

(١) التنبيه والرد ـ الملطي ٥٤ ٢) منهج المعارج نقلا عن آراء الخوارج ص ١٨٦ .

(٣) تلبيس إبليس ص ٩٦.

(٤) مما يجدر التنبيه إليه مارجحه الباحثون من أن حركة الاعتزال بدأت في أوائل المائة الثانية للهجرة أي في بداية القرن الثاني ، المعتزلة زهدي جار الله ص ١٢.

(٥) الشيعة : تعني الأتباع والأنصار. وشيعة الرجل : أتباعه وقد غلب هذا الإسم على كل من يتولى عليا . (القاموس المحيط ٤٩/٣). أما الشهرستاني : فيرى أن الشيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص ، وقالوا بإمامته، وخلافته نصا ووصاية ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم تكون من غيره، أو بتقية من عنده الملل والنحل ـ الشهرستاني ١٤٦/١.

(٦) موقع عند التقاء الشام بالعراق بالقرب من الرقه على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ـ وهي اليوم شمال سوريا . معجم البلد ان ـ ياقوت

(٧) ضحى الإسلام ـ الأستاذ أحمد أمين ٣٣١/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحكيم ، وتحط من شأن باقي الصحابة. يقول عبد الرحمن بدوي في تقديمة لكتاب (فلهوزن) :(... الخوارج والشيعة نشأتا في حضن حزب واحد، ثم تعاديتا فيما بينهما، ثم شاءت ظروف الخصومة المشتركة ضدهما ، أن يتحالفا معا على مضض ، ولكن مبادئ كل منهما منذ البداية في تعارض تام مع مبادئ الأخرى) (١) . والحاصل أنه وإن لم يسجل التاريخ بينهما صراعات دامية كثيرة، وكان بين الطائفتين ما يشبه الهدنة، لوجود العدو المشترك ـ فإنهما يختلفان من حيث الأساس.والعداوة بينهما قائمة. ويبدو أن هناك اقترابا وتداخلا بين الإباضية والشيعة ، خاصة في الآراء الكلامية ، والعقلية الجدلية، التي يلمسها الباحث لأفكار الإباضية . تجدها عند الشيعة ، ولعل ذلك يعود إلى تلاقح فكري الطائفتين مع المعتزلة . يقول د.عبد الحليم محمود : (وأكثر الشيعة يوافق المعتزلة في أكثر الأصول ، ولا يخالفهما إلا في مسائل قليلة تتعلق بالإمامة)(٢).

بهذه المحاولة نكون قد أعطينا فكرة مختصرة وعلى قدر وسعنا عن الملامح التاريخية والأصول العقدية للإباضية وعلاقتهم مع الفرق الإسلامية الأخرى ، وبهذا نتمكن من الاسهام في توضيح حالة هذه الفرقة التي لم تحظ بالدراسة الكافية والتي كنّا نجهل الكثير عنها . وهدفنا من ذلك بيان معالم الطريق منذ البداية ، وقد التزمنا بتسجيل معتقداتهم على ضوء ما هي عليه في مصادرهم ، ودللنا عليها بأرقامها وصفحاتها ليعرف الحق بدليله ولتكون أدلة لا مجال فيها للارتياب ، وإن كنت في هذا الفصل لم أتجاوز سبيل الدراسة الوصفية والوقوف على الاصول المقررة لديهم معتمداً على أوثق المراجع وأمتن الأسانيد دون أن نفتح باب الجدل والنقاش ، فلا داعي أن نخوض غمار هذا المعترك ، وما سجلناه عليهم ليس من باب التعصب والتجريح ولكن ليتسم البحث بالعلمية والموضوعية وهذا هو الهدف الذي سعت إليه هذه الدراسة والحق أحق أن يتبع .

والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) يوليوس فلهوزن ص ١٣.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام ـ عبد الحليم محمود ص ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث : الأصول الأساسية عند الإباضية

تمهيد :

من المعلوم أن لكل فرقة أُسسًا فكرية ، تعد بمثابة المرجع الذي يحدد منهج معتنقيها بما يضفي عليها شخصية مستقلة . وبحكم أن الإباضية فرقة إسلامية لها أصولها ، ولأئمتها اجتهاداتهم ، فيحسن بي أن أبين أهم هذه الأصول ، والاجتهادات على ضوء ما جاء في كتب القوم ـ وما توفر لدي منها ـ وما قرره أئمتهم لنتعرف على آرائهم وتصوراتهم عبر مؤلفاتهم ؛ لتعرف الحقيقة بأدلتها لا بالتقليد والتعصب ، والحكم على النيات والمقاصد . والأمانة العلمية تقتضي الأخذ بالدليل ، وتحرير الآراء والتقويم ، مع وافر الحرمة والتقديرلأئمة العلم والدين. ولن أتعرض للأصول التي أتقف عليها أهل الملة الإسلامية ، مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وإنما أبين الأصول التي وقع فيها الخلاف أو كان هناك شبه خلاف. وإتماما للفائدة أشير إلى منهج أهل السنة، وبعض الفرق الأخرى ؛ لنتعرف على الموضوع من كافة زواياه وأبعاده، كل ذلك مع الإيجاز التام، والبعد عن الاستطراد :ـ

الأصل الأول : التوحيد: ـــ

نستطيع القول : إن أهم ما يمتاز به الإسلام عن غيره هو التوحيد، وهو أصل تشترك به جميع الفرق الإسلامية ؛ ولكن بعض الفرق تفسره تفسيرا خاصا وتتصور له مفهوما معينا . ومن النصف في القول أن منهج الإباضية في التوحيد يعتبر من القضايا التي لم يتأثر فيها المذهب بمؤثرات غير إسلامية ، كما هو الشأن عند فرق تنتسب للإسلام ؛ ولكنها ليست منه ، كالباطنية ، وأهل الحلول والاتحاد . فالتوحيد عند الإباضية : هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ؛ فهو مكتسب من أدلتها اليقينية. (١) وقبل أن ندخل في تفصيل هذا الأصل ، يجدربنا أن ننوه إلى أن جمهور الإباضية يتفقون على وسيلة معرفة التوحيد ، وأنها بالشرع لا بالعقل ، فالعقل ليس كافيا لتقام به الحجة بين الناس. يقول السالمي وهو عالم ضليع في المذهب الإباضي : (وذهب الجمهور منا إلى أن العقل لا حكم له في شيء من الوجوب الشرعي ، وهو ما يترتب عليه الثواب والعقاب ، فلا وجوب عندنا قبل الشرع في

---

(١) طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي للشيخ سالم بن حمود شامس السيابي ص ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيء من الأصوليات والفرعيات ، لا فرق في ذلك بين التوحيد وغيره ، قال تعالى : ﴿ **وما كنّا معذّبين حتى نبعثَ رسولاً** ﴾ الإسراء (١٥) وقال تعالى : ﴿ **أولم تأتِهم بيِنةُ ما في الصحف الأولى** ﴾ . طه (١٣٣) ولم يقل : (أولم نركب فيهم عقولا) (١) . فمصدر التلقي عند الإباضية كما يفهم من كلام السالمي هو : النقل لا العقل ؛ وإثبات هذا الأصل والمبدأ من أهم الركائز المشتركة التي تلتقي فيها الإباضية ، مع أهل السنة . وأهم مبحث في التوحيد هو الأسماء والصفات ؛ الاسم والصفة عند الإباضية بمعنى واحد ، والذات والصفات شيء واحد ، والصفات عين الذات. يقول السالمي : (ذهب أصحابنا إلى أن أسماء الله وصفاته الذاتية هي عين ذاته) (٢) .

والصفات عندهم قسمان :

١ـ صفات فعلية. **٢ـ صفات ذاتية .**

فالصفات الفعلية : هي كل صفة جاز أن تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل (٣) مثال ذلك أن يعطي لفلان الرزق ويسلبه عن الآخر ، أو يهب لواحد ذكرا والأخر أنثى . وهذه الصفات عندهم تنفى عن الله في الأزل ؛ أي لا يتصف بها في الأزل ، وإنما يتصف بها فيما لا يزال ، فهو خالق باعتبار ما سيخلق ، ورازق باعتبار ما سيرزق ، فيصح عندهم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ كان ولم يرزق ولم يخلق .

أما الصفات الذاتية : فهي كل صفة لا تجامع ضدها في الوجود ، ولو اختلف المحل : كالعلم ، والقدرة ... فلا يقال : قدر على شيء وعجز عن شيء ، كما لا يقال: علم كذا أو جهل كذا .(٤) وهي عندهم اعتبارية أي ؛ لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته ، والمقصود نفي أضدادها المستحيلة في حقه ـ تبارك وتعالى ـ . فوصف الله ـ عز وجل ـ بالعلم نفي ضدها عنه ، فهو عليم لا بعلم هو غيره، فهو ـ سبحانه ـ عالم بذاته؛ يعني أن ذاته منكشف لها جميع المعلومات من غير قيام صفة قديمة ؛ فالله ـ سبحانه ـ غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به ، ولو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية. (٥) وقول الإباضية هنا يشابه قول الخوارج ، والمعتزلة ، فالتوحيد عند المعتزلة : هو من أصولهم الخمسة ، ويدور على نفي القدماء ، فلا قديم مع الله ـ سبحانه ـ ولا يملك الله ـ سبحانه ـ صفة خارجة عن ذاته، وقالوا : جميع الصفات هي أي ذاته (٦) إلا أن الإباضية تخالف المعتزلة في الإرادة ؛ فالله ـ سبحانه ـ

---

(١) مشارق أنوار العقول تأليف نور الدين أبي محمد عبدالله بن حميد السالمي ، علق عليه وصححه الشيخ أحمد الخليلي ، ط ٢ وسيشار إليه عند وروده بمشارق السالمي ص ٤٢ . (٢) المصدر السابق ص١٧٧

(٣) **مشارق السالمي ١٧٣** . (٤) مشارق السالمي ص ١٨٠

(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تحقيق عدنان زرزور ص ١٨٢.

(٦) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٢٤عني بتصحيحه هلموت ديتز .ط ٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند الإباضية لم يزل مريدا لمعلوماته التي تكون أن تكون ، والتي لا تكون أن لا تكون، والمعتزلة ينكرون ذلك أما الأشاعرة فذهبوا إلى أن لله ـ عزوجل ـ صفات قائمة بذاته زائدة عليه ، فهو ـ سبحانه ـ عالم بعلم ، قادر بقدرة ؛ فالعلم صفة ثابته قديمة، ولكنها ليست ذاته ولا غيره. (١) أما منهج السلف : فإنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه ، من غير تشبيه ولا تمثيل ، ويرون وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة ، في الأسماء والصفات على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله ـ عزوجل ـ ، ويرون أن الصفات زائدة على الذات . (٢) وفي الحقيقة أن الإباضية ، ومن قال بمثل قولهم في الصفات ، قد تعسفوا في التأويل ، وحملوا النصوص ما لم تحتمل ، ونهجوا نهجا عقليا خالفوا فيه المنهج الذي قرروه عند وسيلة معرفة التوحيد ، من تقديم الشرع على العقل . وهذا منحرف خطير ؛ إذ كيف نجعل لأنفسنا قاعدة نصية نقلية ثم نتنكب لها ، ونصطنع حججا عقلية ، وأصولا كلامية لم ترد عن الله ـ عزوجل ـ ولم تثبت عن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ـ الإباضية وكلام الله عزوجل :

أدخل المنهج التأويلي على المسلمين أسئلة كثيرة من بينها مسألة كلام الله المنزل هل هو حادث أم قديم ؟ وهل القرآن مخلوق ؟ وكانت هذه المسألة من أهم المسائل التي خاض فيها المتكلمون ، حتى اتخذت مظهرا عنيفا في فترة من فترات التاريخ الإسلامي . (وذلك في زمن المأمون والمعتصم من سنة (٢١٨ هـ = ٢٣٤ هـ) واختلفت الفرق في الإجابة على هذا السؤال ، وغدوا شيعا، وأحزابا كل منهم يؤول الأدلة بما يتفق ومذهبه.أما الإباضيون : فجمهورهم يقرر أن القرآن كلام الله ، ووحيه مخلوق له تعالى ، (٣) ويرون أن صفات القرآن دالة على الحدوث ، وكل حادث مخلوق . والله ـ سبحانه ـ وحده هو الذي يوصف بالقدم . فلو كان القرآن قديما، لما كان الله متفرداًبالقدم. ويرون أن حروف القرآن هي نفس حروف كلام العرب، فلو كان القرآن قديما للزم قدم كلام الناس (٤) .

ويجتهدون في الاستدلال لتأييد ما قرروه بالأدلة النقلية ، والعقلية الجدلية، ويحاولون

---

(١) المواقف في علم الكلام لعضد الله والدين عبد الرحمن الأيجي ص ٢٧٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء ط ١ المكتب الإسلامي ص ١٣٠ وسيشار إليها عند ورودها بالعقيدة الطحاوية.

(٣) الكشف والبيان ـ القلهاني ١/ ٢٩٥

(٤) الحق الدامغ ـ أحمد الخليلي ١٦٣ ـ ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرد على أدلة مخالفيهم، ويرونها متناقضة. والذي يبدو أن الإباضيين أنفسهم ليس لهم منهج واحد ، فلم يجمعوا على قول حول هذه المسألة . فإباضية المشرق يرون أن القرآن غير مخلوق (١) . وأمر علماء المشرق الإمام بالشد على من قال : إن القرآن مخلوق وقال أحدهم لا نقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ، ونقول : إنه كتاب الله أنزله .(٢) وعقد صاحب (٣) قاموس الشريعة وهو (إباضي) باباً في الرد على من يقول بخلق القرآن ، وناقش القائلين بذلك بأدلة نقلية وعقلية ، وأثبت أن كلام الله قديم ، ثم صرح بأنه لا يلزم الناس معرفة هذه المسألة . وقد أشار السالمي في مشارقه إلى هذا الاختلاف بقوله : (ذهبت الأشعرية ، وطائفة من المشارقة إلى أنه قديم ؛ لأنه صفة ذات ، وصفات الذات قديمة)(٤) ،. إلا أن بعض دعاة الإباضية ، وعلمائهم يحاولون تعليل موقف المشارقة ، وتأويل ما أحتجوا به . أما المغاربه فيتعصبون لمذهبهم ويقولون : (ليس منا من قال : إن القرآن غير مخلوق) . وقول إباضية المغرب يوافق قول الخوارج ، والشيعة ، والمعتزلة . (٥) أما الأشاعرة فيرون أن كلام الله قديم ، قدم الذات الإلهية ، ملازم له أزلا وأبدا ، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو: معنى أزلي قائم بالنفس ليس بحرف، ولاصوت(٦) ، بينما الحرف والصوت محدث. أما السلف : فيقررون أن القرآن غير مخلوق. منه بدأ واليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة. وبالجملة فأهل السنة من السلف، والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق (٧)

ـ عقيدتهم في رؤية الله عزوجل :

هذه المسألة هي إحدى قضايا الخلاف بين الفرق الإسلامية ، وذهبت فيها الطوائف مذاهب متعددة ، ووجد كل منهم دليلة بسهولة من القرآن الكريم. أما الإباضيون : فيجزمون (٨)

بنفي الرؤية في الدنيا والآخرة ، وينكرونها ويرونها مستحيلة نقلاً وعقلاً، ويجتهدون في دحض أدلة المثبتين لها ، ويؤولون النصوص الدالة على إمكانية الرؤية ، مثل : قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ . القيامة الآيتان (٢٢-٢٣) قالوا : أي منتظرة ويورد الربيع بن حبيب عدة أحاديث في مسنده(كلهامرسلة) تدل في ظاهرها على نفي الرؤية. (٩) وبنوا رأيهم كذلك على أنه من غير المعقول أن يرى شيء بالعين إلا إذا كان له جهة

---

(١) منهج الطالبين ـ الرستاقي ٢٠٣/١.
(٢) المصدر السابق ٢٠٥/١
(٣) قاموس الشريعة ـ السعدي ١٩٨/٣ ـ ٢٠٨
(٤) مشارق السالمي ـ ٢٤٥ .
(٥) مقالات الإسلاميين ـ الأشعري ٥٨٢
(٦) المواقف للأيجي ٢٩٤
(٧) العقيدة الطحاوية ١٨٨.
(٨) الحق الدامغ ـ للشيخ أحمد بن حمد الخليلي ٢٧ ـ ٩٦.
(٩) ٣٦/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالأجسام ، والله ـ سبحانه ـ منزه عن التحيز، والتشكل ، وأنه ليس بجسم ولا بجهة من الجهات، وغير ذلك من مقتضيات الرؤية التي تصوروها يقول الجيطالي : (والله منزه عن الرؤية ، والإدراك بالأبصار ، إذ هو تعالى مقدس عن الجهات والأقطار) (١) . ويقول آخر: (فليس لأحد أن ينظر إليه جهرة لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن زعم أنه يرى الله فقد زعم أنه محيط بالله ؛ لأن الأبصار إذا رأت شيئا فقد أحاطت به وحصرته، وجزأته، والله لا يجوز عليه ذلك) (٢) ومع محاولة إتيانهم بالأدلة الدالة على نفي الرؤية إلا أنهم يرون أن الأصل هو المنع. يقول السالمي : (واعلم أنه لو لم نذكر دليلاً قط على نفي الرؤية واستحالتها لا كتفينا بمقام المنع ؛ لأن الأصل عدمها) (٣) . وبنفي الرؤية قالت المعتزلة والخوارج والشيعة (٤) ، وإن كان للمعتزلة قول آخر وهو أن الله سبحانه يُرى بالقلوب. قال أبو الهذيل: (وأكثر المعتزلة أن الله يرى بقلوبنا أي نعلمه بقلوبنا) (٥)

الأصل الثاني : **العدل:**

المسلمون جميعا مجمعون على تنزيه الله ـ سبحانه ـ عن الوقوع في الظلم ؛ وإنما الخلاف بين الفرق يتركز حول قضية حرية الإرادة الإنسانية، والعدل الإلهي . أما الإباضيون : فقد نزهوا الله في هذا الأصل عن الظلم ، واعتبروا العدل من أسمى الفضائل ؛ ومن أهم صفات الفعل الإلهي. فجاء تعريف العدل عندهم بأنه: وضع الأشياء في مواضعها ، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل كل شخص منزلته. (٦)

فوعد الله الطائع بالجنة عدل، وتوعد العاصي بالنار عدل، والله منفذ حكمه على الطائع ، والعاصي كما وعد.وقول الإباضية في هذا الأصل : يتفق مع قول المعتزلة (٧) منهجا وسلوكا . أما أهل السنة فيجمعون على أنه لا يجب على الله شيء ما ؛ لا ثواب المطيع ، ولا عقاب العاصي وفي هذا يقول الإمام الجويني : (الثواب عند أهل الحق (أهل السنة) ليس بحق محتوم، ولا جزاء مجزوم ، وإنما فضل من الله تعالى ، والعقاب لا يجب أيضا ...) (٨) ويؤمن الاباضيون بالقضاء والقدر فلقد ارتبطت قضية القضاء والقدر بمصير الإنسان وإرادته ،

---

(١) قناطر الخيرات ـ الجيطالي ٢٢٧/١ (٢) منهج الطالبين ـ الرستاقي ٤٩/١.

(٣) مشارق السالمي ١٩٧. (٤) الملل والنحل ـ ابن حزم ٢/٢

(٥) مقالات الإسلاميين الأشعري ١٥٧

(٦) شرح متن الديانات نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية ص ٥٥.

(٧) المغني في التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٤٩/٦ ويستخدم المعتزلة ألفاظا خاصة بهم في هذا الأصل

(٨) الإرشاد للجويني ص ٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي مشكلة فلسفية حارت فيها العقول ، وكثر فيها الأخذ والرد (ولم يزالوا بعد طول جدال وقوفا حيث ابتدأوا) (١) وقد ظهرت إتجاهات متعارضة في هذه المسألة ؛ سببها الأخذ بظواهر النصوص. فظهر الإتجاه القدري ، وتزعمته مدرسة الإعتزال ، ويتلخص هذا الإتجاه : في أن الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه ، فهو يحاسب عليها ، وظهر الاتجاه الجبري ويتلخص : في أن الله ـ سبحانه ـ هو الذي يخلق العبد وأفعاله ؛ ولذلك كان مجبراً ، وليس مخيراً. وقالت الأشعرية بالكسب وهي : أن للإنسان كسب واختيار يحاسب عليه.

وقد إلتقت الإباضية مع الإشاعرة في هذه المسألة، فالقضاء عندهم هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه. أما القدر فهو : علم الله بمقادير الأشياء قبل إيجادها ، فكل حادث صادر عن علمه، وقدرته ، وإرادته ، (٢) والإيمان بالقضاء والقدر عندهم أن يؤمن العبد أن الله خالق كل شيء من (٣) خير وشر. ومما يتصل بقضية القضاء والقدر مسألة أفعال العباد . يقول السالمي ـ وهو أفضل من عالج موضوع الكسب عندهم ـ : (وذهب أهل الاستقامة (الإباضية) ، والأشعرية إلى التوسط بين الحالين ، فقالوا : إن أفعال العباد خلق لله ، وهي لنا إكتساب . فنثاب ونعقب على إكتسابنا، لا على خلق الله أفعالنا . بدليل قوله تعالى : ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ البقرة (٢٨٦) أي أن الأفعال خلق لله ، وكسب للإنسان في نفس الوقت) (٤) فالإباضية يرون أن للعبد حرية وقدرة على الاختيار دون أن يتعارض ذلك مع مشيئة الله ـ عزوجل ـ . فأفعال الإنسان مثبته في القرآن على أنها مخلوقة بواسطة الآلة ، ومكتسبة عن طريق الإنسان في آن واحد ، وإن كان قد خلقها الله .

وقول الإباضية في الاستطاعة يقارب قول الأشاعرة. والاستطاعة : هي القدرة . وقيل (٥) هي عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية ، وهي عندهم مقارنة للفعل وقيل (٦) هي التخلية. والإباضيون اعتبروا أنفسهم أهل حق ، واستقامة في هذه المسألة ، ونحسبهم كذلك ـ إن شاء الله ـ وقال البغدادي : (وجمهور الإباضية على قول أهل السنة في أن الله خالق أعمال العباد ، وفي أن الاستطاعة مع الفعل) (٧).

---

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده تعليق الشيخ محمد رشيد رضا ط ١٨ مكتبة القاهرة ص ٦٢.

(٢) الذهب الخالص للشيخ محمد بن أطفيش تحقيق تلميذ المؤلف أبو اسحق ابراهيم أطفيش ص ٢٢.

(٣) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين تأليف خميس بن سعيد الرستاقي ص ٤٢٧

(٤) مشارق السالمي ٣١٢.

(٥) منهج الطالبين الرستاقي ص ٤٦٩.

(٦) مشارق السالمي ٣٢٤ .

(٧) الفرق بين الفِرق للبغدادي ص ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي قاله عامة أهل السنة : (أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي ، وقد تكون قبله ، ولا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل ، فلا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة) (١).

الأصل الثالث : **الوعد والوعيد :ـ**

وهذا الأصل متفرع عن الأصل السابق ، فالعدالة الإلهية تقتضي إثابة الاخيار، ومعاقبة الاشرار . والانسان يستحق على طاعته الثواب، وعلى معصيته العقاب. ووعد الله هو : ما وعد به أهل طاعته من الثواب في الآخرة . والوعيد هو : ما توعد الله به أهل الكبائر والمعاصي من العقاب في الآخرة. والإباضية ترى أن ما أخبر الله به يجب أن يتحقق ليكون صادقا في خبره ، وقد أخبر بثواب المطيع، وعقاب العاصي .يقول الرستاقي : (قال أهل الاستقامة ـ يعني الإباضية ـ في أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله وعد من عمل بطاعته الجنة ولاخلف لوعده، وأوعد من عصاه النار إذا مات غير تائب عن معاصيه ، وأصر عليها، ولا خُلفَ لوعيده. ومن زعم أن الله تعالى أوعد قوما النار ثم لم يدخلهم إياها فقد كذب على الله . والله تعالى يقول : ﴿**ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**﴾.ق (٢٩). (٢) وقد رتب الإباضيون على الاصلين السابقين نفي الشفاعة من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهل الكبائر ، وأثبتوها للمؤمنين . واستدلوا لذلك بظواهر النصوص من الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ . غافر(١٨) . وبما رواه الربيع (٣) بن حبيب في مسنده من أحاديث في نفي الشفاعه لأهل الكبائر، ومنها عن جابر بن زيد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :(ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي ، يحلف جابر على ذلك ، ما لأهل الكبائر من شفاعة ، لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه)(٤) ويقولون : لو صحت الشفاعة لأصحاب الكبائر لتقرب إلى الله المتقربون بالكبائر. أما أهل السنة فإن نصوص الوعيد عندهم تبين وتقرر حكم من فعل هذه الذنوب ، وأما تطبيق الوعيد

---

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٨٨.

(٢) منهج الطالبين الرستاقي ٤٢٠/١

(٣) سيأتي الحديث عنه فيما بعد في الفصل الثالث .

(٤) مسند الربيع بن حبيب ٢٢/٢ الحديث لم أجده في كتب أهل السنة بعد طول بحث وهو مرسل فجابر تابعي كما تقدم ، والحديث يعارض الاثار الصحاح المتفق على صحتها ، أو يراد به الكبائر التي تخرج من الاسلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنفيذه فهو متوقف على شروط لا بد من تحقيقها ، وموانع لابد من انتفائها (١) . ويرون أن الشفاعة جائزة لأهل الكبائر.

يقول الجويني : (ومذهب أهل الحق أن الشفاعة حق، وثبت جواز الشفاعة عقلا ، وشهدت له سنن بلغت الاستفاضة) (٢) ، ثم رد على القائلين بالوعد والوعيد بما يكفي ويغني

الأصل الرابع : **الولاية والبراءة:**

الولاية والبراءة من أهم الأصول التي طرحها الفكر الإباضي ودرسها دراسة مستفيضة ، ووضع لها قواعد واحكاما ، وأنظمة خاصة . الولاية تعني عندهم : القربة ، المؤاخاة والتراحم ، والاستغفار للمؤمنين . (٣)

حكمها : الوجوب (٤) لمن اتصف بصفة الإيمان ، ومن أهم أحكامها : ولاية الجملة ، فعلى كل مكلف أن يوالي جميع المسلمين ، ومن لم يوال جملة المسلمين أشرك (٥) .

ومنها ولاية المعصومين وهم : من وجبت لهم الجنة كالأنبياء ، والملائكة ، والأولياء ، ومنها ولاية أفراد المذهب ، ومنها ولاية الأئمة ، وتسمى ولاية (البيضة) أي جماعة إمام المسلمين ، ومنها ولاية المخالف لمذهبه أي : المسلم الذي كان يتبع مذهبا إسلاميا معينا ثم تمذهب بالإباضية، فإن كان دعا لمذهبه الأول فعليه أن يتوب ، ويخبر من دعاهم أنه أخطأ ، ويعمل لمذهبه الجديد.. ومنها كذلك ولاية الأطفال ، والطفل المشرك يتوقف فيه حتى يحتلم (٦) أما البراءة فهي : البغض ، والشتم للكافر لكفره (٧) . ويتبرأ ون من العاصي، ويهجرونه ، بحيث يصير كأنه بمعزل عن العالم إلى أن يتوب .

حكم البراءة : الوجوب (٨) كالولاية : ولها أيضًا قواعد وأقساما : منها براءة الجملة ؛ وتعني وجوب البراءة من المشركين بشكل عام، فعلى كل إباضي أن يتبرأ من أعداء الله ، من الجن ، والإنس ، أحياء وأمواتا . ومنها كذلك : براءة الحقيقة ؛ وهم المنصوص عليهم

---

(١) عقائد الإيجي ١٧٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص ٣٨١ - ٣٩٢.

(٣) الذهب الخالص محمد أطفيش ص ٣٢.

(٤) مشارق السالمي ٣٣٨

(٥) الذهب الخالص ٣٢

(٦) الجامع لابن جعفرأبي جابر محمد بن جعفر الأزكوي تحقيق عبد المنعم عامر ١٤٧/١.

(٧) الذهب الخالص ص ٤٥.

(٨) الذهب الخالص - محمد أطفيش ص ٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأسمائهم ، جماعات : كقوم نوح ، ولوط ، وأفرادا كفرعون، وأبي لهب. وهناك براءة تسمى براءة الأشخاص ، كالبراءة من السلطان الجائر، ومن أطاعه في جوره، وكالبراءة من المرتد عن الإسلام، إلى الشرك ، أو الخارج من المذهب. وعندهم حالة ما بين الولاية والبراءة ، تسمى الوقوف (١)وهي : فيمن لم يعلم عنه موجب الولاية ، ولا موجب البراءة . توقفوا فيه لقوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ الإسراء آية (٣٦) .

الأصل الخامس : **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

فِرق الإسلام كلها تجُمع على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ آل عمران آية (١٠٤) . ولكنهم يجتهدون في التفاصيل ؛ فالبعض يرى أن الوجوب يكفي فيه القلب، واللسان والبعض الآخر يرى أنه لابد من استخدام القوة، وحمل السلاح ، ويمتاز الخوارج بأنهم أكثر الفرق امتشاقا للسيف.

يقول الأستاذ أحمد أمين: (وكان الخوارج في هذا الباب ـ باب استعمال السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أشد، وأقسى ، وأعنف فمتى اعتقدوا الحق في شيء نفذوه بالسيف) (٢).

والاباضيون يهتمون بهذا الأمر ويجعلونه أصلا من أصولهم السياسية والاجتماعية ، والاخلاقية ويرونه واجباً (٣) والكلام في هذا الأصل جرهم إلى إبداء آرائهم في الامامة فالامامة عندهم واجبة ثبتت بالكتاب والسنة يقول الشيخ محمد أطفيش :(ونصب الإمام العدل واجب ، والدليل توقف الواجب عليه من الامر والنهي ، وإقامة الحدود ، والقيام بالعدل ، وردع المعتدي) (٤).

والأمامة عندهم عامة لجميع من يصلح لها ، ولم يشترطوا القرشية ، والخروج على الإمام الجا ئر، مستحسن وجائز، وليس بواجب . يقول الشيخ محمد أطفيش : (ونحن لا

---

(١) مشارق ـ السالمي ص ٣٤١.

(٢) ضحى الإسلام تأليف الأستاذ أحمد أمين ط ٧ ٣/ ٦٧.

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية ـ عدون جهلان ص ٦٠.

(٤) شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد أطفيش ٢٧١/١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين ، ومن نسب إلينا الوجوب، فقد جهل مذهبنا) (١) ومعظم الفرق الإسلامية تلتقي مع الإباضية في ضرورة نصب الإمام (٢).

الأصل السادس : لا منزلة بين المنزلتين :-

أهم ملابسات هذا الأصل أنه يعالج قضية الكفر والإيمان ، فالمؤمن إن إرتكب كبيرة من الكبائر هل يفقد صفة الإيمان ؟.

لقد تفرقت الإجابة على هذا السؤال من أصحاب الفرق ، : فقالت الخوارج : هو مشركٌ كافرٌ ، والمعتزلة لا يعتبرونه مسلما ولا كافرا منزلة بين المنزلتين وعند أهل السنة : هو مسلم عاصٍ ، فلا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله .

أما الإباضية فلهم رأي خاص يتلخص : في أن الإيمان والكفر ضدان ، كالحياة والموت ، فلا يعقل أن يكون العبد مؤمنا ، وكافرا في آن واحد (٣) ، فهو إما مؤمنا ، وإما كافرا ، لا منزلة بينها ، ودليلهم في ذلك ظواهر النصوص القرآنية . مثل قوله تعالى :﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ . سورة التغابن آية (٢). فإذا أقر بالتوحيد ، لكنه ضيع ، وفرط وارتكب شيئا من الكبائر ، فهو موحد ، ليس بمؤمن ، وليس بمشرك، وإنما هو كافر كفر نعمه ، أو نفاق .

وكفر النعمة : اصطلاح إباضي خاص . فهم يقسمون الكفر إلى قسمين : (٤)

الأول : كفر نعمه ؛ وهو ما نشأ عن تأويل خطأ كاستحلال ما حرم الله ـ سبحانه ـ بتأويل الخطأ ، أو ما فعل انتهاكا ، كالقتل ، والزنا والسرقة ، وقد يطلق عليه منافق.

الثاني : كفر الجحود ؛ وهو مطلق النفي لوحدانية الله ـ عزوجل ـ وكفر من عبد مع الله غيره، أو نفى شيئا من صفاته ، وأفعاله الثابته ، : كإنزال الكتب ، وبعث الرسل. ويسمى الكافر جحودا مشركا ، وهو الذي يخرج الإنسان من الملة (٥) . ومع تقريرهم هذا الأصل إلا أنهم يعودون فيقررون ، أن النفاق منزلة بين الإيمان، والشرك ، وهذه الثلاث يستحيل

---

(١) الذهب الخالص ص ٤٦ والشيخ بقوله هذا يرد على أبي الحسن الأشعري الذي يقول : (والإباضية يرون إزالة أئمة الجور بأي شيء قدروا عليه بالسيف وبغيره) مقالات الإسلاميين ١٢٥ .

(٢) انظر : الملل والنحل ـ لإبن حزم ٨٧/٢ ، مواقف الأيجي ٣٩٥.

(٣) دراسات إسلامية في أصول الإباضية ـ بكير بن سعيد اعوشت ص ٩٤ ـ ٩٥

(٤) الذهب الخالص ـ ص ٥ ، مشارق السالمي ص ٤٠٠.

(٥) مختصر تاريخ الإباضية ـ للشيخ أبي الربيع سليمان الباروني ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمع بينها ، فالمتصف بواحدة لا يوصف بالأخرى ، فالمنافق ليس بمشرك ؛ لأنه موحد ، وليس بمؤمن لأنه عاص والنفاق عندهم مترتب على الفعل . يقول علي يحيى معمر:(لقد استعمل الإباضية كلمة النفاق للدلالة على المعاصي العملية ، وأطلقوها على من ارتكبها في أي زمن) (١). أما قضية الكبائر وحكم مرتكبها فملخص قول الإباضية في هذه المسألة ، إن أصحاب الكبائر من المسلمين مخلدون في النار ، وكذا غيرهم من الكفار .ويؤيدون مذهبهم بظواهر نصوص الكتاب ، والسنة ، وعمدتهم في ذلك ما رواه الربيع بن حبيب في مسنده (٢) ، فبعد أن يسوق مجموعة أحاديث وردت فيها الفاظ في ظاهرها تفيد كفر من عمل عملا محظورا ، أو ترك واجبا . ثم يقول : وهذه كلها تُثبت الكفر لأهل القبلة.

فمصير العبد الذي مات على الكفر، أو على كبيرة ولم يتب منها عصيانا . جهنم خالدا فيها أبدا ، والأبدية عندهم تعني : اللانهائية. جاء في منهاج الطالبين: (قال أصحابنا : إن كل من عصى الله بصغير من الذنوب ، أو كبير وهو عالم به ، وأصر عليه ، فقد وجبت له نار جهنم خالدا فيها)(٣) ويقول الشيخ أحمد الخليلي :(وعقيدتنا معشر الإباضية أن كل من دخل النار من عصاة الموحدين ، المشركين مخلدون فيها إلى غير أمد .) (٤) أما الصغائر عندهم فهي ما دون الكبائر، وهي مغفورة بشرط اجتناب الكبائر ، وإذا أصر عليها فهي كبيرة ، وان لم يتجنب الكبائر أخذه الله بالكبائر، والصغائر . وحكمه في الدنيا أنه موحد. ونفى بعضهم أن تكون الصغائر معلومة ، أما الشيخ محمد أطفيش فيرى أنها موجودة معلومة ، ومثل لها باللعب غير المباح، ودخول البيت بغير إذن . ووافقت الإباضية الخوارج ، والمعتزلة في هذه القضية . أما أهل السنة فهم يرون أن الخلود الأبدي في النار هو للكفار، وأما أصحاب الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يخلدون فيها والعدل الإلهي يقتضي التمييز بين الموحد العاصي ، والمشرك الكافر.

---

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية ٣٦٥ ـ ٣٦٨. ، الإباضية في موكب التاريخ علي يحيى معمر ٨٩/١

(٢) قال الربيع بن حبيب قال جابر بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الجنة حرام على من قتل ذميا أو ظلمه أو حمّله ما لا يطيق وأنا حجيج الذمي فكيف المؤمن] الحديث لم أجده الا من طريق الربيع بن حبيب وهو مرسل .

(٣) منهاج الطالبين ـ الرستاقي ٢١٠/١.

(٤) الحق الدامغ ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع : **بعض المسائل الخلافية :**

أ ـ مفهوم الإيمان والإسلام عند الإباضية .

يقرر الإباضيون أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وأنهما مترادفان (١) ،وأن العلاقة بينهما شرعية لا لغوية ، ثم توسعوا في المعنى الشرعي ليشمل الدين كله، فالإسلام اسم لجميع ما تعبد الله عباده بما أمرهم به .ويرون أن جميع ما افترض الله ـ سبحانه ـ على خلقه إيمان ، وكل طاعة(٢) إيمان فمن أدى جميع ما وجب عليه كان مؤمنا مسلما . يقول السالمي وهو من حذاق المذهب : إن المعتزلة وافقونا على ترادف الإيمان والإسلام الشرعيين ، وان الشرع نقلهما إلى الإتيان بالواجبات. (٣)

ولنا على صحة قوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ سورة البينة آية (٥) . فسمي إتيان الأمور به دينا ، والدين هو الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ . آل عمران أية (١٩) . وما ليس بإسلام فليس بدين .يقول تعالى : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غيربيتٍ من المسلمين** ﴾ .سورة الذاريات الآيتان (٣٥ / ٣٦).

ويحاول الجيطالي (٤) توجيه هذا الدليل حيث يقول : إنه لم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد، فالذي وجد هو الذي أخرج ، وهو بيت لوط عليه السلام . ويعتمدون كذلك للتدليل على ما ذهبوا إليه على مجموعة أحاديث ساقها الربيع بن حبيب (٥) في مسنده تدل على أن الإيمان قول وعمل ، ومن قال غير ذلك فقد كفر بمقولته. والجيطالي مع أنه يرى أن الإيمان والاسلام بمعنى واحد ، لكنه يعود فيعترف أنهما وردا في الشرع على سبيل الاختلاف والتداخل . قال تعالى: ﴿ **قالت الأعراب آمنا ...**﴾ سورة الحجرات آية (١٤) ومعناه عندهم

---

(١) الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية ـ لإبن سلام الإباضي ـ تحقيق ر.ق شفارتزوسالم يعقوب ص ٩٨.

(٢) مقالات الإسلاميين ١١٠.

(٣) مشارق السالمي /٣٣٠.

(٤) قناطر الخيرات ـ الجيطالي ٢٨٣/١.

(٥) منها ما قاله بلغني عن رسول الله أنه قال : [لعن الله المرجئه على لسان سبعين نبيا قبلي قيل : وما المرجئة يا رسول الله قال : الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل] هكذا جاء نص الحديث ٣/٥ـ٦ والحديث رواه ابن عدي في الضعفاء وقال هو باطل ٢٩٥/٦ ، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال في اسناده وضاع ، وقال في الميزان : إنه موضوع بيقين ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، والإسلام هو الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح (١) والإيمان عندهم يشتمل على مقامات (٢) وهي : الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح. ولا يكتمل الإيمان إلا بهذه الثلاث ، فلا يعد مؤمنا من لم يكن عاملا ، لأن العمل شرط لصحة الإيمان .يقول السالمي وهو يقرر هذا المعنى : (ومن ضيع واحدا بعد لزومه عليه فهو هالك) (٣) .

ب ـ الصحابة :

نظر الإباضيون إلى الصحابة على أنهم عدول ثقات إلا من ظهر فسقه قبل الفتن ، أما بعد الفتن فمن علم منه البقاء على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عدل مطلقا ومن لم يعلم منه ذلك فلا يُعدلْ حتى يمتحن .(٤) ويبدو أن الإباضية ليس لهم منهج واحد في هذه القضية ، وأنها ليست محل اتفاق بينهم . فالموقف متفاوت بين المتقدمين والمتأخرين . فلما كان التعصب قائما، والرؤى قاصرة ، تَخَوَضَ بعضهم في عرض الصحابة ، وسَلقَوهم بألسنةٍ حِداد شِداد .ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور عوض خليفات الذي سنحت له الفرصة للاطلاع على كثير من المصادر والمراجع اللازمة لهذا البحث ولم تتوفر لدينا ، يقول ما ملخصه : ترى الإباضية أن كلا من أبي بكر وعمر قد سارا في سياسة طبقا لكتاب الله الكريم، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ويعتبرون أن فترة حكمها كانت أفضل العهود التي عاشتها الأمة الإسلامية. أما عثمان فيرونه دون الشيخين في مكانته وسياسته ، وبقي المسلمون له مطيعين ومؤازرين حتى أحد ث بدعا أنكرها المسلمون عليه. وتشير المصادر الإباضية بإسهاب إلى ما يعتبرونه مآخذ على عثمان رضي الله عنه وسياسته.

ويرون أن الثورة على عثمان مشروعة وأن قتله كان واجبا ، ويعتبرون أن الذين ثاروا على عثمان من رواد حركتهم ، وأن عليا كان على رأس المحرضين . وأما رأيهم في علي ـ رضي الله عنه ـ فيرون أنه أخطأ فيما عمل وحكّم في أمر من أمور الله ـ سبحانه وتعالى ـ وخلع نفسه من منصبه الشرعي. لذا وجبت محاربته وخاصة بعد رفضه إعلان

---

(١) قناطر الخيرات ـ الجيطالي ٢٤٣/١ وما بعدها .

(٢) منهج الطالبين ٥٦٦/١.

(٣) مشارق ـ السالمي ٣٣٣ .

(٤) شرح طلعة الشمس على ألفية بهجة الأنوار شرح أنوار العقول ، في التوحيد للشيخ عبدالله بن حميد السالمي ٤٢/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوبـة (١) . أما ما جاء في كتب أهل السنة عن رأي الإباضية في الصحابة . فلنستمع إلى ما ذكره صاحب (٢) مقالات الإسلاميين وهو جد خبير بهذا يقول : (واختلف الناس في الحكمين ، فقالت الخوارج : الحكمان كافران . وكفَر علي حين حكّم ، واعتلوا بقول الله عزوجل : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾. المائدة (٤٧). وقال الملطي:يقولون بإمامة علي قبل التحكيم ، وينكرونها بعد ذلك ... وقالوا بولاية الشيخين وعداوة الختنين . (٣)

أما المتأخرون من الإباضية فنراهم يستدركون على من سبقهم، ويحاولون القيامة بعملية تصحيح لهذا الأمر ، وأبدوا رغبة في تغيير الصورة المعروفة عنهم، أملا في التقارب ونبذ الخلافات ، فيقررون أن البحث في أحداث من سبقنا من الصحابة ليس من ورائه فائدة ، ولا أثر محمود ينفع الأمة . (وعليه فالخير كل الخير للمسلم أن يستبرئ لدينه وعرضه، ولا يفني عمره في التنقيب عن هِنات أشخاص أصبحوا في ذمة التاريخ) (٤) وأما الشيخ محمد بن أطفيش فيقول عن الصحابة : (ونعتقد أن الكل عدول يهتدى بهديهم ونمسك عما شجرَ بينهم ، وقد وردت آيات وأحاديث في مدحهم خصوصا وعموما ... فالله ربنا، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا، والصحابة قدوتنا) (٥).

وفي لقاء مع الشيخ أحمد الخليلي أجراه معه صاحب كتاب دراسة في الفكر الإباضي (٦) ينكر الشيخ ما نسب إليهم من سب الصحابة ، وتكفير علي ، ويرى أنه قول لا يمت إلى الحقيقة بصلة. وقبل أن أغادر البحث في هذه القضية يحسن بي أن أقف عند مسألة اتهام علي في دم عثمان والتحقيق في هذه القضية بإيجاز :-

من المعروف أن كبراء الصحابة واجلاءهم ، كانوا متوافرين حين مقتل عثمان وبعده ، ولم يتهم بعضهم بعضا في هذه القضية ، وإنما كانت هذه التهم فيما بعد ، وجاءت ممن زاغت قلوبهم وعميت عليهم الأنباء ، يقول القاضي أبوبكر بن العربي : (ولئن اتهم علي بقتل عثمان

---

(١) نشأة الحركة الإباضية د. عوض خليفات ٥٧ ـ ٦٢.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٤٥٢ وما بعدها .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواد والبدع للإما م أبي الحسن محمد الملطي تعليق محمد زاهد الكوثري ص ٥٠ والمقصود بالختنين : عثمان وعلي لزواجهما من ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) هامش قواعد الإسلام للجيطالي ٨٤/١.

(٥) الذهب الخالص ٤٣.

(٦) دراسة في الفكر الإباضي عمر بالحاج صالح ص ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعا أنه قتله ، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفا) ويعلق محقق الكتاب محب الدين الخطيب قائلا : (ليس في أهل السنة رجل واحد يتهم عليا بقتل عثمان لا في زماننا ، ولا في زمانه ..) (١). ويقول الحاكم النيسابوري في مستدركه بعد أن أورد عددا من الآثار في مقتل عثمان : (فأما الذي إدعته المبتدعة في معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على قتله ،فإنه كذب وزور، وقد تواترت الأخبار بخلافه(٢). وأخرج ابن أبي شيبه في مصنفه عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب : (والله ما قتلته ولا أمرت، ولكن غلبت يقول ذلك ثلاث مرات)(٣) .وهو الصادق المصدق فكيف وقد أقسم ـ رضي الله عنه ـ كما تذكر الروايات أنه عندما حوصرعثمان في داره بعث إليه عليّ بولديه الحسن والحسين للدفاع عنه (٤).

---

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تأليف القاضي أبي بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب ص ١٦٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم النيسابوري كتاب معرفة الصحابة، باب مقتل عثمان ١٠٣/٣

(٣) مصنف ابن أبي شيبه رقم الحديث (١٩٥١٨) ٢٠٨/١٥.

(٤) البداية والنهاية ١٨٤/٧ ، العواصم في القواصم ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

حياة الشيخ الإمام
محمد أطفيش

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :

نشأته ، وصفاته

المبحث الثاني :

نبوغ الشيخ وفكره ونشاطه

المبحث الثالث :

آثاره ،ومؤلفاته ، ووفاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا :نشأته

أ ـ إسمه ونسبه:

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عِيسى بن اسماعيل أطفّيشْ. (١) .أما ألقابه فهي كثيرة (٢) منها: (الميزابي ، المُصعبي ، اليسْجُني) .

وهذه نسبة إلى بلده.ومنها ما هو نسبة إلى أصله ونسبه وهي : (الحفصي ، العدوي) ، الحفصي نسبة إلى أبي حفص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، والعدوي نسبة إلى عدي بن كعب القرشي جد أمير المؤمنين عمر. وقيل (٣) في نسبة إلى عمر بن حفص الهناتي جد العائلة الحفصية المالكة في تونس (٤). ومنها ما هو نسبة إلى مذهبه، وهي : (الإباضي ، الوهبي (٥)) ومن ألقابه العلمية : الإمام ، والقطب ، والعلامة ، وعلماء المشرق يسمونه قطب المغرب .

ب ـ مولده ونشأته :

ولد محمد أطفيش سنة (ست وثلاثين ومئتين وألف للهجره ـ ألف وثمانمائة وعشرين للميلاد) (١٢٣٦ هـ الموافق لسنة ١٨٢٠م) ، وأجمعت المصادر التي ترجمت له أن ولادته كانت في وطنه الجزائر في بلدة (يَسْجن) ، إحدى قرى وادي مِيزَاب (٦) ، ثم انتقل به والده مع أمه إلى (غَرْداية) ، وهي عاصمة الوادي فقضى فيها مدة طفولته الأولى ،توفي والده الذي

---

(١) أطفيش لفظ بربري مركب من ثلاث كلمات (أطف) بمعنى إمسك ، و(أيا) بمعنى أقبل ، و(أش) بمعنى كُلْ . يقال : أن أحد أسلافه لقب به لمناداته صديقا له يدعوه إلى الطعام ، انظر : الاعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ـ ١٥٦/٨.

(٢) الاعلام ـ الزركلي ١٥٦/٨.

(٣) معجم أعلام الجزائر في صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، عادل نويهض ، ط ١ ، ص ١٩٠.

(٤) ودولة بني حفص تربعت على دست السيادة بتونس من سنة (١٢٢٨م) الى سنة (١٥٧٣م) تداول عرشها ٢٥ ملكاً . مشاهير التونسين محمد بوذينة ٨.

(٥) تختلف المصادر حول هذه التسمية ، فالمصادر السنية تذكر أن الإباضية في شمال أفريقيا سموا بهذا نسبة إلى الإمام (عبد الوهاب بن رستم) ثاني الأئمة الرستميين (١٧١ ـ ٢٠٨ هـ) ، وذلك بعد انقسام الإباضية ، فالذين قالوا:بإمامته سموا بالوهبية نسبة إليه ، وقيل سموا بالوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي أول إمام للمحكمة ، ويعلق د. خليفات قائلا: وأياً كان فالثابت أن هذا الاسم اطلق ولا يزال يطلق على اتباع المذهب الإباضي في شمال أفريقيا الذين بقوا محافظين على مبادئ ومعتقدات الإباضية ، نشأة الحركة الإباضية. ص ١١٨ ومما يجدر التنبيه إليه أنه ليس هناك صلة بين الوهبيه الإباضية، والوهابية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.

(٦) يقع جنوب الجزائر العاصمة على بعد ٦٠٠ كم تقريبا ويضم عدة قرى انظر : مقدمة جامع الشمل تحقيق عبد الرحمن عمير ص ١٢ ، معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ١٣٣/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان محبا للعلم ، ومن أعيان الإصلاح في وادي ميزاب، فذاق الابن طعم اليتم منذ السنة الرابعة من عمره ، (ولكن أمه بالغت في الحنو عليه، وعوضته برعايتها وحسن تربيتها ما فقده من أبيه) (١). والمصادر التي بين أيدينا والتي ترجمت للشيخ ، لم تفصح لنا عن نشأته، وتعلمه في المرحلة الأولى من حياته، فهذه المرحلة تحاط بالغموض. ولا يذكر لنا منها إلا أنه دخل الكُتّاب وهو في الخامسة من عمره، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين (٢).

جـ- تعلمه وشيوخه :

لا شك أن الشيخ قد نهل من مناهل العلم في عصره، وتتلمذ على شوامخ أعلام الأمة في بيئته ممن لقي عندهم بغيته ، وأخذ عنهم الفقه، واللغة والأدب وغيرها منهم (٣) : الشيخ عمر بن سليمان والشيخ الحاج بن سلمان بن يحيى ، وأما شيخه الحقيقي ، واستاذه الذي لازمه ، وتجرد للأخذ منه وخصه ذلك الشيخ بمكنون ما عنده، وأعطاه خلاصة تجربته فهو أخوه الحاج الشيخ إبراهيم شقيقه الأكبر، وكان قد رحل إلى الشرق طالبا للعلم فدرس في عُمان ، ثم رحل إلى مصر وأقام فيها أربع سنين، نهل خلالها من معين الأزهر ثم عاد إلى وطنه الجزائر، وانتصب للعلم والتدريس ، فانقطع إليه الشيخ محمد وأخذ عنه مفاتيح العلوم الشرعية ، والعربية ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والفلك ، والتاريخ. وإلى جوار شيخه الأول كان الشيخ ضياء الدين ، وهو نجل الشيخ عبد العزيز الثميني (٤) باعث النهضة العلمية، وحركة التأليف عند الإباضية ، فالشيخ ضياء يعتبر من أساتذة الشيخ محمد أطفيش، وقد دعاه الشيخ ضياء إلي بيته، وقدم له مكتبة والده قائلا له : (هذه كتب والدي ، ومؤلفاته تحت تصرفك ، فخذ منها ما شئت ، وفي أي وقت شئت) (٥) . وكان من عادة الشيخ أنه لا يسمع بخزانة حافلة إلا ويتخذ كل الوسائل للاطلاع عليها والسعي إليها .

وهكذا تتلمذ الشيخ على كثير من أمهات الكتب ، ولعل توفر هذا الكم الكبير من المراجع والمصادر في بيئة الشيخ محمد أطفيش ؛ هو الذي جعله يكتفي بها، فلم يخرج مهاجراً في طلب العلم ، ولا يذكر عنه أنه شرّق أو غرّب أو تنقل بين معاهد العلم خارج

---

(١) نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبوز ٢٩٠/١ ، نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية عدّون جهلان ص ١٠٣. (٢) مقدمة جامع الشمل - ص ١٣.

(٣) مجلة جبرين يصدرها طلبة سلطنة عُمان في الأردن العدد (١٠) ١٩٩٢ ص : ٢٦.

(٤) عبد العزيز الثميني ؛ فقيه إباضي ولد في وادي ميزاب سنة (١١٣٠ هـ = ١٧١٨م) وانتخب شيخا عاما لميزاب له مشاركة في علوم المنطق والحديث والأخلاق والفقة وله كتاب النيل وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات . توفي سنة (١٢٢٣ هـ = ١٨٠٨م) انظر : معجم أعلام الجزائر ، نويهض ص ٩٤ ، تاريخ الجزائر العام - الجيلالي ٥٨١/٣.

(٥) نهضة الجزائر الحديثه نقلا عن الفكر السياسي ٢٨٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موطنه. واستطاع الفتى الشيخ في بداية شبابه أن يأتي من البراعة ، والمهارة ما جعل العقول تقف مبهورة معجبة بفعله (١).

واهتمام محمد بن أطفيش بالعلم لم يقتصر على طلبه وتحصيله فحسب ، بل عمل على نشره ، وإشاعته بين الناس. (فلما تجاوز السادسة عشر من عمره جلس للتدريس مع أخيه وشيخه في المدرسة ، وما إن جاوز العشرين حتى أضحى أكبر عالم في وادي ميزاب) (٢).

د ـ صفاته وشخصيته :

لقد وهب الله ـ سبحانه ـ الشيخ بسطة في العلم والجسم ، فكان يتمتع بصحة حسنة ، وبصر حاد حافظ عليه إلى أواخر أيامه، كان ذكيا مفرطا سريع الاستيعاب، عصاميا يعتمد على نفسه ، حريصا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان ـ رحمه الله ـ شديد الوطأة على مرتكبي الكبائر، وصاحب عواطف جميلة نحو الفقير،كثير الفزع إلي الله عند الملمات ، والتبتل وسهر الليل لتنقيح العلوم. ومن صفاته سماحة النفس ، والكرم والعفة (٣) .

كان شديد الاعتزاز بنفسه، ونسبه ، وعائلته المشهورة بالعلم والصلاح . يقول في ذلك : (٤)

وناظمُ الأبياتِ من بني عديٍ يتصل اتصالَ يوم بغدِ.

محمد بن يوسف بن عيسى نجل كرام سادة وكيسي.

المبحث الثاني

أ ـ نبوغ الشيخ وفكره ونشاطه :

لقد تحدث العديد من الكتاب الذين ترجموا للشيخ عن شخصيته التي كانت متعددة المواهب مختلفة الأبعاد ، واسعة الجنبات . فقد أوتي من المواهب والمزايا التي قل أن تجتمع لأحد، حتى أصبح إمام عصره، وقطب زمانه، خاصة في مذهبه، وترامت شهرته حتى شملت العالم الإسلامي ، (وذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الأقطار في مشكلاتهم ، وأفاض الله عليه من مواهبه اللدنية، وأشرقت في قلبه الأنوار العرفانية ، وانكشف له الحقائق العلمية الخفية، وتجلت في سماء فكره الحكمة الربانية ، فكان قدوة للسالكين). (٥)

---

(١) مقدمة جامع الشمل بقلم عبد القادر عطا ١٧/١.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الذهب الخالص المنوه بـ: بالعلم القالص من مقدمة أبي اسحاق ابراهيم أطفيش ص :و.

(٤) المرجع السابق ص : ب .

(٥) المصدر السابق ص : ج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان الشيخ ملما بمختلف العلوم ، ومعظم من يترجمون له يصفونه بأنه : مفسر، وأديب ، وشاعر ، ومفكر ، وسياسي ، (١)(وكانت حياته زاخرة بأنواع عديدة من الأنشطة ؛ حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي ، والأخلاقي ، والسياسي ، والعلمي ، والإقتصادي). (٢).

والشيخ محمد ملتزم بمذهبه الإباضي معتز به ، (يرى خدمة الإسلام عموما ، والمذهب خصوصا من أكبر الواجبات التي تحملها) (٣) . ولقد خلف الشيخ لمذهبه ثروة ضخمة من التراث العلمي ، وكانت آراؤه الكلامية لاتخرج عن الحالات التالية :

١- إما أن تكون تلخيصا لآراء المذهب.

٢- وإما أن تكون تحليلا وتفصيلا لها.

٣- وإما أن تكون ردا على أهل الخلاف ، ودفاعا عن مقالات المذهب. (٤) وقد عكف الشيخ على التدريس ، والتصنيف ، وخدمة الدين ، وكان لا يعرف النوم إلا قليلاً ، وكان يقرأ ويكتب وهو على دابته مسافرا إلي البادية، (وكان يؤلف وهو في السفينة) . (٥)

وأضاف الشيخ إلى ثقافته العربية ثقافة أخرى ؛ وهي معرفة اللغة البربرية (٦) ، ولعل هذه اللغة هي اللغة الرئيسة في بيئة الشيخ ، وكثيرا ما يقول وفي لغتنا البربرية ، وإن عرف الشيخ هذه اللغة وعاش في بيئتها ، فإنه بقي عربيا في فكره ، وقلمه ، وكتاباته ، وأسهم في إغناء الدراسات العربية ، وكانت جهوده لخدمتها في عصره تفوق جهود أبناء العروبة أنفسهم ؛ ولقد كان تفكير الشيخ أطفيش شاملاً ، وواسعاً ، وعميقاً ،وملماً بمختلف العلوم والفنون.

---

(١) تاريخ الجزائر العام - عبد الرحمن الجيلالي ٤/٤٥٤، معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهض ص : ١٩١.

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية عدون جهلان ص ٢٣٥.

(٣) مقدمة الذهب الخالص ص : د.

(٤) الفكر السياسي عند الإباضية - ص ١١٨.

(٥) معجم أعلام الجزائر - الجيلالي ١٩٠.

(٦) من الجدير بالذكر أنه عند مراجعتي لدائرة المعارف الإسلامية للتعرف على البربر وجدتها مليئة بالمغالطات ، فمن ذلك أنها ذكرت أن البربر ارتدوا عن الإسلام اثنتي عشرة مرة ، وحولت النقل في ذلك إلى ابن خلدون في مقدمته ، وبعد المراجعة لنص ابن خلدون ، فإذا به يمدحهم ويبين حرصهم وتمسكهم بدينهم ، ودائرة المعارف - بقصد أو بغير قصد - نقلت نص ابن خلدون وقطعته . ولم تكمله فهو يقول : ارتدوا بافريقيا اثنتي عشرة مرة، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير وقيل بعدها. أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ٣/٥١٤ ، مقدمة ابن خلدون ٦/ ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ ودعوته الإصلاحية :ـ

لقد كان الشيخ من دعاة الإصلاح في بيئته ، وكان له دور فعال في إصلاح مجتمعه ، ودعوته إلى التخلي عن القديم ، والابتعاد عن البدع التي لا دليل عليها، (وكان يرفض التحجر الفكري ، والتعصب المذهبي داعيا إلى العلم والعمل الصالح ، والقيم الأخلاقية ، والسلوك العملي المثمر) (١)

وقام الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعمل على تأليف القلوب ، ودعا إلى التقارب ، وكم كان يشير إلى ما ينتاب الأمة المحمدية من النكبات والإرهاق ، وما أصاب سنة المختار ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الاندثار ، والإعراض عن العمل بها، وتعلق النفوس بالبدع، واشتداد الكرّ عليها من الذين لم يألوا جهدا في قتل الروح الإسلامية في تلك الأقطار ومقاومتها في نفوس الأمة . (٢)

قوة الشيخ وثباته :ـ

لقد كانت الدعوة والإصلاح من أهم ما اضطلع به الشيخ ـ كما أسلفت آنفا ـ ، فكان الشيخ آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم ، (لا يهاب جبارا ولا يعظم لديه خطر ، وكم انتابه من نوائب الدهر، ومكائد الأعداء أنفسهم ، ولم تضعف نفسه أمامهم)(٣)

ومن نوادره الدالة على ثقته بالله وقوة إيمانه ما ذكره ابن أخيه الشيخ ابراهيم أطفيش أنه ؛ لما توجه إلى الحج لأداء الفريضة عن طريق تونس إلى طرابلس في سفينة شراعية، وبينما هي في عرض البحر إذ هبت عاصفة شديدة جدا أتلفت قلعة السفينة ، وذهبت بها عن طريق الجادة ، واستسلم كل من فيها للقضاء ، وأيقنوا بالهلاك ، فجاءه رفقته وهم في حال الإياس فوجدوه مطمئنا كأن لم يحدث شيء ، وبشرهم بالسلامة والوصول ، (٤) فكان الأمر على ما قال. والشيخ كان معتزا بدينه يرى أن من الواجب أن يكون الإسلام في عز، وأهله في منعة.

يُروى أنه زاره بعض القسس وكبار الولاة من الأجانب فوقفوا معه على مستوى واحد من الأرض فارتفع إلى درجة تالية : فقال أحدهم : هلا وقفت معنا في هذا المكان فقال : (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه) .

---

(١) مجلة جبرين ، نبذة عن حياة الشيخ ص ٢٧.

(٢) مقدمة الذهب الخالص ص : هـ

(٣) المصدر السابق ص : ح

(٤) المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفه من الاستعمار :

تجرعت الجزائر مرارة الاستعمار الفرنسي ، وعرفت وسائله الخبيثة ، وبقدر ما كانت الإدارة الاستعمارية مصممة على تطبيق السياسة الفرنسية ، ومحاربة الإسلام وأهله ، بقدر ما

كان الشعب الجزائري المسلم يقاوم هذا الاستعمار ، وانبرى العلماء منهم خاصة يدافعون عن حياض الإسلام بالسيف والقلم واللسان ، وينفون عن العقيدة ما علق بها من شوائب ، واخذوا على عاتقهم تعليم المغلوبين المستضعفين حتى النصر المبين .

ومن أبرز هؤلاء العلماء صاحبنا الشيخ محمد أطفيش ، وقد لاحظت أن كل من تكلم عن الشيخ أو ترجم له يذكر أنه سياسي ، أو أن له أثراً بارزاً في قضية بلاده السياسية .

لقد كره الشيخ الاستعمار بأشكاله وكان (يعز عليه أن يهضم شعب إسلامي ويسلب حريته أو يناله ضيم ، كثير الدعاء بالنصر للأمة الإسلامية على من يناوئها ـ يرى من الواجب أن يكون الإسلام في عزة ، وأهله في منعة ـ ويرى أن كل ما يلم بشعب إسلامي كائنا من كان من الإرهاق ، فهو نكبة أصابت الأمة لما في ذلك الشعب من التوحيد والانتساب إلى الدين ـ الجامعة العامة ....) (١)

والمنطقة التي عاش فيها الشيخ ، حافظت على عزلتها ، وبعد الاحتلال الفرنسي عندما وصل الفرنسيون إلى البادية الشمالية لوادي ميزاب بعث أبناء ميزاب وفدا، وعقد الوفد اتفاقية سنة (١٨٨٢م) وضع بمقتضاها الوادي تحت الاحتلال مع الاحتفاظ بنوع خاص من الحكم الذاتي ، وأن لا تتدخل فرنسا في جميع شؤونهم ، وأن يستثنى أبناء الوادي من الخدمة في جيش الفرنسيين مقابل مبلغ من المال.

فكان للميزابيين وضع خاص في القانون الفرنسي . (٢) إلا أن فرنسا أرادت نقض معاهدة (١٨٨٢) وأصدر والي عموم الجزائر أمرا باحتلال الوادي . فقام الشيخ محمد وأنصاره يعارضون الاحتلال ، واحتج لدى قائد الحملة بكل جراءة، وأنكر عليه نقض المعاهدة ، وأفهمه أن ميزاب في غنى عنه وعن خدمات دولته ، وأنهم لا يرضون بالاحتلال، وأسمعه كلاما قاسيا ؛ فخاف القائد أن يثيرعليه ميزاب والصحراء ، فاعتقله ، حتى احتل غرداية (عاصمة الوادي) ، وشحنها بالجند، وأمن على نفسه من الثورة ، فأطلق سراحه . (٣)

---

(١) مقدمة الذهب الخالص ص:ج.

(٢) مجلة العربي عدد ٢٨٦ سنة ١٩٨٢ م تقرير مصور عن منطقة ميزاب.

(٣) نهضة الجزائر نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية ص ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع ذلك فالشيخ لم يستسلم ، بل راح يستنهض الهمم ، ويعبىء الشعب، ويغرس في قلوب تلاميذه بغض الفرنسيين واحتقار المستعمرين . فكان تلامذة الشيخ يفجرون الثورة بأقلامهم ، ويهاجمون الاستعمار بآرائهم ، ويشكلون ركنا أساسيا في مقاومة الاستعمار . وكان على رأسهم ابن أخيه الشيخ ابراهيم أطفيش حتى أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بإبعاده (١). وقد بعث الشيخ برسائل احتجاجية إلي الحكومة الفرنسية يشكو فيها ظلم الولاة ، ومنعهم الناس من الحج ، والسفر إلى الخارج ، وبعث برسالة إلى (بوان كاري) بمناسبة اغتيال أحد الوزراء الفرنسيين . جاء فيها : لقد تمادى بكم ظلم المسلمين ، فكان الله يراقبكم حتى أصبح وزراؤكم يقتلون في الطرقات كالكلاب. واشتد حنق فرنسا على ابن أطفيش، وقرروا إسكاته (فحاولوا أن يستقدموه إلى فرنسا لمحاكمته ، لكنهم عدلو عن ذلك حين قال أحدهم : من العار على فرنسا أن تستدعي رجلا ، أما أن يحاججها فتكون أضحوكة بين الدول ، وإما أن تحاججه وهو أعزل ليس له إلا علمه . فخير لكم أن تتركوا الرجل فتتناسوه. ومن طريف ما يروى أنه كان يلصق الطوابع البريدية التي تحمل صورة المستعمرين مقلوبة. (٢)

رحلات الشيخ ومراسلاته:

ألمحنا إلى أن الشيخ لم يخرج من بلده مهاجرا في طلب العلم ، ولم يعرف عن الشيخ خروجه من بلدته الا حاجاً أو معتمراً، فقد تحركت في الشيخ داعية فريضة الحج .واشتاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فلبى داعي الله وزار المدينة المنورة ، واجتمع بعلمائها ، (وكانت مؤلفاته قد ذاعت وانتشرت ، واطلع عليها علماء الحجاز ، ومنهم الشيخ زيني دحلان فقيه مكة وصاحب الفتوى والتدريس في الحرم، فلما سمع الشيخ زيني دحلان (٣) بوصول الشيخ محمد أطفيش استضافه ودعاه إلى القاء الدروس في حلقته وأجلسه بجانبه، فالقى الشيخ محمد إطفيش دروسا عديدة في الحرم حضرها الشيخ زيني وكثير من علماء الحجاز) (٤). أما مراسلات الشيخ ، فقد تنوعت فمنها رسائل في الافتاء ، ومنها في الرد على الطاعنين في الدين ، ومنها في الدفاع عن الإباضية ، ومنها مراسلاته السياسية.

---

(١) النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين الجابري ٢٧٢.

(٢) مقدمة الذهب الخالص : ص ح .

(٣) الشيخ أحمد بن زيني دحلان فقيه مكي ولد بمكة وتولى فيها الافتاء والتدريس من تصانيفه : (الفتوحات الإسلامية) (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام توفي سنة (١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦م) الاعلام ١٢٩/١.

(٤) مقدمة شرح النيل محمد عبد القادر عطا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد صار للشيخ منزلةسامية لدى القاصي والداني حتى لدى الحكام والولاة والسلاطين ، وخاصة السلطان عبد الحميد (١٨٤٢ - ١٩١٨م) الذي كانت تربطه بالشيخ مراسلات عديدة (ورآه ممن يعتمد عليه في الأمة ، وفي غايته التي هي الجامعة الإسلامية) (١) وكاتب سلاطين عُمان ، وزنجبار (٢)، وبعث برسائل احتجاجية كثيرة الى الحكومة الفرنسية .وكاتب رهطا من علماء المسلمين في المشرق والمغرب وعلى رأسهم الإمام محمد عبده (١٢٦٦هـ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) ، ويرجح محقق كتاب جامع الشمل أن الشيخ أطفيش لم يكتف بالمراسلة، بل سافر إلى مصر والتقى بالشيخ محمد عبده، (وقد تبادل الشيخان الجليلان قضايا الإسلام وما يجب عمله حتى تتحرر شعوبه من ربقة الاستعمار).

وقد مدح الشيخ محمد بن أطفيش الشيخ محمد عبده وتأليفه واثنى عليه في تفسيره تيسير التفسير) (٣).

أشعاره

لم يكن اهتمام الإمام محمد بقول الشعر يأتي في درجة أولى تشابه اهتمامه بالفنون العربية ، والدينية التي كان يكتب فيها .

ولكن اهتماماته الأدبية ، ومواهبه الشعرية كانت متأصلة في نفسه وبه ميل جم إلى تنميتها، ومع ذلك فكان لا يقول الشعر إلا إذا دعت إلى قوله الحاجة ، سواء أكانت حاجة نفسيه يعبر بها عما يحس به من انفعالات ، وما يعتلج في نفسه من مشاعر، أو كانت إجابة عن سؤال ، أو ردوداً يرد بها.وقد ذكر الزركلي في الأعلام أن له ديوان شعر(٤).

ولعل أول ماانتجة قريحة الشيخ وتفتقت عنه شاعريته(أرجوزة في نظم المغني في النحو يقول تلميذه وابن أخيه الشيخ ابراهيم أطفيش : (ويلوح لي أن أول كتابٍ له ارجوزته في نظم المغني قيل في خمسة آلاف بيت)(٥).

أما موضوعات شعره فهي متنوعه منها : الشعر الديني : ويتحدث فيه عن المواعظ ،

---

(١) مقدمة جامع الشمل ص ١٨.

(٢) زنجبار جزيرة في المحيط الهندي تعرف اليوم بتنزانيا عاصمتها دار السلام.

(٣) تيسير التفسير ٣٧٧/٤.

(٤) الاعلام ١٥٧/٨.

(٥) مقدمة الدهب الخالص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنصائح ، وإبراز القيم للاعتبار ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها شعره العلمي : حيث ينظم منظومات شعرية تأخذ الصبغة العلمية فله منظومات في النحو ، والفقه ، والقراءات . يقول ابراهيم أطفيش : (له غرر القصائد الطوال كالحجازيه ، واراجيز في الفنون من الفقه ، والقراءات ، والعربية ، وبديعيته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تبلغ مائة وثمانين بيتا مطلعها : (١)

حمدا لمن أخرج الأشيا من العدم إلى الوجود لخير العرب والعجم

ومما سطره يراع الشيخ من النصائح والحكم ، (بائيته)التي جاءت في مائة وسبعة عشر بيتا ، والتي تنم عن حكمة شيخ متزن ، وعاقل مجرب ومنها :- (٢)

ارى في قيام الليل فوزا وفي الغنى عن الناس عزا فاتخذ منهما دأبا

ومن ذا الذي يبني على الموج دارة ومن ذا الذي يجني في الطلح اعنابا

إذا طبت نفسا واصطبرت على الأذى تنافست ابدالا وغوثا وأقطابا .(٣)

ولما كبرسن الشيخ وأصبح في التاسعة والثمانين من عمره، شكى تأثيرالكبر في قواه البدنية فقال:-

أصبت بشيب ثم هتم وبالصلع فهل لي إلى عهد الشباب إياب

فأخدم دين من له الشرف الوفي وفيما يدان أو يباح يثاب

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا..**﴾ سورة المائدة آية (٣٨) . قال : لعن الله المعري إذ قال :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

تحكم مالنا إلا السكوت له وإن نعوذ بمولانا من النار

قال : قلت :

يا ليت كلب المعرة اذنبح بذا الكلام وأبدى مضمر العار

---

(١) المصدر السابق ص ز .

(٢) مقدمة الذهب الخالص :ص ذ .

(٣) هذه مصطلحات صوفية ، فالإبدال هم الذين حققوا رتبة من مراتب الصوفية بهم يغاث الخلق وبهم يرحمهم ربهم ويسقطهم من النكبات والغوث هو القطب حينما يلتجأ إليه ولايسمى في غير ذلك الوقت غوثا وهو الحجة وصاحب الأمر وهو الذي يجب طاعته ويسمونهم بالأوتاد، والابدال معجم الالفاظ الصوفية حسن الشرقاوي مؤسسة مختار القاهرة ص ٢٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن نطقة ســاكت فإن حكمته ... سـبحانه وتعالى عـز من جــار

عز الأمـانة أغلاهـا وأرخصـها ... ذلُّ الخيانة للحرز والدار .(١)

تلاميذه :

لقد فرّغ القطب محمد أطفيش نفسه لتدريس طلاب العلم ، وجعل من نفسه مدرسة يؤمها الدارسون فيغدون إليها خماصا ، ويروحون منها بطانا، وقد أقبل إليه طلبة العلم من جميع قرى الوادي ، والبلدان الأخرى . وبرز الشيخ محمد من خلال ذلك قطباً، وإماما مجتهدا للمذهب الإباضي، يسأل عنه ويستفتى فيه. وقد كان تلامذة الشيخ فيما بعد رواداً للإصلاح ، فكان منهم المجاهد، والسياسي ، والمؤرخ ، والأديب ، ليس في الجزائرفحسب بل في تونس وليبيا.

يقول بكيرعوشت : (لقد تتلمذ على يد القطب ـ رحمه الله ـ نخبة من التلاميذ الذين تأثروا به دينا وأخلاقا ، ومن هنا فقد نهجوا منهجه الإصلاحي في سلوكه ،).

ومن أبرز تلاميذ (٢) الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف أطفيش ، وهو ابن أخ الشيخ وترجمان أفكاره ، توفي سنة (١٩٦٥م)، والشيخ عمر بكلي ، والشيخ داوود بن سعيد بن يوسف ، والشيخ محمد بن سليمان آدريسو من بني يسجن ، والشيخ محمد بن الحاج صالح الثميني ، والشيخ سليمان باشا الباروني من ليبيا، وليس هؤلاء فقط بل كان غيرهم كثير .(٣)

المبحث الثالث :آثاره ومؤلفاته:

ولقد كان الشيخ كثير التأليف غزير التصنيف، ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يعنى بالعلم من أهل مذهبه ـ فيما نعلم ـ ما اتفق لهذا الشيخ من التأليف والتصنيف . فقد تربع الشيخ على عرش العلم والعلماء في بيئته الخاصة التي كانت تعاني من قلة في التصنيف.

وكتابات الشيخ ومؤلفاته شاهد صدق على ذلك ، يقول أبو اسحاق ابراهيم أطفيش :

(إن المؤلف أعجز النساخ إذ بارك الله له في علمه ، فكتب ما لو قامت جمعيات بالنسخ

---

(١) ذكر الآلوسي هذين البيتين ، وذكر رد السخاوي عليهما ١٣٤/٦ ويظهر احتذاء الشيخ وسيره على منوال من سبقه في الرد .

(٢) نقلا عن مجلة جبرين عدد (١٠) ص ٢٧ .

(٣)نهضة الجزائر الحديثة ـ نقلا عن الفكر السياسي ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطبع لعجزت) (١) ولعل كثرة تأليف الشيخ جاءت من اشتغاله بالتدريس والتعليم فقد كان يصنف لطلابه وتلاميذه. حتى أن المترجمين للشيخ قد اختلفوا في عدد مؤلفاته . قال ابراهيم أطفيش : (إحصاء تآليفه غير يسير ، وقد تجاوزت المئات ، وأما أجوبته فلا تحصى) (٢)

ويرى بعضهم أنها (٣) تزيد على الثلاثمائة ، والبعض الآخر يرى أنها أقل من ذلك (٤) ومهما اتسعت آراء المترجمين في ذلك فإختلافهم يدل بكل وضوح على وفرة مؤلفاته وكثرتها.

ووجدت للشيخ كلاما في تيسير التفسير (٥) يفهم منه على أنه لما لم يجد مجالا للجهاد والغزو ، أكب على التأليف في زمن قل فيه من يحسن التأليف.

أما الفنون التي كتب فيها الشيخ فمن أهمها : التفسير ، التجويد ، التوحيد، الحديث ، الأصول والبلاغة (المعاني البيان البديع) ، النحو ، الصرف ، الفقه ، الفرائض ، السيرة ، التاريخ ، الفلسفة ، الفلك ،الطب ، الفلاحة.

وفيما يلي ذكر مصفات الشيخ مرتبة حسب موضوعاتها وغاياتها على قدر اجتهادنا ، والتي استطعت جمها من الكتب التي ترجمت للشيخ.

أولا : التفسير

فسر الشيخ كتاب الله تعالى ثلاث مرات سيأتي الحديث عنها فيما بعد ومن تأليف الشيخ في موضوع القرآن الكريم رسالته المسماة : (جامع حرف ورش) ، طبعت في الجزائر .

ثانيا : الحديث

أـ وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مطبوع عده طبعات في ثلاثة أجزاء ، القاهرة سنة(١٣٢٦)

ب ـ جامع الشمل في حديث خاتم الرسل. مطبوع في ثالثة أجزاء .

جـ ـ ترتيب الترتيب . الجزائر ، (١٣٢٦) مطبوع في جزء واحد.

ثالثا : التوحيد وعلم الكلام .

أـ شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع . الجزائر ١٣٢٨ ، في جزء واحد.

ب ـ حاشية على الموجز لأبي عمار عبد الكافي . مخطوط .

---

(١) مقدمة الجزء الثامن من شرح النيل لأبي اسحاق ابراهيم أطفيش.

(٢) مقدمة الذهب الخالص ص : هـ

(٣) تاريخ الجزائر الحديث ـ الجلالي ٤/٤٥٤.

(٤) نهضة الجزائر الحديثة ـ محمد علي دبوز ١/٣١٨ نقلا عن الفكر السياسي عند الإباضية ص ١١١

(٥)تيسير التفسير ٤/٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ ـ حاشية شرح النونية لعبد العزيز الثميني . مخطوط.

د ـ شرح معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين لعبد العزيز الثميني.

هـ ـ ايضاح المنطق في بلاد المشرق . مخطوط.

و ـ الجنة في وصف الجنة . طبع عدة طبعات . مسقط وزارة الثقافة ١٤٠٣.

زـ إزهاق الباطل في العلم الهاطل ـ الجزائر .

ي ـ شرح أسماء الله الحسنى . مطبوع .

رابعا : الفقه وأصوله .

أ ـ شرح (النيل وشفاء العليل)للشيخ عبد العزيز الثميني . طبع عدة طبعات ، في ستة عشر (١٦) مجلدا ، وهو عبارة عن دائرة معارف في الفقه .

ب ـ شامل الأصل والفرع . جـ ١ طبع في القاهرة ، سنة ١٣٣٨ هـ .

جـ ـ شرح الدعائم جـ ٢ ، طبع في الجزائر ١٣٣٦.

د ـ الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص . طبع في القاهرة ، سنة ١٤٤٣ هـ .

هـ ـ جامع الموضوع والحاشية جـ ١ ، طبع في القاهرة .

و ـ ترتيب المدونه الكبرى للخرساني . مخطوط .

م ـ حاشية على كتاب الإيضاح لعامر الشماخي ، سماها حي على الفلاح . مخطوط.

ي ـ مختصر شرح النيل في موضوع الحقوق والبيوع . مخطوط.

ـ شرح مختصر العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني. مخطوط.

ـ أساس الطاعات لجميع العبادات.

خامسا : التاريخ والسير

ـ الرسالة الشافية في تاريخ ميزاب وانساب قبائلة. مطبوع.

ـ الأماكن في ما جاز أن يكون أو كان . طبع في الجزائر . ١٣٠٤.

ـ كشف الغمة في شرح لأمية ابن النظر. مخطوط.

ـ شرح نونيه المديح. مخطوط.

ـ السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة . طبع في القاهرة ١٣٤٤.

رسائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغسول في أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام.

سادسا : الآداب واللغة .

- ارجوزه في النحو في خمسة آلاف بيت ، نظم بها (المعنى) لإبن هاشم.
- شرح شواهد القزويني.
- مجموعة القصائد .
- مختصر في علم الخط.
- خطبة العيدين.
- ربيع البديع في علم البديع.
- ايضاح الدلائل إلى علم الخليل في العروض.
- تخليص العاني من ربقه جهل المثاني في البلاغة . مخطوط.
- بيان البيان في علم البيان. مخطوط .
- حاشية شرح الأجرومية للداودي. مخطوط.
- شرح شواهد قواعد الأعراب. مخطوط.
- البائية في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.
- شرح لأمية الأفعال. مطبوع .
- كتاب في الرسم والخط. مطبوع .

سابعا : الآدب والأخلاق والعلوم الطبيعية.

إطالة الأجور وإزالة الفجور. مطبوع .

شرح مخمسة في الأخلاق . مخطوط .

النحلة في غرس النخلة . مطبوع

تحفة الحب في أصل الطب. مطبوع

شرح القلصادي في علم الحساب والفلك. مخطوط.

ثامنا : ردوده وجواباته ومؤلفاته المختلفة :

ازالة الاعتراض عن محقي آل اباض. . مطبوع.

الرد على العقبي الطاعن في الدين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرد على الصفرية والأزارقة. جواب في ملل أهل الكتاب، وأهل الشك .

جواب علماء مكة . مطبوع.

جواب لأحمد بن عليوه.

جواب في المعاملة.

جواب في الأوراق المالية.

جواب لأهل زوارة.

جواب على الإنجليزي.

شرح لغز الماء.

رسالة في حكم الدخان والصعوط.

كشف الكرب. مطبوع.

هذه أهم مؤلفات الشيخ منها ما رأى النور، ونفض عنه الغبار، وتناوله المحقوقون بالدراسة والتحقيق بالتعليق ، ومنها ما يزال قيد الخط ، وجبيس الخزائن.

وفاته وما قيل في رثائه :

لقد قضى الشيخ عمره في التدريس والإفتاء ، والكفاح ، والدعوة إلى الله ، والذود عن حياض الدين ، إلى أن وافاه أجلة (١) عند فجر يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثاني ، عام ألف وثلاثماية واثنين وثلاثين (١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م) ، عن عمر يناهز ستة وتسعين عاما، فعليه من الله سحائب رحمته ، وكان الحزن عليه عظيما ،والرثاء له كثيرا وقد رثاه الشيخ سالم الروحاني ، حيث قال (٢) :

عش ما تشاء وراقب فجعة الأجل سينقضي العمر في بطء وفي عجل.

لا غرو أن فاضت الأكوان آسفة لفقد فرد على الأكوان مشتمل.

يا ناعي القطب من ذا قام موقفه فصار قطب مدار العلم والعمل .

نعيت فردا أم الدنيا بأجمعها أني أحس بدهش شامل جلل

ودع معاهدك الزهراء أن بها غما لو احتل غمر البحر لم يسل

---

(١) مقدمة جامع الشمل محمد عبد القادر عطا ص ١٩

(٢) مقدمة الذهب الخالص لأبي اسحق ابراهيم أطفيش .ص ق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

مدخل إلى تفسير الشيخ محمد أطفيش

وفيه المباحث التالية :

أولا : **التفسير في القرن الرابع عشر الهجري.**

ثانيا : **حركة التأليف عند الإباضية.**

ثالثا : **ندرة الدراسات القرآنية عند الإباضية**

رابعا : **تفاسيرالإباضية القديمة .**

خامسا: **تفاسير الإباضية الحديثة.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا: التفسير في القرن الرابع عشر الهجري .

تمهيد : من يمعن النظر في أوضاع المسلمين في بداية القرن الرابع عشر الهجري ، يرى أنها كانت أوضاعا بعيدة عن منهج القرآن ، وهدايه ، ومقاصده. فقد غفل المسلمون عن هذا المنهج الكامل المتكامل ، والذي وسع بمبادئه وقواعده كل ما أدى إليه نفوذه من أصقاع المعمورة ، وعالج كافة المشكلات على اختلافها، وما عجز في يوم من الأيام عن أن يقدم لكل سؤال جوابا ، ولكل واقعة فتوى ، ولكل قضية حكما . ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعِظةٌ من ربكم وشِفَاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين** ﴾ يونس (٥٧) . وعلى الرغم من كل هذا الوضوح ، تخلى عنه المسلمون ، واعرضوا عن شرع الله ، وعاشوا في اضطرب فكري ، وتخلفوا عن ركب الحضارة، ونزعت منهم المهابة، وطمعت فيهم الدول ، واستولوا على بلادهم، وفرقوا كلمتهم، ثم وضعوا العراقيل أمام منهج الله ، ولفقوا التهم حول الشريعة وصلاحيتها ، وسخروا لذلك الأقلام والإعلام ، والاستشراق، وسيطروا على الأوساط الفكرية والثقافية ، فتكونت أجيال مظلمة الروح، جوفاء القلوب مُغرمةٌ بالمتع والشهوات ، فجمع لهم ذلك كله حب الدنيا ، وكراهية الموت ؛ ولذلك لم يكن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية سنة (١٩٢٤) أمرا مفاجئا ، ومستهجنا إلا في النادر القليل. هذه الخلافة التي استطاعت أن توصل صوت الإسلام وحضارته إلى قلب أوربا في يوم من الأيام . ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة . وبعد فترة ركود وجمود استيقظ العالم الإسلامي . وبرز على مسرح الحياة الفكرية نخبة من العلماء . نادوا بمنهجية علمية جديدة . ودعوا إلى التغيير ، وسعوا إلى تعريف الأمة بواقعها الذي تحياه لاعادتها إلى مركزها الذي كانت عليه . وقصدوا ابراز مزايا القرآن الكريم دستور الإسلام ، على ما سواه ودعوة المسلمين إلى العودة إلى كتاب ربهم ، والتمسك بمنهجه ، وعدم الانخداع بما يأتيهم من الغرب. وانصرفت جهود المفسرين الى إبراز قضايا جديدة من أهمها :

وحدة الأمة الإسلامية ، وقضايا التشريع والاجتهاد، وقضايا الاقتصاد الإسلامي ، والحرية والعلم والوقوف في وجه التيارات الفكرية الوافدة من الغرب ومحاربة البدع والخرافات وغيرذلك من القضايا . ونشأت المدرسة الإصلاحية الجديدة ، والذي فتح أبوابها ودعا الى منهجها ، وأهدافها جمال الدين الافغاني (١٣١٥هـ)(١٨٩٧م) ، وكان من أساطين هذه المدرسه الشيخ محمد عبده وتلاميذه.وقد امتدت أفكار هذه المدرسة الى آفاق واسعة وتأثر الكثير من العلماء بمنهجها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قوم العلماء هذا التفسير فذكروا أن أهداف طنطاوي سامية ، لكن أسلوبه خاطيء ، فقد كان بإمكانه أن يصل إلى ما يريد عن طريق تأليف كتاب يحمل أفكاره ويحقق أهدافه لا أن يحمل القرآن هذه الأفكار . ولم يعده صاحب بدع التفاسير تفسيرا بالمعنى المفهوم من لفظ التفسير (١).

ثالثا : في ظلال القرآن . للأستاذ سيد قطب - رحمة الله - (١٩٠٦ - ١٩٦٦م) . طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، ولقيَ من القبول مالم يلقه تفسير عصري آخر، وسيد يعتبر ظلاله تفسيراً فكثيراً مايقول : قلت في تفسير سورة كذا ، ويراجع تفسير سورة كذا يقول شيخنا الدكتور فضل حسن عباس بعد دراسته لهذا التفسير :- (لقد كانت المكتبة الإسلامية بأمس الحاجة لتتفيأ ظلال القرآن الوارفه ، ولقد كان الظلال بحق مدرسة واضحة المعالم ، جديدة في طرازها ، جامعة لشعاب الثقافة الإسلامية ، غير متأثرة بصبغة خاصة أو نزعة من النزعات . للعقل فيها مرتعه ، وللوجدان فيها غذاؤه ونماؤه، وللروح فيها حياتها. وانطلاقها ... وأخيرا فإن الظلال يتفيؤه . هؤلاء الذين يتحركون بالإسلام عقيدة ومنهج حياة) (٢).

رابعا : تفسير المراغي للشيخ أحمد المراغي . (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م) .

والشيخ أحمد شقيق الشيخ محمد المراغي الذي عين مرتين شيخا للأزهر ، طبع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً ، وأخذ الشيخ على نفسه أن يكون سهل المأخذ ، يشاكل حاجة الناس. فشرح المفردات ، واعتنى بالمعنى الاجمالي ، وأسباب النزول .. والشيخ يعتبر نفسه من نتاج مدرسة محمد عبده ، وكثيرا ما يقتبس من تفسير المنار وهو صورة مصغرة له

خامسا : أضواء البيان . في إيضاح القرآن . بالقرآن

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ هـ - ١٣٩٣ هـ) يقع هذا التفسير في سبعة مجلدات ، من سورة الفاتحة إلى سورة المجادلة ، وكان الشيخ حريصا على إتمامه ، لكن وافته المنية قبل أن يتمه.فقام أحد تلامذة الشيخ الملازمين له وهو الشيخ عطية محمد سالم ، فأكمل التفسير في تسعة مجلدات.

وقدم الشنقيطي لتفسيره بمقدمة كشف الأضواء عما في الكتاب، واهتم الشيخ في تفسيره بالقضايا الفقهية والأصولية ، وأفاض في بعض المسائل وحاول ربط الواقع بالتشريع وتوسع في شرح بعض الآيات ، وضرب لها أمثلة كثيرة ، وله تحقيقات لغوية ، وبلاغية ،

---

(١) بدع التفاسير لأبي الفضل عبدالله محمدالغماري ١٦٢.

(٢) اتجاهات التفسير في مصر وسوريا ٢/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصولية عميقة.

سادسا : محاسن التأويل

للشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ هـ - ١٣٣٢ هـ) (١٩١٤م) يحتوي هذا التفسير على سبعة عشر مجلدا ، والناظر في هذا التفسير يلاحظ تأثر الشيخ بمن سبقه من المفسرين ، ويميل إلى الوضوح ، ويبتعد عن التكلف ، ولم يخل هذا التفسير من الإسرائيليات ، والاسترسال في الرواية أحيانا. ولعل من المفيد ذكره : أن هذا التفسير لعبت به الايدي ، وخضع لعملية بتر واجتزاء كما ذكر ذلك الغماري في بدع التفاسير . (١)

سابعا : التفسير الحديث

لمحمد عزة دروزه النابلسي ، (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨م) يقع هذا التفسير في إثني عشَر مجلداً ، قدم له بمقدمة أبان فيها عن منهجه في تفسير القرآن الكريم . وسلك صاحب هذا التفسير طريقا تستدعي الانتباه ، حيث خالف فيها من سبقه من المفسرين . فجاء ترتيب السور في هذا التفسير حسب النزول ، فبدأ بسورة العلق وهكذا . والأصل أن هذا الترتيب الذي نقرؤه ، والذي جاء في مصاحفنا جاء على ترتيب مصحف الإمام عثمان - رضي الله عنه - الذي قبل به الصحابة وهم الذين حضروا العرضة الأخيرة ، وأجمعوا على ذلك . فالترتيب في المصحف لم يقصد به المحور التاريخي ، فالآيات غير مرتبة على النزول فمن باب أولى السور كذلك .

ثامنا : بيان المعاني

للشيخ عبد القادر ملاحويش آل غازي . (٢) .جاء هذا التفسير في سبعة مجلدات ، فسر المؤلف فيه سورة القرآن حسب ترتيب النزول ، وفسر الآيات فيه تفسيرا مجملا ، وعقد فيه أبحاثا تحت عنوان (مطلب) .

تاسعا : تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (١٣٧٦ هـ = ١٩٧٣ م) .وهو تفسير سلفي تقليدي يقصر نقله فيه عن أهل السلف . جاء التفسير بأسلوب سهل ، ومبسط ، ووسطا بين الإيجاز والإطناب.

---

(١) بدع التفاسير ١٦٢.

(٢) لم أجد له ترجمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشرا : تفسير عبد الحميد بن باديس

(١٣٠٨ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٤٠ م) . المسمى : (مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير). وهو تفسير بعض سور القرآن الكريم وليس تفسيرا كاملا للقرآن والشيخ متأثر بالمدرسة الحديثة في التفسير . يذكر الدكتور محمد البهي في تقديمه لهذا التفسير أن عبد الحميد بن باديس حلقة في سلسة ابتدأت بجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده في القرن التاسع عشر ، وثنيت برشيدها في القرن العشرين ، إنه واحد من اولئك الذين رأوا الإسلام نظاما لحياة الإنسان ، لأنه إنسان في أي وقت وفي أي مكان .) (١) .

الحادي عشر : التحرير والتنوير .

للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ هـ - ١٣٩٣هـ = ١٨٧٩ م - ١٩٧٣ م) .

يقع هذا التفسير في خمسة عشر مجلدا ، أسماه مصنفه (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد) . قدم له الشيخ بمقدمة قسمها إلى عشرة أقسام ، فصل فيها بعض الأبحاث، واهتم بإبراز مسائل علوم القرآن ، واظهرت هذه المقدمات ضلوع ابن عاشور في مسائل علم التفسير ، وتنوعت مصادر الشيخ في تفسيره ؛ يفسر السورة تفسيرا تحليليا ولا يخلو هذا التفسير من ملاحظات. تعرض للقضايا البلاغية ، وحاول أن يحاكي تفاسير القدامى ، ويساعد على فهمها (٢).

وهناك تفاسير أخرى بعضها تعرض لسور القرآن كله ، وبعضها لسور معينة منه : -

١- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب : يقع هذا التفسير في خمسة مجلدات ، كل مجلد يحتوي على ستة أجزاء .

٢- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت : وهو تفسير للأجزاء العشر الأولى .

٣- صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن الدوسري .

٤- تفسير المنتخب في تفسير القرآن : وضعته لجنة في المجلس الأعلى في مصر ، طبع منه خمسة أجزاء إلى نها ية سورة الجاثية.

٥- التفسير الفريد للقرآن المجيد لمحمد بن عبد المنعم الجمال : جاء في أربعة مجلدات .

---

(١) تفسير ابن باديس من مقدمة د. محمد البهي ص ٨.

(٢)انظر رسالة ماجستير لأخينا جمال أبو حسان (تفسير ابن عاشور دراسة منهجية ونقديه).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن : فسرت فيه بعضا من السود القصار. **كان لا بد لي من هذه الوقفة اليسيرة مع هذه التفاسير ، وأنا بين يدي بيان منهج الشيخ محمد أطفيش ، لنبين من خلالها ، مدى مسايرة الشيخ للمفسرين المحدثين ، وهل التزم بالأطر الجديدة التي سارت عليها هذه (التفاسير) والتي حاولت أن تنسجم مع روح العصر ، وظروف أهله .**

المبحث الثاني

حركة التأليف عند الإباضية .

يمكن القول بأنه لا يزال تاريخ الإباضية التصنيفي غيرمكتمل الصورة ، ولعل هذا يجعل من الصعب لمن يتصدى لتأريخ الفكر الإباضي عموما ، والتفسير منها خصوصا، أن يتبين الطريقة الشافية، وأن يضع يده على حقيقة ثابته يطمئن إليها .

إن أول ما يطالعنا هو قلة كتبهم ، وأسماء مؤلفيهم ، والندرة الواضحة للدراسات القرآنية وخاصة التفسيرية .

ومما لا شك فيه أنه كان للإباضية كتب ومؤلفون ، فهذه الفرقة اشتهرت بالدعوة . واستعرت حرب من الجدل والنقاش بين أتباعها وبين مخالفيهم ، فكان لهم جهود وردود . وطبيعي فإن الصراع المذهبي الحزبي يولد حركة فكرية، وتصنيفية تحتوي فكرة الحزب ، وينشط من خلالها علماؤه يصنفون ، ويكتبون لاتباعهم ، بآرائهم المستقلة، ولا شك أنه ظهر في الإباضية علماء بلغوا مرتبة الاجتهاد ، بل إن الدولة الرستمية الإباضية عُرِفَتْ بحب العلم ، وتقدير العلماء . (وكان البيت الرستمي بيت العلوم جامعاً لفنونها من علوم التفسير ، والحديث ، والفرائض ، والأصول ، والفروع ، وعلم اللسان ، والنجوم) (١) . ولكن أين مصير تلك المؤلفات ؟ . أُرجيء الإجابة على هذا السؤال ، لنقرأ ما يقوله ابن النديم في الفهرست ؛ والفهرست يعتبر من أوثق وأشمل الوثائق التي تبين ما أنتجته قرائح المسلمين في حياتهم العلمية، والعقلية في أوج حضارتهم يذكر ابن النديم. (٢)

عن محمد بن اسحاق ت (١٠٥ هـ - ٧٥٧ م) : إن كتب الخوارج مستورة، وإن رؤساء هم كثيرون ، ولعل من لا نعرف له كتابا قد صنف ولم يصل إلينا ، ثم سجل لنا قائمة بأسماء بعض كتاباتهم في الكلام ، والفقه، والفرق. ولم يذكر شيئا من مؤلفاتهم في التفسير ، ومعظم الكتب التي ذكرها ابن النديم مفقوده.

---

(١) طبقات الدرجيني ٥٦/١.

(٢) الفهرست - ابن النديم ٢٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يفهم من كلام ابن النديم آنفِ الذكر، أنه كانت لهم تصانيف ومؤلفات، لكنها كانت محجوبة عن النشر والتوزيع ، وعبثت بها يد الزمان ، فتبعثرت وفقدت على مر السنين ، وما وصلنا منها لا يكاد يذكر.

أما عن سؤال قلة معلوماتنا عن تأليف الإباضية ، فالإجابة عليه أجملها في يلي :

١- كون الإباضية حزبا سريا (١) في أكثر مراحله التاريخية، وطبيعة العمل الحزبي والسري ، وما يتطلبه من كتمان تؤدي إلي صعوبة الوصول إلى الكتب المستوره لديهم.

٢- حروب الإبادة التي كانت تشن عليهم ، وملاحقة السلطة الحاكمة ، والاضطهاد ، والنفي الذي تعرضوا له ، خاصة (من عمال بني أمية بالعراق ، حيث شددوا عليهم خوفا من دعوتهم التي كانت تستشري بين الناس، وتحاشيا للشر قبل وقوعه) (٢) .(ثم انشغالهم بالحروب منذ نشأتهم ، وكانت حروباً قاسيةً ومتتابعة ، وكان من الطبيعي أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف) (٣).

٣- الدول التي استطاعوا تأسيسها، كانت في مناطق نائية، بعيدة عن سائر الأقاليم ، ونائية عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة. (ثم إن طبيعة الفرقة ، الإباضية تفضل الانطواء ، والانغلاق حول نفسها، وتؤثر العزلة على الإحتكاك بغيرها) (٤).

٤- إتلاف العديد عن كتبهم ، فقد قام أحد القادة الفاطميين ضمن سياسة الاضطهاد التي اتبعتها الدولة الفاطمية ضد الإباضية ، بعد أن استولوا على عاصمتهم (تاهرت) ونهبوها ، قام بإحراق المكتبة التي كانت تضم أكثر في ثلاثين ألف مجلداً، أغلبها من الشريعة الإسلامية، وفي شرح المذهب الإباضي ، (وتلك شنشنة كل غالب أن ينتقم من مغلوبه بإبادة تراثه الفكري) (٥).

---

(١) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين د. فاروق عمر ص ٣٧ ط٢ .

(٢) سير الأئمة واخبارهم - لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر تحقيق اسماعيل العربي، ط ٢ ص ٢٢.

(٣) التفسير والمفسرون : للدكتور محمد حسين الذهبي ٣١٧/٢.

(٤) العقيدة والشريعة - جولد تسهير ٢ ص ١٩٤.

(٥) القرآن تفسيره ومفسروه ، السنة روايتها ورواتها عند الإباضية - محمد بن بابه بالحاج ص ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : ندرة الدراسات القرآنية عند الإباضية .

لهذه الأسباب التي أشرت إليها قبل قليل وغيرها (١) ، قلت معلوماتنا عن المؤلفات التفسيرية، والدراسات القرآنية، عند الإباضية وعلى فرض وجودها، فلا بد أن يكون مصيرها مصير أغلب كتب التراث الإباضي. وعلى العموم ، فلم يحظ التفسير عند الإباضية بما حظى به عند غيرهم ، ولم يخلفوا ما خلفته الفرق الأخرى .

فذاكرة التاريخ لم تحفظ لنا شيئا عن تفاسيرهم ، ولا من اشتهر منهم بذلك ، وما هي الطريقة التي ساروا عليها إلا النزر اليسير ، وما وصلنا لا يعدو أن يكون تلخيصا لتفسير آخر، أو نسجا على منوال من سبق. وعليه فإن المصادر على اختلافها إباضية كانت أو غير إباضية ، مشرقية كانت أو مغربية ، لا تسعفنا بتفاسير للإباضية تشفي الغليل ، وهذا بدوره يؤدي إلى غموض واضطراب في الرؤية الحقيقية للتفسير عند الإباضية . ولعل هذه الفرقة بالإضافة إلى ما أشرت إليه آنفا من قلة مصنفاتهم ، كانوا من أولئك الذين يتحرجون غاية التحرج ، ويتهيبون عند تفسيرهم للقرآن الكريم تورعاً، وتحرزاً من الخطأ ، وخوفا أن يتقولوا على الله ـ سبحانه ـ، أو يتأولوا كلامه على غير وجهه. وهذا ليس رجما بالغيب ، فهم من أولئك الذين (يرون الكذب جريمة من أكبر الجرائم ، وبه ـ عند جمهورهم ـ يخرج الإنسان من عداد المؤمنين . فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه) (٢) .

ونقل لنا محقق تفسير الشيخ هود بن محكم ، عن استاذه أنه قال حكى لي أستاذي رواية عن بعض مشايخه أن الشيخ أبانبهان جاعد بن خميس حاول تفسير القرآن، فبدأ من سورة الناس فلما بلغ سورة الحاقه عند قوله تعالى ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل ...**﴾ . (٤٤ ـ ٤٧). قطّع أوراقه ، وترك تفسيره هيبة وخوفا . (٣)

---

(١) حيث لا يمكننا حصر أسباب ندرة التفسير عند الإباضية في أسباب معينه.

(٢) التفسير والمفسرون ـ الذهبي ٣١٧/٢.

(٣) تفسير الكتاب العزيز هود بن محكم الهواري مقدمة المحقق ٣٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتساءل صاحب (١) كتاب القرآن تفسيره ومفسروه عن طريقة تفسير الإباضية، ومن هم أشهر المفسرين منهم ، وما هي أشهر تفاسيرهم ؟ ثم يجيب قائلا : (رغم أهمية السؤال ووجاهته، ومع ذلك فقد لا نستطيع أن نجد له جوابا شافيا مقنعا) . ثم يعلل هذا بأنه لا يعلم أن التفسير قد صنف من حيث طرقه بحسب المذاهب الإسلامية الفقهية والكلامية، فلا يقال ما هي طريقة التفسير الإباضي .. وإنما صنف التفسير من حيث مستنده إلى طريقة الدراية ، وطريقة الرواية، ولعل هذا الكلام غير دقيق ، فإن من الأمور التي يكاد يتفق عليها من أرخوا لنشأة علم التفسير ؛ أنه كان من بين دوافع تلك النشأة ظهور الفرق ، ونصرة المذاهب ، وبيان معتقدها ، والتعصب لها ، فعندما تشتعل حرب المناظرة والجدل بين المذاهب، تتجه إلى محاولة التماس الحجج ، والبراهين لها من القرآن الكريم ، فتفسر آياته بما يتناسب مع أصولها، ولو اقتضى ذلك ليّ أعناق النصوص ، فكل يريد أن يشرح النص ويفهمه تبعا لبيئته، ومنهج فرقته، أو يلجأ إلى التأويل أو الرأي الممنوع. وطبعي أن يكون فكر المصنف واتجاهه متفقا تماما مع أصول مذهبه ، فلا تجد مفسرا يتبنى فكرا ما، إلا وأظهر منهج فكره ومذهبه، فعندها يقوم تفسيره على نظرة خاصة مبتسرة تصدر من زاوية واحدة غير موضوعية.

يقول الشيخ محمد حسين الذهبي: (ورأينا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها وتفسيرها بما يتلاءم مع مذهبها فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه.. ويؤول ما يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعي ، وكذلك يفعل كل صاحب مذهب ، حتى يسلم له مذهبه) (٢) .

ويقول في كتابه الاتجاهات المنحرفة في التفسير : (... وأخيرا وجدنا كل من برع في فن من الفنون يغلب على تفسيره - بصورة - واضحة) (٣) .

وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب النصوص بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه .

---

(١) القرآن تفسيره ومفسروه - محمد بن بابه الشيخ بالحاج ص ٣١ وما بعدها .

(٢) التفسير والمفسرون - الذهبي ٣٦٧/١.

(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير - الذهبي ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : تفاسير الإباضية القديمة قبل الشيخ محمد أطفيش .

ألمحت أنفا إلى الندرة التي تفاجيء الباحث في كتب التفسير عند الإباضية ، وفي الوقت نفسه تجعل الباحث يبتهج ، ويمتلئ حبورا ، كلما وقع بصره على كتاب أو بحث ، أو مقالة ، أو مرجع يذكر شيئا عن تفاسير القوم . وقد حاولت أن أستقصي الدراسات التفسيرية لدى الإباضية ، فاستقرأت كتب طبقات المفسرين القديمة والحديثة، الإباضية منها وغير الإباضية ، وكذلك كتب التراجم والسير، والتاريخ ، للبحث والتنقيب عن أي تفسير إباضي ، سواء أكان مَوجوداً أو مفقودا، ولم أجد إلا ماذكرت ، ولقلة المفسرين الذين استطعت جمعهم سوف أعرض لهم حسب التسلسل التاريخي : -

أولا : تفسير الإمام (١) عبد الرحمن بن رستم الفارسي (١٧١ هـ - ٧٨٧م) .

والإمام عبد الرحمن يعتبر مؤسس مدينة تاهرت الجزائرية ، وأول من ملك من الرستميين ، وهو فارسي الأصل ، وكان من أئمة الإباضيين ، وبطلا من أبطالهم ، معروفا بالزهد والتواضع، والثقافة العالية. قال عنه صاحب معجم المفسرين (كان من فقهاء الإباضية ، وزاهدا ومتوضعا ، على جانب عظيم من العلم ،و العمل والعدل) (٢) . وكل من ترجم لهذا الإمام يذكر أن له كتابا في التفسير لكنه مفقود ، لم يعثر عليه، ومن الجدير بالذكر أن أبا القاسم بن إبراهيم البرادي (من أهل القرن التاسع الهجري) ألف كتابا يشتمل على عناوين الكتب التي ألفها الإباضيون في المشرق. والمغرب ، وحاول أن يستقصي ذلك غاية الاستقصاء .

وعند ذكره لما صنفه الإمام عبد الرحمن بن رستم قال : (له تفسير القرآن يذكرونه ولم ير). وذكر قصة هذا التفسير مجملها أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد العاصي لقي سليمان بن مدرار النفوس قدم من قلعة حماده ، فاخبره أنه ترك في سوق القلعة كتابا في تفسير

---

(١) انظر ترجمته : سير الأئمة لأبي زكرياء يحي ابن أبي بكر ٥٤، تاريخ الجزائر العام عبد الرحمن الجلالي ٢٢/٢ ، الاعلام ٧٨/٤.

(٢) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر عادل نويهض ٢٦٥/١

تاهرت مدينة تقع في غرب الجزائر وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي ٤٠٠ كلم، كانت في القديم عاصمة للدولة الرستمية الإباضية التي أسسها عبد الرحمن بن رستم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن من تأليف الإمام عبد الرحمن بن رستم يُنادى عليه للبيع ، فسافر إليه ذلك الشيخ في حينه ، فلما وصلها ، جعل يسأل عن الكتاب برفق ، وتلطف في السر ، فلقي رجلاً فقال له : طب نفسا عن فواته فقد بيع قبل قدومك . (١) .

ثانيا : تفسير الشيخ هود بن مُحكَمْ الهواري من علماء القرن الثالث الهجري . كتب التراجم والطبقات عندا لإباضية وغيرهم ، لا تعطي ترجمة وافية عن حياة الشيخ هود. إلا أنه يقدر مولده في العقد الأول ، والثاني من القرن الثالث (٢٥٠ - ٣٠٠) (٢) .

عاش في كنف والده القاضي محكم الهواري في جبال اوراس الواقعة في الجزائر. ويعد الشيخ من الطبقة السادسة من طبقة العلماء عند الإباضية وهم الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي . قال عنه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : (هود بن محكم الهواري كان أبوه قاضيا في عهد الإمام أفلح الرستمي ، مولف تفسير القرآن للإباضية الذي وصل إلينا)(٣) . وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) ، عن دار الغرب الإسلامي في بيروت بعنوان (تفسير كتاب الله العزيز) للشيخ هود بن مُحكَمْ الهوارِي ، تحقيق بلحاج بن سعيد شريفي. وجاء هذا التفسير في أربعة مجلدات. المجلد الأول : يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بآخر سورة الأنعام ؛ المجلد الثاني : يبدأ من أوائل سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف ؛ المجلد الثالث: يبدأ من أول سورة مريم إلى آخر سورة الصافات ؛ والمجلد الرابع : يبدأ من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس.ولهذا التفسير قصة كما ذكر محقق الكتاب. فقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرنًا منسيا ، مغمورا إلى أن ظهرت مخطوطاته في بعض الخزائن الخاصة في وادي ميزاب لعلماء في القرون الأربعة الأخيرة ، يحتفظ بها أبناؤهم وأحفادهم . والمؤرخون المعاصرون للشيخ هود لم يشيروا إلى هذا التفسير ، وأ قدم مصدر ذكر فيه هذا التفسير ، هو كتاب السير لأبي زكريا ، ثم ذكره الدرجيني في طبقاته ، وهذان المصدران لم يبينا كيف روي هذا التفسير خلفاً عن سلف. ومن أي الطرق من طرق التلقي والسماع ، وكيف تم نقله حتى وصلت إلينا مخطوطاته، وجميع النسخ التي وصلت إلى المحقق نسبت الكتاب إلى الشيخ هود. ويسجل محقق هذا التفسير نقطة هامة اهتدى إليها بعد التحقيق والاستقراء خلاصتها : أن الشيخ هود اعتمد اعتمادا كليا على تفسير الإمام يحيى بن سلام . يقول المحقق لو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي

---

(١) آراء الخوارج الكلامية - عمّار الطالبي ٢/٢٨٩.

(٢) طبقات الدرجيني ٢/٣١٩

(٣) تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين . ١/٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدته لكان العنوان: (تفسير الشيخ الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري). وذلك لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود، ما من ذلك شك وهذا عين الحقيقة والصواب. وابن سلام توفي سنة (٢٠٠هـ -) ، والهواري توفي بعده بنحو ثمانين سنة ، ولا بد أن يكون المتأخر هو الذي أخذ عن السابق. ويواصل محقق الكتاب تساؤله : لماذ ا لم يشر الشيخ هود إلى تفسير ابن سلام ؟ ثم يحاول أن يجلي الإجابة عن هذا التساؤل ؛ فيستبعد أن يكون الشيخ هود هو الذي كتم هذه العلاقة ، وينفي كذلك أن يكون هذا من تلاعب النساخ. ثم يرجح أن الشيخ هود قد أشار في مقدمة تفسيره إلى ذلك ، والنساخ قد نقلوه ، ولكن الورقات الأولى من مخطوطات هذا التفسير قد ضاعت ولم تصلنا، فإن أقدم مخطوط وقع بين يدي المحقق يرجع إلى القرن الحادي عشر وهي مخرومة من أولها .

تفسير ابن سلام ومنهجه.

يجدر بنا أن نلمح إلى أن تفسير ابن سلام يُعَدُّ (أقدم تفسير تناول القرآن الكريم كاملا بالشرح، إذ هو من القرن الثاني للهجرة) (١) واعتبره الشيخ الفاضل بن عاشور أقدم التفاسير الموجوده اليوم على الإطلاق . وأنه يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي ، أو الأثري التي سار عليها بعده الإمام ابن جرير واشتهر بها ، ثم قدم الشيخ الفاضل ابن عاشور - رحمه الله - وصفا لنسخ تفسير ابن سلام. فقال : أنه يقع في ثلاث مجلدات ضخمة . بني على إبراز الأخبار مسندة،ثم تعقبها . بالنقد والاختيار،فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتتحا اسنادها بقوله(حدثنا)، يأتي بحكمه الاختياري مفتتحا بقوله : (قال يحيى) ، ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي ، والتخريج الإعرابي . (٢). ولكن كيف وصل هذا التفسير إلى الشيخ هود واختصره، وما الغرض من عمله هذا ؟ . تكاد تجمع المصادر على أن تفسير ابن سلام سمع بالقيروان ، ورواه الناس عنه مباشرة ، فكان هذا التفسير الكامل في ذلك العصر قد ذاع صيته ، ولكن مؤلفه بصريٌ استوطن القيروان ، وعاش في أوساط علمية، فهو يقدم ثمرة علمه تفسيرا قريبا عهده بالمنابع الأولى من الكتاب والسنة ، عالياً سنده في الرواية، وكان الشيخ هود قد رحل إلى القيروان لتلقي العلم ، فوجد الكتاب بين يديه يستفيد منه ، إلا أن فيه قضايا تخالف منهجه، ومذهبه الإباضي ، فأعاد الشيخ هود النظر في هذا التفسيرواستبدل آراء ابن سلام بآراء الإباضية وأصولهم مع زيادات وإضافات أُخر . ومما يؤسف له أن الشيخ هوداً قد اختصر سلسلة الإسناد أو حذفها ، واكتفى بذكر الصحابي ، واحيانا يحذف الأحاديث والأخبار التي لا تتفق ومذهبه.

---

(١) التصاريف - تفسير القرآن بما اشتبهت ، اسماؤه وتصرفت معانيه يحيى بن سلام، تحقيق د. هند شلبي المقدمة.ص ٦٢

(٢) التفسير ورجاله - ٤٢ - ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيرا ما يقع القارئ في وهم وخلط. في اختصار الشيخ هود فيقول : ذكر عن بعضهم، أو : قال بعضهم ، وربما قال : ـ أحيانا ـ بلغني كذا وكذا ، فيظن أن العبارة من قول الهواري ، ولكن عند المقارنه يتبين أن العبارة لابن سلام.

ومنهج الهواري في تفسيره المطبوع حديثا فقد جاء وسطا بين الاطناب والإيجاز ، وكان شاملا لآيات القرآن كلها. وجمع بين التفسير بالرأي ، والتفسير بالمأثور؛ يفسر المفردة القرآنية ويشرحها شرحا لغويا موجزا دون الإكثار من الأعاريب ، يورد الأحاديث الضعيفة ، والروايات الواهية دون التعليق على صحتها أو ضعفها . أسلوبه سهل ميسر ، بعيد عن التعقيد، ينسج على منهج الإباضية في الأصول .

وقبل أن أغادر هذا التفسير أود أن أشير إلى ما كتبه صاحب كتاب القرآن تفسيره ومفسروه عند الإباضية عن تفسير الشيخ هود . حيث يقول : (وقيل إن هود بن محكم الهواري قاضي الإمام عبد الوهاب بن عبدالرحمن على الأوراس كان له تفسير للقرآن ، وإن كان ذلك يحتاج إلى تثبيت وتحقيق). (١) . والكلام هنا فيه نظر من قضيتين . الأولى : أنه قال عن الشيخ هود إنه كان قاضيا للإمام عبد الوهاب، والصواب أن أباه هو الذي تولى القضاء ، ولم يتول هو القضاء ، أما قوله:إنه كان قاضيا للإمام عبد الوهاب ، فهو لا يصح تاريخيا ،فأبوه الشيخ محكم الهواري تولى القضاء في ولاية ابن الإمام عبد الوهاب، وهو أفلح بن عبد الوهاب ثالث الأئمة الرستميين (٢٠٨هـ ـ ٢٥٨هـ) (٢) . فكيف تولى الشيخ هود نفسه القضاء للإمام عبدالوهاب الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه ، وكما قدمت فإن مولد الشيخ هود يقدر في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث ، فهل سبق الشيخ هود والده في القضاء !!.

أما الثانية : فإنه يفهم من كلام صاحب الكتاب المذكور التشكيك في صحة وجود هذا التفسير ، مع أنه ذكره أصحاب السير والتراجم ، والمهتمون بهذا الفن عند الإباضية وعند غيرهم. وقد اطلع الشيخ الذهبي على بعض نسخ هذا المخطوط ـ قبل أن يطبع ـ كما ذكر ذلك في كتابه التفسير والمفسرون .

---

(١) القرآن تفسيره ومفسره عند الإباضية . ٣٦ الاوراس جبال في القطر الجزائري ..

(٢) إخبار الأئمة الرستميين ـ ابن الصغير ٥٠ ـ ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : تفسير محمد بن يانس .

ذكره صاحب(١)طبقات المشايخ في الطبقة الخامسة التي عاشت بين(٢٠٠ ـ ٢٢٥ هـ) وأشار إليه ابن الحاج في التفسير (٢) عند الإباضية ، وذكر أن هذا العالم كان مشهورا عندهم في التفسير ؛ لكنه طرح التساؤلات التالية : هل ترك تفسيرا ؟ وأين هو ؟ وعلى أي طريقة ؟ ، ومن أي مدرسة ؟ ثم يقول : لا علم لنا بشيء من ذلك ، اللهم إلا عن طريق الحدس والتخمين. ومن المحتمل جدا أن يكون تفسيره قد ذهب ضحية ، وطعمة للنيران مع التراث الفكري الضخم الذي كانت تزخر به مكتبة (المعصومة) بتاهرت في عصر الدولة الرستمية، وذكره صاحب كتاب الخوارج في بلاد المغرب وقال عنه: ابن يانس ذائع الصيت في التفسير ، ولم يذكر له تفسيرا (٣).

رابعا : تفسير أبي المؤثر الصلت بن الخميس العُماني

اشتهر في النصف الثاني من القرن الثالث ، ذكره البرادي ضمن تآليف إباضية المشرق ، وذكر أن له تفسيرا لخمسائة آية في الحلال والحرام ولم يقف عليه (٤) . وعده السيابي من فقهاء عمان ، ومشاهيرهم الأجلاء. (٥). وذكره المستشرق (ليفيكي) ، وأشار إلى أن له تفسيراً (٦).

---

(١) طبقات الدرجيني ٢/٢٩٦.

(٢) القرآن ومفسروه عند الإباضية ص ٣٦ .

(٣) الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع للهجرة. د. محمود اسماعيل عبد الرزاق ط١ ص ٢٣٣.

(٤) آراء الخوارج الكلامية ـ عماد الطالبي ٢/٢٩١.

(٥) أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج ـ ٥١.

(٦) مجلة عالم الكتب عدد (١) سنة (١٩٨٤م) ص ٨٧ موضوع بعنوان (الإباضية في أعمال المستشرق (البولوني تادوز ليفيكي).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا : (تفسير الدراية وكنز العناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائه آية) (١).

للعلامة محمد بن الحواري العماني ، من علماء القرن الثالث والرابع للهجرة. والكتاب توجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية ، وهو مازال . بخط اليد ، يقع في مجلد واحد في (٢٩٦) صفحة ، من القطع الوسط ـ ولعل هذا الجزء الأول وله تكملة (٢) ـ أما منهج صاحب هذا التفسير ؛ فإنه يذكر الآية ويفسر مفرداتها ، ويستشهد ببعض الأحاديث التي تختص بالآية، ويسند ذلك بأقوال الصحابة والتابعين ، وأقطاب المذهب الإباضي ، وعرضه للآيات ، وبيان أحكا مها كان سطحيا ، وغير عميق ، فليس فيه مادة فقهية علمية رصينة .

واقف هنا وقفة يسيرة عجلى لأقول لعل هذا التفسير للحواري هو نفسه الذي نسب لأبي المؤثر الصلت بن الخميس ، فكأنه حصل خلط فبعضهم ينسبه للحواري ، وبعضهم ينسبه لأبي المؤثر وهو استاذ الحواري ، فالخلط حصل بين الأستاذ وتلميذه ، والنسخة التي اطلعت عليها تنسب الكتاب للحواري ، والأمر يحتاج إلى بحث وتحقيق.

سادسا : تفسير أبي يعقوب بن يوسف إبراهيم الوارجلاني

(ت ٥٧٠ هـ = ١١٧٥ م) إباضي من أهل المغرب ، ارتحل إلى الأندلس، وسكن قرطبة ، وفيها حصّل علوم اللسان ، والحديث ، والتنجيم وغيرها. له مصنفات عديدة ، وقد ذكره الزركلي في الاعلام ولم يذكر له تفسيرا ، وقد اطلع أبو القاسم البرادي على جزء من هذا التفسير واعجب به ، وتأسف على فقدانه، ووصفه قائلا : (وجدت في بلاد أريغ سنة ست وثمانين من مائتنا هذه (٣) سفرا في تفسير الفاتحة ، والبقرة ، وآل عمران ، أحسب أنه بخطه ولم أرَ سفرا في تفسيرأضخم منه، لاتسعه اليد ، ولا يوضع إلا في الحجر ، ولم أرَ أبلغ منه في إعراب ، ولا في لغة ، ولا تصريف ، ولا في فقه ، ولا في اختلاف في قواعد الدين ، ولا في غير

---

(١) قيل إن آيات الأحكام في القرآن قدر خمسمائه آيه وقيل أقل وقيل أكثر انظر أحكام القرآن لابن العربي المستصفى للغزالي ٤٧٩، روضة الناظر لابن قدامه ٣١٩.

(٢) فقد عددت الآيات التي جاءت في هذه الكتاب فإذا بها لا تتجاوز (١٥٠) آية .

(٣) يقصد المائة الثامنة (٨٦٦هـ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك من علوم القرآن ... ، ومن ضعف بخت (١) أهل هذا المذهب التغافل عنه حتى اندرس ، وذهب ولم توجد منه عندهم نسخة واحدة (٢). ولعل مسيرة التفسير عند الإباضية القدامى قد توقفت عند هذا القرن ، وأصابها التدهور، والضعف ، والجمود ولم تستطع مواصلة مسيرتها حتى جاء عصرنا الحاضر.

خامساً: التفاسير الإباضية الحديثة :

أما التفاسير الحديثة والتي تقدمها الإباضية نموذجا للتفسير عندهم ، وتضعها بين أيدي قرّائها غير تفاسير محمد أطفيش فهي : -

١- تفسير الإمام ابراهيم بن عمر بيوض (ت ١٤٠١ -١٩٨١م) . وهذا التفسير كان يلقيه الشيخ على شكل دروس . حيث (ظل يفسر القرآن الكريم لأكثر من نصف قرن في مسجد القرارة في وادي ميزاب بالجزائر، يث اختتمه سنة (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).قبل وفاته بقليل).(٣) وعند اختتامة أقيم له حفل على مستوى الجزائر ، وتفسيره هذا مودع في أشرطة التسجيل ، ويزمع إخراجه إلى الوجود، وقد اختير له عنوان (في رحاب القرآن) . ولعله على غرار في ظلال القرآن . وذكره صاحب (٤) القرآن تفسيره ومفسروه عند الإباضية فقال: لقد درّس الشيخ التفسير تدريسا وسط المسجد في درس عمومي لكافة المسلمين في البلد، ولم يؤلفه تأليفا، وكان يحضرلدرس الشيخ مئات من مختلف الأعمار، والطبقات ، وعلى المدرس في مثل هذا المجتمع أن يفيد الكل بحسب مواهبه ومداركه ؛ ولذلك كان الشيخ ينحا في تفسيره جانب الادكار، والاعتبار مبرزا جانب الهدى والإرشاد ، فيطنب في إظهار جانب التناسب بين القرآن ومتطلبات الحياة المعاصرة ، ومقتضياتها ، ويركز على جانب التربية والتثقيف للإنسان،

---

(١) هكذا جاءت هذه الكلمة (بخت) فإن كانت هي المرادة فمعناها (الحظ) لسان العرب لابن منظور ١٠٨/٣. وقد يكون تصحيفاً في الكلمة وهي في الأصل (بحث) .

(٢) آراء الخوارج الكلامية - ملحق البرادى ٦٩٣/٢.

(٣) جواهر التفسير الشيخ أحمد الخليلي ٩٣/١.

(٤) القرآن ومفسروه /ص ٤٣-٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتزكيته فردا ومجتمعا بمحاربة الرذائل ، والآفات الاجتماعية، وغرس المكارم والفضائل ، كما يعنى بالجانب المادي بين الناس من حيث المعاملات الجائزة والممنوعة ، خاصة الناحية الاقتصادية، يعرض الشيخ عن المباحث اللغوية والنحوية إلا في بيان بعض النكت في تقديم لفظ على آخر ، أو في استعمال فعل أو حرف بدل غيره ، مما قد يرادفه، أو يظن قيامه مقامه، وطريقته في عرض قصص الأنبياء جمع كل النصوص الواردة في القرآن في خصوص تلك القصة حتى تكتمل أحداثها ، ووقائعها ، يخلو تفسيره من الإسرائيليات ، ويتجنب الإطالة في المسائل الفقهية ، إلا في بعض السور التي قصد منها التركيز على مكانة الأسرة والمجتمع، ثم يقوم هذا التفسير فيقول: وإذا صح أن نشاكل تفسير الشيخ بيوض المسجل ببعض التفاسير المطبوعة المعروفة من حيث روحه ومنهجه وغاياته، فإننا نشاكله بتفسير المنار من حيث المنحى الاجتماعي ، والحكمي ، والسياسي ، والاقتصادي. ونشاكله بالظلال من حيث روحه ، وأثره في إصلاح الفرد بتعميق العقيدة في نفسه، وطبع مكارم الأخلاق في سلوكه ، فردا وجماعة (١) . وهذا بلا شك ، تقييم واسع ، مبني على اطلاع . فهل حضر ابن الشيخ تلك الدروس ، أو أنه تمكن من سماع تلك الأشرطة؟ فلم يوضح لنا على أي مصدر اعتمد في بيان منهج هذا التفسير وتقويمه له.

٢- وممن لهم إسهامات معاصرة في التفسير عند الإباضية ، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان (معاصر) ؛ فهو يقوم بتصنيف تفسير بعنوان (**جواهر التفسير انوار من بيان التنزيل**) صدر منه إلى الآن فيما أعلم ثلاثة مجلدات ، وصل فيها المؤلف إلى تفسير قوله تعالى ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ...﴾ البقرة (٩٦).

والمجلد الأول صدرعام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، والمجلد الثاني عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، والثالث عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م ، ، وقدم له بمقدمة استغرقت نصف المجلد الأول تقريبا، تحدث فيها عن التفسير وعلومه ومسا لكه، ومصادره، وأطواره، ثم أعطى فكرة تناول فيها الإعجاز ووجوهه، وأطال النفس في ذلك . ووقف الشيخ مع كثير من المفسرين أثناء تفسيره، مادحا، أو متعقبا ، أو شارحا لا قوالهم ، وعلى رأسهم الزمخشري، وابن عطيته ، وأبو حيان ، والرازي ، والأصفهاني، والآلوسي . وأنحى باللائمة على المفسرين المحدثين في متابعتهم للمفسرين القدامى دون تحقيق لأقوالهم ، خاصة القاسمي ، وابن عاشور، ومحمد أطفيش.

---

(١) القرآن تفسيره ومفسروه ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ محمد بن أطفيش ومؤلفاته في التفسير

فسر الإمام محمد القرآن الكريم ثلاث مرات ، وخلف تراثا تفسيريا جعله أكثر علماء الإباضية تأليفا في هذا المجال ، وسأتحدث هنا عن أهم كتب التفسير التي تركها الشيخ ، لما لها من أهمية في بيان ما وصل إليه الإباضيون في آرائهم التفسيرية، فتفاسير الشيخ هي النماذج التي تقدمها الإباضية لتفاسيرها. وترتيب هذه التفاسير ، كما رأيتها كالآتي :

أولا : هميان الزاد إلى دار المعاد.

واللفظ الصحيح لهذا التفسير هو هذا الاسم الذي أثبته ، لأن كثيرا من الكتب تورده بيائيين قبل الميم وبعدها (هيميان) ، فيكون في الهيم والهيام والجنون ، والعشق ، ورجل هيمان: محب شديد الوجد(١) .وكثيرا ماذكره في تفسيره التيسير بلفظه الصحيح وهو هميان بياء بعد الميم وهو بمعنى شداد السراويل . ووعاء الدراهيم وكيس النفقة.(٢) **والهميان:** تفسير كامل للقرآن الكريم طبع عدة طبعات. قال مقدم هذا التفسير (إن هذا التفسير رأى النور منذ ستة وتسعين سنة عندما طبع الطبعة الأولى في زنجبار سنة ١٣٥٠هـ) (٣) وهناك خلط في عدد مجلدات هذا التفسير ، فقد ذكر الشيخ (٤) الذهبي - رحمه الله - أنه ثلاثة عشر مجلدا ، وذكر الزركلي (٥) في الإعلام أنه اربعة عشر مجلدا . ويؤكد ذلك صاحب (٦) كتاب القرآن تفسيره ومفسروه أنه يقع في أربعة عشر مجلدا، يناهز الواحد منها الستمائه صفحة أو تزيد .

وأما النسخة التي اطلعت عليها والموجودة في مكتبة نادي سلطنة عُمان ، فجاءت في خمسة عشر مجلدا، طبعت سنة(١٩٩١م) دون تحقيق وهذا التفسير هو أقدم تفاسير الشيخ وأكبرها، وأول عمل تفسيري قام به ، وكان ذلك في ريعان شبابه (وصغر سنة) كما صرح بذلك في المقدمة ؛ وحوى فيه ما هب ودب استهل الشيخ محمد أطفيش رحمه الله - تفسيره الهميان بالبسمله ، والصلاه والسلام على رسول صلى الله عليه وسلم ، ثم حمد لله - سبحانه وتعالى - ، ثم أعلن مذهبه ولخص منهجه قائلا : (فهذا تفسير رجل يسجني ، اباضي ،وهبي

---

(١) لسان العرب - ٦٢٦/٢،جمهرة الغة لإبن دريد ١٨٢/٣

(٢) القاموس المحيط - الفيروزآبادي ٢٨٠/٤.تاج العروس - الزبيدي ٣٦٧/٩ وقال ابن دريد في جمهرة اللغة واحسبه فارسياً معرباً ١٨٣/٣.

(٣) الهميان ٣/١.

(٤) التفسير والمفسرون ٢١٦/٢

(٥) الاعلام - الزركلي ١٥٧/٧.

(٦) محمد ابن الشيخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه ولا يقلد فيه أحداً . إلا إذا حكى قولا ، أو قراءة ، أو حديثا ، أو قصة ، أو أثراً لسلف ، وأما نفس تفاسير الآيات ، والرد على بعض المفسرين ،.والجواب فمنه إلا ما تراه منسوباً ، وكان ينظر بفكره في الآية أولاً ، ثم يوافق نظر جاء الله والقاضي ، وهو الغالب والحمد لله ـ وتارة يخالفهما ، ويوافق وجهاً أحسن مما أثبتناه أو مثله ، وذلك من فضل الله الكريم ويتضمن ـ إن شاء لله ـ الكفايه فى الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه .وإيضاح مذهب الإباضية الوهبية، واعتقادهم وذلك بحجج عقلية، ونقلية) (١).ومما أحب أن الفت النظر إليه وأقف عنده ، ولا أوافق الشيخ عليه ، ادعاؤه أنه لا يقلد فيه أحداً ، ولم يستعن فيه بتفسير ، وأنه يعتمد فيه بعد الله ـ سبحانه ـ على فكره ولتوضيح هذه المسأله أقول : مما لا شك فيه أن جميع المفسرين خاصة المتأخرين قد أفادوا من كتب وتفاسير المتقدمين ونقلوا عنهم فمن المتعارف عليه أن الخلف يأخذ عن السلف ، بل جعل العلماء من شروط المفسر الاطلاع على ما كتبه غيره . فلا يجوز الخوض في تفسير القرآن الكريم إلا بعد النظر فيما ذكره من قبله . (وقد شنع العلماء على من يزعم لنفسه الاستقلال بالتفسير ، ويدعي الاستغناء عمن سبق من أقوالهم) .(٢) وقد نقل الزركشي في البرهان عن القاضي شمس الدين الخويّي قوله : (واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبت هذا ، وما طالعت شيئا من الكتب ، ويظن أنه فخر ، ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ، فإنه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله . فبماذا يفتخر؟) (٣).

وقال ابن عاشور (والتفاسير وإن كانت كثيرة، فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق . بحيث لاحظّ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار ، وتطويل) (٤) .

وتفاسير الشيخ محمد أطفيش وجدتها وأنا أخوض غمار بحثها وفيرة النقول عن تفاسير القدامى ، مليئة بأسماء مفسرين تتلمذ الشيخ على تفاسيرهم . والشيخ وإن كانت بيئته إباضية إلا أنه أفاد من كتب غيرهم ، وحازت كتب أهل السنة قصب السبق. وهنا يجدر بي أن أضع احترازاً ، مؤداه أنني لا أتهم الشيخ ـ رحمه الله ـ في علمه، وأمانته ! ولكن الذي يظهر أن الشيخ لا يعتبر ذلك شيئا يُؤاخذ عليه المؤلف. كما هي عادة المتقدمين في النقل أو أنه كانت تمر به العبارات والجمل أثناء مطالعاته الواسعة فيحفظها ويذهل فيما بعد عن نسبتها إلى أصحابها ظاناً أنه لم يسبق إلى ذلك .

---

(١) همیان الزاد ١/٥.

(٢) بحوث في تفسير القرآن الكريم محمد ابراهيم شريف ٥١.

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي ١٦/١ نسبه الى خوى مدينة بأذبيجان ١٨٣/٥..

(٤) التحرير والتنوير ابن عاشور ٧/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجه في الهميان

درج الشيخ في مقدمة تفسيره للسورة بذكر اسم السورة ، وعدد آياتها ، وكلماتها وحروفها ، وبيان مكيها ومدنيها ، والاختلاف في ذلك ثم يسوق جملة أحاديث في فضل السورة ومزاياها، وأحيانا يخص ذلك بآيات بعينها كما فعل في تفسير آية الكرسي ، وأواخر آيات سورة البقرة والذي يسبر أغوار هذا التفسير ، لا يجد لصاحبه منهجا ، وأسلوبا واحدا يغلب عليه ، فإنه أحيانا يقدم المأثور ، وأحيانا يبين أسباب النزول ، أو الناسخ والمنسوخ ... وهكذا . ثم يخوض في شرح الآيات (فيغرق في المباحث اللغوية والصرفية ، يحاول أن يخرج الآية على كل الوجوه المحتملة في إعرابها ، وتجذبه التخريجات البلاغية في التراكيب المجازية ، والاستعارات يجريها على مختلف الوجوه المحتملة لها) (١). ويتوسع في المسائل الفقهية ، ويستطرد في آيات معينة إلى مباحث مجالها مدونات الفقه، ولذلك نجد (كثيرا من المباحث الفقهية برمتها واردة في شرح النيل، كما هي واردة في التفسير) (٢). وقد وجد الشيخ المجال واسعا في تفسيره هذا ليبث آراء مذهبه ، ويشنع على مخالفيه ، كما فعل في أكثر من موضع (٣) وأحيانا يخالف مذهبه كما فعل في قضية الإيمان ، فبعد أن ذكر عدة أقوال وناقشها ، واختار أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب. (يقول : ولست في ذلك قاصدا لمخالفة أصحابنا - رحمهم الله - ، ولكن ذكرها أدى إليه اجتهادي) (٤) وقد خلط الشيخ محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون في هذه القضية، فظن أن الشيخ أطفيش قد ساير أهل مذهبه في هذه المسألة، فقال رحمه الله (إنه يحاول محاولة جدية في تحقيق إن العمل جزء من الإيمان ، ولا يتحقق الإيمان بدونه) (٥) . مع أنه رحمه الله نقل نصا لابن أطفيش في سورة البقرة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وبشر الذين آمنوا** ..﴾ البقرة (٢٥) يدل على أن ابن أطفيش يرى إن العمل شرط كمال للإيمان لا شرط صحة ، فلم يجعله جزءا منه. (٦) ولكن الشيخ الذهبي لم تفته هذه فيما بعد، فتنبه لهذا الخطأ (الفكري)(٧) .

---

(١) القرآن تفسيره ومفسروه عند الإباضية ٣٩.

(٢) المصدر السابق .

(٣) هميان الزاد ٣٦١/٦.

(٤) المصدر السابق ١٩٦/١ وما بعده .

(٥) التفسير والمفسرون الذهبي ٣٢٢/٢.

(٦) هميان الزاد ٣٦١/١

(٧) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن ، محمد حسين الذهبي ص ١١١ - ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونعود إلى منهج الشيخ فنرى أنه يهتم بالقصص الغريبة العجيبة ، والإسرائيليات ، مما جعل علماء المذهب الإباضي المعاصر ينتقدونه على ذلك ، بل أني سأستبق الحديث هنا عن تفسير تيسير التفسير لأقول إن سبب تأليفه كما قال أنه (لما تقاصرت الهمم أن تهيم بهميان الزاد .. أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل) (١) . والذي يفهم من كلامهم الشيخ أنه اشفق من ضخامة الهميان وما فيه فكل من اطلع على تفسيره الهميان، وغامر بالقراءة فيه، ينتقد مؤلفه ، ويتمنى أن الشيخ لو لم يفعل ما فعل ، حتى أن الباحثين الإباضيين انتقدوه في صنيعه هذا معلنين ذلك غير مستخفين ، ولم يتغاضوا عن هذا المأخذ ، فهذا الشيخ أحمد الخليلي وهو واحد منهم يأسف لما ملأبه ابن أطفيش تفسيره من قضايا يرفضها العقل ، ويصادمها النقل ، ثم يقول: (وتنبه لذلك بنفسه، وأسف بعد فوات الفرصة ، بسبب انتشار الكتاب ، فاستدرك ذلك بتأليف تفسيرين آخرين خالصين مما يشوب الهميان. أحدهما (داعي العمل ليوم الأمل) ، وثانيهما (تيسير التفسير). ومن حيث أن الهميان من بواكير عمل مؤلفه رحمه الله، كانت عنايته فيه بجمع ما قيل قبله أكثر من عنايته بالبحث والتمحيص)(٢).

ثم يذكر الشيخ الخليلي أنه سمع أن القطب تمنى لو أمكنه جمع نسخ هذا الكتاب لتمزيقها. وعلق على ما سمع بقوله : (هيهات ذلك ، فقد ملك السهم قصده، بعدما طبع وانتشر في أنحاء مختلفة) (٣).

فهذه الرواية ـ إن صحت ، وليس هناك ما يبعدها من الصحة ـ تدل على مدى ما وصل إليه الشيخ ابن أطفيش من نقده لكتابه. ولعل ثقافة الشيخ الواسعة ، وقوة حافظته، واطلاعه على كثير من العلوم ـ فقد كان عالما موسوعيا بمعنى الكلمة ـ كل ذلك أغرى الشيخ بالخوض في موضوعات ليس لها علاقة بالتفسير ، لا من قريب ولا من بعيد ، ولو اقتصد الشيخ لأعفى نفسه من كثيرا من الحرج .

---

(١)تيسير التفسير ١/٧ .

(٢) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل الشيخ أحمد الخليلي. ١/ ٣٧.

(٣) جواهر التفسير ١/٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: تفسير داعي العمل ليوم الأمل.

وهو تفسير غير كامل للقرآن الكريم ، يبتدأ من سورة الرحمن إلى سورة الناس، وهو ما زال مخطوطا بخط المؤلف ولم يطبع.

وقد اطلع الشيخ الذهبي على أجزاء من هذا التفسير، فأدع الكلام له حيث يقول رحمه الله : (وأما تفسير داعي الأمل ليوم الأمل ، فلم يتمه مؤلفه ؛ لأنه عزم على أن يجعله في اثنين وثلاثين جزءا ، ثم عدل عن عزمه هذا ، واشتغل بتفسير هميان الزاد إلى دار المعاد.

وقد أطلعني محدثي على أربعة أجزاء من تفسير داعي العمل ، في مجلدين مخطوطين بخط المؤلف ، أما أحد المجلدين: فإنه يحتوي على الجزء التاسع والعشرين ، والجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب، وهو يبدأ بسورة الرحمن، وينتهي بآخرسورة التحريم. وأما المجلد الثاني: فإنه يحتوي على الجزء الحادي والثلاثين ، والجزء الثاني والثلاثين وهو يبدأ بسورة تبارك ، وينتهي بآخر القرآن . وقد وجدت بالمجلد الأخيرورقات فيها تفسير أول سورة (ص) ويظهر - كما قال محدثي - ان المؤلف قد ابتدأ تفسيره هذا بسورة الرحمن إلى أن انتهى إلي آخر سورة الناس، ثم بدأ بسورة (ص) ووقف عندها ولم يتم) (١) . وقد جعلت هذا التفسير ثاني تفاسير الشيخ ، ووسطته بين الهميان والتيسير ، لأنه بد ا لي أن الشيخ اطفيش قد صنف أولاً الهميان ثم اشتغل بداعي العمل ولم يتمه ثم بدأ بالتيسيرخلافاًلما قاله الشيخ الذهبي حيث جعل داعي العمل أول تفاسير الشيخ دون بينة على ذلك وخلافاً لما قاله ،بعض المترجمين للشيخ من أن داعي العمل هو آخر تفاسير محمد أطفيش .والدليل على ما ذهبت إليه، أن الشيخ نفسه في مقدمة التيسير عند بيانه سبب تأليفه للتيسير ، أبان أن الهمم قد تقاصرت عن الهميان، وتكاسلت عن داعي العمل ، وذكر الشيخ أطفيش في ثنايا تفسيره ، أنه قد مضى من البعثة النبوية إلى زمن تأليفه للتيسير ألف وثلاثمائه وثلاث وعشرون سنة ، والشيخ توفي سنة ألف وثلاثمائه واثنتان وثلاثون ، فما بين تأليفه ووفاته عشر سنوات .

ثالثا: تيسير التفسير:

هذا التفسير هو آخر تفاسير الشيخ ، فيه النفخة الأخيرة من أنفاسه ، والومضة الأخيرة من فكره، والنزعة الأخيرة من تيسيره وتسهيله، وهو الذي بين يدي ، أتصدى لبيان منهجه، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، طبع عدة طبعات ، وصدرت الطبعة الأولى منه بين سنتي ١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ في بلاد المغرب بالخط المغربي وبين تصنيفه وطبعه سنتان تقريبا .

---

(١) التفسير والمفسرون ٣١٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن أصبح اقتناؤه غير ميسور ، قامت وزارة التراث القومي والثقافة العُمانية بإعادة طبعة ، وصدر بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) . وجاءت هذه الطبعة في خمسة عشر مجلدا ، ومما يؤسف له أنها طبعت بدون تحقيق أو ترتيب أو عناية ، وبلغت صفحات هذا التفسير(سبعة آلاف وثلاثمائة واثنتان وثمانون صفحة) (٧٣٨٢) صفحة .

سبب تأليفه :

ذكر الشيخ في مقدمة هذا التفسير التي لا تتجاوز نصف صفحة، السبب الذي دفعه إلى تصنيف هذا التفسير فقال: (فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إل دار المعاد الذي ألفته في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل ، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل ، فإن شاء الله قبله بفضله وأتمه قبل الأجل) . (١) وقد أشرت من قبل إلى أن الشيخ أشفق من ضخامة الهميان، وأحس بأنه أثقل على الهمم بما ملأه به ، وأدرك أن تجربته في الهميان لم تلق حظها من القبول ـ حتى ولو بين أتباع المذهب ـ .

فقد ألفه قبل أن تكتمل مواهبه وولعَ بالكَم وأغفل الكيف، وتوعَر فيه، وأدرك أنه قد تعثر. لهذه الأسباب وغيرها، كان لا بد من إعادة النظر . فقصد إلى طريقة التعديل والاجتزاء ، والتخفيف والاختصار ، خاصة على طلبة العلم الإباضي وكم وعد الشيخ تلامذته، وبشرهم بقدوم تفسير جديد، حيث قال في كتابه كشف الكرب أثناء حديثه عن الأخذ بروايات المخالفين للمذهب حين سئل : هل يجوز إدخال مسائل قومنا في كتبنا ؟ . فأجاب قائلا : (المنع. ولكم والحمد لله الرحمن الرحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم إن شاء الله عن تفسير غيره ، فان ذكرت مذهبهم فإما لأرده ، وإما لأنه حق ، وقد اعتقدناه قبل أن نراه ، ولست مقلدا لأحد ولا سيما التيسير الذي قرب إن شاء الله الرحمن الرحيم كماله ، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه لأنه غير طويل ، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطولات والحمد لله) (٢) . لهذا السبب، وللسبب الذي ذكره في المقدمة يتجلى لنا الهدف من تأليفه هذا التفسير ، والذي يفهم من كلام الشيخ أن هذا التفسير والذي سماه تيسير التفسير هو تفسير جديد، يختلف عن التفسيرين السابقين . ولكن الشيخ محمد حسين الذهبي يرى أن تيسير التفسير هو خلاصة ما في الهميان حيث يقول : (.. وأما تيسير التفسير ، فهو في الحقيقة خلاصة لما تضمنه هميان الزاد، فلم يكن الكلام عنه بمعطينا فكرة جديدة عن التفسير عند الإباضية ، أو عند مفسره على الأقل) (٣)

---

(١) تيسير التفسير ١/٧

(٢) كشف الكرب ١/٩٥

(٣) التفسير والمفسرون ـ ٢/ ٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ما ذهب إليه الشيخ الذهبي لا يصح ولا يستقيم ـ ونقدم قبل ذلك اعتذارا من الشيخ الذهبي من أن نوافقه فيما ذهب إليه ، فقد تسرع في إصداره الأحكام على هذا التفسير دون تحقيق ، أو تمحيص ، أو دراسة كافية. ولا أظن أن الشيخ الذهبي قد عقد مقارنه بين التفسيرين ، وقابلهما مع بعضهما البعض ، واستقرأهما غاية الاستقراء ، وإلا لما أصدر هذا الحكم . فالذي يحاول أن يقارن بين التفسيرين يجد بينهما فروقا واضحة في الشكل ، والمضمون ، والأسلوب دلالة على أنه تفسير جديد كما أشار إلى ذلك مؤلفه. عندما رأى جفاء أهل زمانه (للهميان) عمد إلى التيسير والتسهيل ، وحاول أن ينزل إلى مستوى أهل زمانه، ويعالج ما وصلت إليه الأمة من ضعف ، ويدعو إلى مقاومة الاستعمار ، ونبذ الفرقة ، والتخلي عن كثير من قيود التقليد ، والتعصب المذهبي . وبحث فيه أُطراً جديدة لم يتطرق إليها في الهميان وقد اشتهر التيسير شهرة واسعة أكثر من (الهميان) ، وأصبح في متناول الأيدي ، وبين طلبة العلم .

وأخيراً فإن التفسير الذي يصنفه الفتى الشاب الناشئ ، والذي يريد أن يظهر فيه ما لديه من ثقافة عاليه ، فيجمع ما يستطيع جمعه ، يختلف عن تفسير صنفه ذلك الشيخ الذي عَركَ الحياة ، ولمس تقاصر الرغبات عن المطولات ، وأصبح على مستوىً رفيع من العلم ، والفكر الناضج ، والأسلوب المتروي المتميز .

وبعد فهذا عرض سريع ، وإيجاز لرصد جهود الإباضية في التفسير منذ اكتمال نشأتهم ، وتأصيل مذهبهم إلى يومنا هذا .

وهذه هي أسماء مؤلفاتهم ومؤلفيهم ، والتي استطعت أن أعثر عليها بعد أن تصفحت كتب القوم خاصه ، وكتب الفرق ، وطبقات المفسرين عامة ، فلم أجد إلا ما ذكرت ، وأحسب أني قد أتيت بها ولم أغادر منها شيئاً ، ولا أظن أنه قد ذكر أكثر من هذا .

وهي كما ترى تعاني من نقص في الكم ، ، وقلة في المطبوع، وأكثرها غير موجود ، ولم يطبع منها سوى القليل والباقي أتت عليه عوادي الزمن ، ولم يبق إلا أسماؤها، وأوصافها على ألسنة المؤرخين ، والمترجمين والله أعلى وأعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

دراسات في المنهج العام لهذا التفسير

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول :

مصادر الشيخ في تفسيره

المبحث الثاني :

موقف الشيخ من المفسرين السابقين .

المبحث الثالث :

منهجه العام .

المبحث الرابع :

التفسير بالمأثور

المبحث الخامس :

موقفه من الإسرائيليات .

المبحث السادس :

اهتمامه بالأمور التاريخية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ـ تفسير القشيري

عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري المعروف بأبي القاسم القشيري ت ٤٦٥هـ ، وتفسيره (لطائف الإشارات) ، وهو تفسير صوفي للقرآن الكريم وهو مطبوع (٣١٦/٣ ، ٣٨٨/٦).

٤ـ تفسير البغوي

الحسن بن مسعود بن محمد البغوي ، ت ٥١٠. وتفسيره يسمى (معالم التنزيل) وهو مطبوع ومتداول (٨٨/٨).

٥ ـ تفسير الزمخشري

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر إما م المفسرين البيانيين (٢٦٨/٩، ٥١٤/٣)

٦ـ تفسير ابن عطية: ـ أبو محمد عبدالحق بن غالب بن أبي بكر الغرناطي ، ت ٥٤٦ هـ . وتفسيره يسمى :ـ

(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).طبع منه ثلاثة عشرمجلداً(٤٣٣/٧ ، ٢٤/٨).

٧ـ تفسير الرازي :ـ فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر ابن الحسن البكري المعروف بالفخر الرازي صاحب (التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب) (٤٦/١ ، ٩٩/٧).

٨ـ الفتوحات المكية لابن عربي محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الأندلسي المعروف بان عربي المالكي الصوفي ، ت ٦٣٨هـ . الكتاب مطبوع ومتداول (٢١٣/١٢ ، ٣١٣/٧) ٢٨٢/٦.

٩ـ تفسير القرطبي: ـ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١ (٤٢٧/١ ، ٢٥٤/٧).

١٠ ـ الانتصاف لابن المنيّر: أحمد محمدبن المنير الأسكندري المالكي ، ت ٦٨٣هـ . اسم الكتاب. (الانتصاف من الكشاف) (٤٦٧/٥ ، ٧٨/١٠) .

١١ـ تفسير ابن جزي:ـ

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي ، ت ٧٤١هـ ، وتفسيره يسمى (التسهيل لعلوم التنزيل) ، مطبوع ومتداول (٩٢/٩).

١٢ـ تفسير البحر المحيط :ـ

أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بأبي حيان ، أحد أئمة التفسير،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسمى تفسيره (البحر المحيط) ، وهو مطبوع ، وله تفسير آخر وهو (النهر المارد) . والشيخ ينقل عن كلا : التفسيرين ، وكثيرا ما يقول كما جاء في نهر أبي حيان وبحره (٢٦٧/١ ، ١٠٧/٦).

١٣ ـ تفسير ابن كثير :ـ

للإمام الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ هـ ، (٤٧٤/٧ ، ١٤٣/١١)

١٤ ـ حاشية التفتزاني على الكشاف :ـ

السعد التفتزاني مسعود بن عمر وهو عالم بالعربية ، والمنطق ، ت ٧٩٣ هـ ، والكتاب مخطوط ، ومنه نسخة في مكتبة الأزهر تحت رقم (١٨٠٤) (٣٣٦/٢ ، ٣١٤/٥).

١٥ـ تفسير السيوطي :ـ

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، وتفسيره يسمى (الدر المنثورفي التفسير بالمأثور) (٤٣٩/٧ ، ٤٨٠/٧)

١٦ـ حاشية عصام الدين علي البيضاوي :ـ

عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عرب الاسفراييني ت ٩٤٣ هـ ، والكتاب مخطوط ، ومنه نسخه في الأزهر ، ونسخة في الرباط ، ونسخه في كوبريلي ، وللشيخ شرح على هذه الحاشية (١١/٨).

مصادره في القراءات

عني الشيخ بالقراءات عناية فا ئقة وأشار في صفحات كتابه إلى الكثير منها ونقل عن أصحاب هذه القراءات ولعله نقلها بواسطة كتب أخرى ، وذكر من اشتهر منهم ومن أهم الكتب التي ذكرها :

١ـ المقنع الداني :ـ

عثمان بن سعيد القرطبي المشهور بأبي عمر والداني ، ت ٤٤٤هـ ،

وكتابه يسمى (المقنع في رسم المصاحف ونقطها) أشار إليه الشيخ باسم الإقناع. (٤٢٢/٤).

٢ـ حرز الأماني للشاطبي :ـ

ولي الله أبو القاسم بن فِيْر ـ بكسر الفاء وسكون الياء ـ الدرعيني ت ٥٩٠هـ ، وكتابه يسمى (حرز الأماني ووجه التهاني) وهي أرجوزه في القراءات . مطبوعة (٤٢٢/٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ ـ جمال القراء للسخاوي : ـ

علم الدين علي بن محمد المصري الشافعي شيخ القراء ت ٦٤٣ هـ ، وكتابه يسمى (جمال القراء وكمال الإقراء) ،(٢٧٧/١٣).

مصادره من كتب الحديث وشروحها

ذكر الشيخ محمد أطفيش في تفسيره هذا ثروة ضخمة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى شغلت مساحات شاسعة، واشتملت على أغراض شتى . وكان رائده في ذلك مصنفات أهل السنه كما أشار الى ذلك عند تفسيره لسورة الاحزاب فقد أورد حديثا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ثم قال : راى مالكي عالم من أهل مكة (مضابياً) ينسخ شرح النيل في مكة ولم يجد فيه الحديث كثيراً فاعطاني البخاري ومسلماِ والترمذي وابن ماجه والنسائي وأبا داود وغير ذلك وأنا حاضر في مكة فانتفعت بتلك الكتب كما انتفعت بصحيح الربيع بن حبيب فجمعت منها وفاء الضمانه ، وجامع الشمل وما خالفونا فيه أولته ٢٠١/١٠. ومن أهم هذه المصنفات التي اعتمد عليها في ذلك ما يلي : ـ

١ـ مسند الربيع بن حبيب :أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدي ت ١٧٠ هـ : تقريبا.

والمسند هو عماد الأباضية في الحديث، ويقد مونه على الصحيحين ، قال عنه أحد علمائهم وهو محقق الكتاب : (وهو أصح كتاب بعد القرآن العزيز ، وأطلقوا عليه صحيح الجامع ، وهو مطبوع ، ومنه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية (١١٩/٢ ، ٤٦٣/٦).

٢ـ الموطأ :ـ للإمام مالك بن أنس الاصبحي ت ١٧٩ هـ (٤٩٨/٦) .

٣ـ مصنف ابن أبي شيبه:ـ أبو بكر عبد الله بن محمد القاضي أبو شيبه ت ٢٣٥ هـ، ٤٧٠/٧ .

٤ـ الزهد :ـ للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني ت ٢٤١ هـ، (٤٧٠/٧)

٥ـ مسند الإمام أحمد : ـ والكتاب من أجمع كتب الحديث النبوي يشتمل على ثمانية عشر مسندا ، وجمع فيه ما يزيد عن ثلاثين ألف حديث، فيها الصحيح ، والضعيف . الرسالة المستطرفة ص ١٤ (١٤٢/١).

٦ـ مسند عبد بن حميد : ـ أبو محمد عبد بن نصر ، من حفاظ الحديث ، ت ٢٤٩ هـ. والكتاب مطبوع .

٧ـ صحيح البخاري : ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦ هـ. وكتابه أصح كتاب بعد كتاب الله . بلغت شروحه أكثر من اثنين وثمانين شرحا. الرسالة المستطرفه ص ٩.(٣٨١/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨ـ صحيح مسلم : ـ للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١ هـ. وكتابه يعد ثاني الكتب الستة . (٣٠٩/١).

٩ ـ سنن ابن ماجه : ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني ، ت ٢٧٣ هـ. (٢٠٤/١١) ١٤٤/٧.

١٠ـ سنن أبي داود : ـ سليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستاني ت ٢٧٥ هـ.

وهو أحد الكتب الستة . (٢٠١/١٠).

١١ ـ سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْدَه السلمي ، ت ٢٧٩.

وهو أحد الكتب الستة . (٤٣٨/١).

١٢ـ سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن الأشعث النسائي ت ٣٠٣ هـ.

١٣ ـ المعجم الأوسط للطبراني : أبو القاسم سلمان بن أحمد الطبراني ، من حفاظ الحديث ، ت ٣٦٠ هـ. والكتاب مرتب على شيوخ الطبراني في الحديث ، طبع قسم منه (كشف الظنون ١٧٣٧/٢) (١٣/٢) .

١٤ ـ المستدرك للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري ، ت ٤٠٥ هـ ـ والكتاب مطبوع باسم (المستدرك على الصحيحين)(٧٤/٦) .

١٥ـ سنن البيهقي أحمد بن الحسن بن علي الشافعي البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ.

وكتابه هذا يعرف بالسنن الكبرى . (الرسالة المستطرفه ٢٦) (١٠٧/١٠) .

١٦ـ مسند الفردوس ـ للديلمي شيرويه بن شهرزاد أبو شجاع الديلمي ، عالم بالحديث ت ٥٠٩ هـ . والكتاب مطبوع باسم (فردوس الأخبار)(٢٦٢/١٥) ١٨٣/٣.

١٧ـ الجمع بين الصحيحين للأشبيلي : أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي ، ت ٥٨٢ هـ ،(١٠٧/١٠) .

١٨ـ موضوعات ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ، ت ٥٩٧ .والكتاب مطبوع في الحكم على الأحاديث .(٧٤/٦).

١٩ـ فتح الباري :لابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ . والكتاب شرح لصحيح البخاري . (٥٣/١٥).

٢٠ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر . والكتاب مطبوع على هامش الكشاف (٦٧/٩).

٢١ـ اللآلئ المصنوعة ـ للسيوطي : ت ٩١١ هـ.

والكتاب تلخيص لكتاب ابن الجوزي (الموضوعات) ، تتبع كلام الحفاظ في تلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحاديث (الباعث الحثيث ٧٥) (٤٤٧/٦).

٢٢ ـ وفاء الضمانة بأداء الأمانة في فن الحديث للشيخ محمد أطفيش ت ١٣٣٢ .

والكتاب مطبوع في جزأيين (٢٤٤/١٥).

٢٣ـ جامع الشمل في حديث خاتم الرسل

للشيخ محمد أطفيش والكتاب مطبوع في جزأيين (٢٤٤/١٥).

مصادره في اللغة ومعاني القرآن

لجأ الشيخ محمد أطفيش إلى كتب اللغة ، واعراب القرآن ، ومعانيه يستأنس بها على توضيح الآيات واعرابها وبيان غريبها . ومن ابرز المصادر اللغوية والنحوية التي اعتمد عليها في تفسيره ما يلي : ـ

١ـ الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان قنبر اما م النحو ت ١٨٠ هـ.

وكتابه يسمى (الكتاب) ، (سجل فيه أصول النحو ، وجمع أقوال من تقدمه من العلماء ، وزاد عليه ما استنبطه بنفسه ،(المدارس النحوية شوقي ضيف ص ٦) مطبوع (١٢/١).

٢ـ معاني القرآن للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله النحوي الكوفي المعروف بالفراء . ت ٢٠٧ هـ ،(١١٨/٨).

٣ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة . معمر بن المثني التميمي النحوي ت ٢٠٩ هـ ، وكتابه مطبوع . (٤٨٦/٧).

٤ـ معاني القرآن للأخفش. سعيد بن مسعده أبو الحسن المعروف بالأخفش الاوسط ت ٢١٥(٤١/٥).

٥ـ أمالي ثعلب في النحو . أحمد بن يحيى بن يزيد أبو العباس ت ٢٩١ هـ .

(٣٣٥/٦).

٦ـ معاني القرآن للزجاج .

ابراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج ت ٣١٢ هـ ، (٣٦/٢).

٧ـ أمالي القالي : لأبي علي اسماعيل بن القاسم بن هارون القالي البغدادي ت ٣٥٦ هـ .(٣٨٨/٦) .

٨ـ تهذيب اللغه للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي ت ٣٧٠ هـ. (٣٢٠/١٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ـ الحجة لأبي علي الفارسي . الحسين بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧ هـ (١٨٨/١)

١٠ ـ الصحاح للجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ (١٠١/١) والكتاب معجم لغوي.

١١ـ المخصص لابن سيدة :أبو الحسين علي بن اسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة. نحوي ، ت ٤٥٨ هـ ، (٣٢٠/١٢).

١٢ ـ دلائل الأعجاز :ـلأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي النحوي ، (٢٣٥/٦) ٤٢/٤.

١٣ـ إعراب القرآن للعكبري : –

لأبي البقاء عبد االه بن الحسين بن عبدالله العكبري ، ت ٦١٦ هـ ،(٤٥١/٧) ك.

١٤ـ شرح ألفية ابن معطي :ـ

يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي الحنفي المعروف بابن المعطي ، ت ٦٢٨هـ (٢٠٠/٧).

١٥ـ شرح التسهيل للمرادي : ـ الحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي، ت ٧٤٩هـ ، والكتاب شرح لكتاب : ـ (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو) لابن مالك، (١٥٩/٦).

١٦ـ شرح الدماميني علي المغني :ـ محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي ، ت ٨٢٧هـ ، وله شروح ثلاث على مغني اللبيب، كشف الظنون ١٧٥٢/٢ ، وذكر الشيخ الذي الفه في الهند(٤٥١/٧).

١٧ ـ بيان البيان في علم البيان :ـ كتاب للشيخ أطفيش ، وهو في علم البيان(١١٨).

وممن ذكرهم الشيخ واستفاد من مصنفاتهم واعتمد عليهم ، وأخذ من أكثر من مصنف لهم، وهم أئمة اللغة. ومنهم :ـ

١ـ الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن الفراهيدي ، ت ١٧٠ هـ . صاحب العروض ، وواضع منهج النحو له (معجم العين في حصر اللغة) و (لامات الخليل) (٤/٢) .

٢ـ قطرب :محمد بن المستنير بن أحمد ، اللغوي المشهور بقطرب ، ت ٢٠٦هـ. له معاني القرآن، والعلل في النحو ، والاشتقاق والقوافي (٣٨١/٧).

٣ـ المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس النحوي ، ت ٢٨٦ هـ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصاحب كتاب : ـ (المقتضب في مسائل النحو والصرف) ، و(الكامل في الأدب) ، (الحروف) ،(١/٤١٤) (الفهرست ٨٨) .

٤ـ ابن الأنباري محمد بن القاسم أبو بكر ت ٣٢٨ هـ، من مشاهير من ألف في اللامات ومواقعها في القرآن الكريم ، وشرح مسائل نحوية لمختلف النحاة (٦/٣٣٥).

٥ـ ابن مالك جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك الطائي النحوي ت ٧٦٢هـ . له عدة مصنفات منها : (الكافية) وهي منظومة في النحو والصرف ، وله جامع النحو وسماه: (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) (٢/٤٥).

٦ـ ابن هشام أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ، ت ٧٦١هـ وله (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، (أوضح المسالك الى الفية ابن مالك)، وله (شذرات الذهب في معرفة كلام العرب) (٧/١٦٧).

مصادره في الفقه.

لم يذكر الشيخ محمد أطفيش مصادر كثيرة في الفقه ، ولكنه كان يكتفي بذكر الاختلافات الفقهية بين المذاهب الأربعة ، والظاهرية ، والإباضية ، وأقوال الصحابة والتابعين.

أما أهم الكتب التي أوردها فهي : ـ

١ ـ المبسوط للسرخسي : ـ شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي ، ت ٤٨٣ هـ . وهو كتاب في الفقه الحنفي ، (١٣/٣٥٢)

٢ـ حاشية الجمل على شرح المنهج : ـ سليمان بن عمر بن منصور العجلي المعروف بالجمل ، ت ١٢٠٤ هـ .

والمنهج :ـ كتاب في الفقه الشافعي للشيخ زكريا بن محمد الشافعي ، ت٩٢٦هـ، (١٠/٣٠٨).

٣ـ شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد أطفيش :ـ

والنيل : ـ كتاب في الفقه الإباضي للشيخ عبد العزيز الثميني ، والكتاب عمدة الإباضية في الفقه. ومطبوع ومحقق في ١٧ مجلدا (٢/٢٧٦).

٤ـ قناطر الخيرات : ـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإسماعيل بن موسى الجيطالي (إباضي) عاش في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة . وكتابه مطبوع وتوجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية (٤/٣٠٠). وممن ذكرهم الشيخ من أئمة المذهب الاباضي واستفاد من آرائهم الفقهية : أبو عمار عبد الكافي صاحب الموجز ت ٦٠٠ هـ (٢/٣٣٦) ، أبو يعقوب الورجلاني (١٠/٣٦٠).

مصادره في السيرة والمغازي والتاريخ

تطرق الشيخ أطفيش في تفسيره إلى التاريخ ، وأفاد من بعض مصادره ، ومن أهم الأعلام الذين اعتمد على مصنفاتهم في تحرير حوادث السيرة النبوية الشريفة ، وسير الماضين

١- مغازي ابن اسحاق : محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي ولاءً ت ١٥١ هـ(٥/٤٦٥).

٢- طبقات ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري . كاتب الواقدي ت ٢٣٠هـ(١٢/٣١٠)..

٣ - مروج الذهب - المسعودي -

لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، من أشهر المؤرخين ، ت ٣٤٦ هـ (٧/٤٧٧).

٤- الاستيعاب - لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالله الغرناطي ، ت ٤٦٣هـ. والكتاب في تراجم الصحابة ، (٢/٣٤٤) .

٦- مقدمة ابن خلدون : -

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ت ٨٠٨ هـ (١٣/١٩).

٧- كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى

لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري والكتاب مطبوع (١٠/٢٠٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : **موقف الشيخ من المفسرين السابقين :-**

من الطبيعي والباحث يرجو تبيان منهج الشيخ محمد أطفيش أن يقف على هذه القضية . لقد تبين آنفا عند الحديث عن مصادره في التفسير أن الشيخ استطاع أن يفيد ، وأن يطلع على مصادر تفسيرية متنوعة صنفت قبله ، واشتهرت وذاع شأنها.

وهذا يعد مفخرة لكل من ولج باب التفسير ، وخاض في لججه ، لما فيه من الاطلاع على التراث التفسيري الضخم الذي خلفه أئمتنا ولما فيه من إنصاف الآخرين ، والتجافي عن التحيز . فلا ينظر المفسر لكتاب الله نظرة خاصة تصدر من زاوية ضيقه ، أساسها التباين المذهبي الذي يجب أن يسدل ستاره ، خاصة في تفسير كتاب الله عزوجل .

والمطلع على هذا التفسير يجد أن الشيخ قد وقف مع المفسرين مواقف متعددة ، وتعامل مع تفاسيرهم على أنحاء متفرقة . والباحث وهو يشير إلى مدى تأثر الشيخ بمن سبقه ، وكيف تعامل مع تفاسيرهم إنما يلتزم الاختصار ما أمكن ، إذ لا سبيل إلى حصر هذا العدد الهائل من كتب المفسرين المتقدمين الذين نقل عنهم .

ولا أرى في ذلك هضما ولا بخسا لحقوق من لم أذكر للسبب الذي ذكرته آنفا ، ولأن الهدف هو إبراز معالم شخصية الشيخ التفسيرية، وتحديد منهجيته ، ومدى تأثره بمن سبقه من المفسرين ، يقول الشيخ الذهبي عنه:

(إن الرجل وقد قرأ الكثير من كتب التفسير ـ تأثر بما فيها ، واستفاد الكثير من معانيها) (١) .

أما أشهر كتب التفسير التي تأثر بها الشيخ أطفيش ، واستفاد منها في مجالات متعددةمنها :

١ـ تفسير الطبري : المسمى جامع البيان في تفسير القرآن . وهذا التفسير من أجل كتب التفسير ، وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين . وقد أفاد منه كل من جاء بعده .

والشيخ محمد أطفيش قد تأثر بهذا التفسير شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين، فهو عمدة الشيخ في الروايات التي رواها عن الصحابة والتابعين ، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات تفسير محمد أطفيش إلا وينقل فيها روايات عن الطبري دون أن يعزوها إليه ، إلا في القليل النادر. منها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى. ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ . سورة الواقعة آية (٦٤)

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يقولن أحدكم زرعت ولكن حرثت] (١) قال أبو هريرة ألم تسمع قوله تعالى :﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ رواه الطبري وغيره. ويستحب للزارع أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم، ويقرأ الآية، ويقول الله تعالى الزارع ، المنبت (٢)، والمبلغ ، اللهم صلى على سيدنا محمد، وارزقنا ثمره، وجنبنا ضرره ، واجعلنا من الشاكرين . ثم يقول : قال الطبري بلفظه وقد ظفرت بنسخة من تفسيره بخط اليد المشرقي . وأحيانا ينقل عن الطبري توضيح عبارات مجملة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ . المعارج آية (٢٣) يقول : قال أبو جعفر: المراد في الآية صلاة النفل مطلقا (٣) .وأحيانا يتعقب الطبري ولا يرتضي قوله ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ....﴾ سورة البقرة آية (١١٠). فبعد أن ذكر شيئا من تفسير الآية قال : وزعم الطبري أنها كفارة لميلهم إلى قول اليهودراعنا. وهو مردود (٤) . وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت...**﴾ مريم (١٥) . قال : أمان عليه من الله من أن يمسه الشيطان كما يمس كل من ولد ، كذا قال الطبري ، وأقول : بل التحية المتعارفة من الله تشريفا له في وقت أحوج ما يكون إليها، ثم رأيته لابن عطية، ويدل له حديث لأحمد عن الحسن أنه التقى عيسى ويحيى ، فقال لعيسى : أدع الله لي ، أنت خير مني فقال عيسى : ادع الله لي ، أنت خير مني سلم الله عليك ، وأنا سلمت على نفسي ....) (٥)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٩٨/٢٧ ، والبزار (١٢٨٩ كشف الاستار) وابن حبان (٥٧٢٣) ٣٠/١٣ ، والبيهقي في السنن ١٣٨/٦ ، وابو نعيم في الحليه ٢٦٨/٨.

وكلام الشيخ أطفيش يوهم أن قول : ويستحب لزارع أن يستعيذ بالله ويقرأ .. من كلام الإمام الطبري ، والحق أن كلام الطبري انقطع عند نهاية الحديث ، بعد قول أبي هريرة. وقد أورد الآلوسي هذه الرواية ونسبها لقاسم بن أصبغ القرطبي . روح المعاني ٢٦/ ١٤٨ .

(٢) تفسير الطبري ١١٤/٢٧ .

(٣) تيسير التفسير ١٤٦/١٤، وعند مراجعة هذه الآية في تفسير الطبري لم أجد مانسبه إليه وإنما ذكر الطبري عدة أقوال ولم يرجح شيئا منها ٤٩/٢٩-٥٠ .

(٤) تيسير التفسير ٩١/١٣ ولم يبين لماذا رده أماماقاله الإمام الطبري فهذا نصه: (وإنما أمرهم - جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به ليطهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركون من ركن منهم إليهم من كان جفا منهم في خطابه صلى الله عليه وسلم بقوله راعنا.

(٥) اخرجه الطبري في تفسيره ٤٤/١٦ ، والامام أحمد في الزهد ١٢٢ ، وذكره ابن كثير في تفسيره وسكت عنه ١٠٤/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه الى عبد الرزاق وعبد بن حميد ، كلهم يرويه عن الحسن والحسن هو البصري وهو تابعي فكيف يحدث بهذا الامر الغيبي دون أن ينسبه إلى أحد من الصحابة !

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ـ تفسير الكشاف للإمام الزمخشري : لقد أفاد الشيخ محمد أطفيش من تفسير الزمخشري أيما إفادة ، ونقل عنه نقلا غيرحرفي ، فكان الشيخ يتصرف في عبارات الزمخشري بالزيادة أو النقص ، فاعتماد الشيخ على الزمخشري واضحا جدا حتى يمكن القول : إنه لا توجد سورة ولا آية إلا وكلام الزمخشري إمامها ورائدها .

ومع هذا فإن الشيخ أطفيش كان أحيانا يبدي معارضة شديدة لبعض مواقف الزمخشري ، وتأويلاته الاعتزالية التي لا تتفق ومذهب الشيخ ، فيقف معها ناقدا ورافضا . ولما أسلفته آنفا فلن أعرض شواهد لما نقله الشيخ وعزاه إلى الزمخشري ، ولكن سأعرض لبعض النماذج التي تتبع فيها الشيخ الزمخشري وانتقده وهي كثيرة . ومن الشواهد على تتبع الزمخشري ما ذكر عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا** ﴾ الأنعام آية (١٠٧). حيث قال: لو شاء الله ـ سبحانه ـ عدم إشراكهم لم يشركوا وفيه دليل على أن الله أراد كفر الكافر وأنه لا يريد إيمانه وهذا مذهبنا ومذهب الاشعريه رد على المعتزلة ، وزعم الزمخشري أن المعنى لو شاء مشيئة إكراه ألا يشركوا لم يشركوا ، وأن مشيئة الاختيار حاصلة ألبته ، وهذا خلاف الظاهر فلا يقبل ؛ لأن شرط المشيئة بعد لو يؤخذ من جوابها وليس في الجواب ذكر الإكراه، فلا يقدر في الشرط ، وفي الآية أن مراده تعالى واجب الوقوع فإنها أفادت بمنطوقها انتفاء عدم اشراكهم لانتفاء مشيئة توحيدهم ، دلت على أنه لوشاء توحيدهم لوقع ،فأفاد أن مشيئة الشيء توجب وقوعه، ولا دليل في الآية على الإجبار؛ لأن المعنى لوشاء لوفقهم) (١) .وفي معرض رده على الزمخشري في ادعائه فضل جبريل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ سورة التكوير آية (٢٢) . قال: ومن الخطأ ادعاء الزمخشري فضل جبريل عليه السلام على رسول الله بمدح جبريل دونه ووجه الخطأ أن مدح أحد لا يدل على فضل من يمدح ، بل يحتمل العكس والمساواة ، وأن المقام ليس مقام مدح له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومن أن المقام ليس لمدحه هو مدح له إذا أرسل إليه من هو أعز عليه ، فالمرسل إليه أفضل من المرسل ؛ ولا ينقص ذلك بأن الأمة ليست أفضل من الرسول ، لأن الكلام فيما لم يتبين ، والأمة قد تبين أنها دون نبيها ...) (٢)، وقد انتقد الشيخ الزمخشري في قضايا لغوية ، عندما فسر قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنو لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم** ... ﴾ سورة الأحزاب أية (٥٣) حيث قال: ويقدر قبل أن، أي إلا أن يؤذن ، أو لأن يؤذن ، أو يقدر مضاف لأعلى الظرفية، كجئب طلوع الشمس ، لأن نصب المصدر على الظرفية مشروط فيه أن يكون صريحا ، وأجازه بعض ولو

---

(١) لم أجد هذا النص الذي عزاه الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية وإنما جاء معناه عند تفسير الزمخشري لقوله تعالى : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا .. ﴾ سورة الأنعام (١٤٨) .

(٢) تيسير التفسير ١٤/ ص ٤٨٩ ، الكشاف ٨/٧١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير صريح كالآية ، وعليه الزمخشري وهو محجوج بالذوق ، وعدم السماع ، وكونه إماما في العربية لا يدفع ذلك عنه ....) (١) أما المواضيع التي نقل فيها عن الزمخشري ، ولم يعزوها إليه فمن أهمها ما ذكره عند تفسير ه لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ..** ﴾ سورة الطلاق آية (١) حيث يقول في بيان من هو المخاطب بالنداء ، ولماذا ؟ جاءت بهذه الصيغة لما كان أمام أمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصه بالنداء ، وعم الخطاب بالحكم، لأنهم لا يصدرون إلا عنه . كما يقال لرئيس القوم : يا فلان افعلوا كذا إظهارا لتقدمه بأمره).(٢)

وفي بيان أوجه المناسبة بين الآيات ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ سورة محمد (١٩) . بين الآيات التي قبلها حيث قال: إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء ، وشقاوة هؤلاء ، فدم على اعتقاد أنه لا إله إلا الله ، والعمل بمقتضاه، فإن ذلك من موجبات السعادة . (٣) والشيخ محمد أطفيش لا ينقل القضايا العلمية فحسب ، بل كثيرا ما ينقل القصص والأحداث ، والقضايا التي حصلت مع الزمخشري ، والتي بثها في تفسيره، فيذكرها الشيخ عند نفس الآيات التي ذكرها الزمخشري. (٤)

٣ـ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

لقد أعجب الشيخ محمد أطفيش أيما إعجاب بتفسير البحر المحيط فأدام النظر فيه ، والاغتراف من معينه، ومدح صاحبه وأثنى عليه، وهذا عجيب من الشيخ ! فلم أره يُثني على أحد من المفسرين خاصة القدماء إلا ما فعل مع أبي حيان .وكم وقف الشيخ معه وعرف به، وذكر أنه أندلسي طال مقامه في مصر. وكثيرا ما ينتصر له ويدافع عنه، ويذكر أن بعض المشارقة البغدادبين (٥) إذا رأى لأبي حيان حسنة دفنها، أو يبغي له جوابا ، وإن رأى سيئة أشاعها ، ومتى شاء اغتنم منه الفائدة ، ويكرر ذلك في أكثر من موضع ويقول : إن لي همة في الجواب عنه لكن لي أشغال . (٦)

---

(١) تيسير التفسير ٢٩٧/١٠، الكشاف ٥٥٤/٣، املاء ما من به الرحمن العكبري ١٩٤/٢.

(٢) تيسير التفسير ١٣/ ٤٠١ والذي قاله الزمخشري هذا نصه : (خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم الخطاب ، لأن النبي إمام أمته وقدوتهم ، كما يقول رئيس القوم وكبيرهم : يا فلان أفعل كيت وكيت ، إظهارا لتقدمه، واعتبارا لترؤسه) ٥٥٤/٤.

(٣) تيسير التفسير ٢٤٦/١٢ قارن ذلك مع تفسير الزمخشري ٣٢٣/٤.

(٤) مثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ سورة ابراهيم آية ١٣٠ . فقد أورد الشيخ هنا قصة ذكرها . الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية حيث قال : قال الزمخشري : كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي آنا فيها، ويؤذيني فيه ، فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته ، فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ، ويأمرون وينهون.تفسير الزمخشري ٥٤٥/٢

(٥) ولعله يقصد بالبغدادي الإمام محمد بن عبدالله الآلوسي البغدادي مفتي بغداد، وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري ولنا معه فيما بعد وقفة يسيرة . (٦) تيسير التفسير ٨٢/١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيرا ما يصفه بأنه بحر العلم (١) ويستعين به في الرد على المعتزلة (٢) . فيكثر من ترجيح رأيه فيقول : والحق ما قاله أبو حيان (٣) ؛ قلت الحق مع أبي حيان (٤) . ومع هذا الاحتفاء الشديد بأبي حيان إلا أنه أحيانا يتعقبه ويرد عليه بلطف ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ...** ﴾ سورة البقرة (١٤٠). حيث قال عن لفظة (أم) ؛ وأبو حيان لما رأى أن الغالب في المتصلة استدعاء إحدى الجملتين ، والسؤال عن أحدهما ، وما هنا ليس كذلك، واقتصر على المنقطعة وهكذا عادته. يرى غير الغالب كأنه غير موجود فيقتصر على الغالب . (٥) ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ووجدك ضالا فهدى** ﴾.سورة الضحى (٨) . قال : وفي نهر أبي حيان وبحره أنه رأى في النوم على حذف، مضاف أي وجد رهطك ضالا،فهذا ، فيه مخالفة لما قبل وما بعد، لكن يسوغها أن هداية رهطه نفع له في الدين .(٦).وإذا أراد الشيخ أن يرجح قول الزمخشري على قول أبي حيان ، فإنه يذكر الخلاف دون ذكر أسمائهما، فمن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ...** ﴾ سورة محمد (٢٥) . حيث يقول سوّل من السوَل(٧) بفتح السين والواو وهو التسهيل ، وأصله الاسترخاء استعير للتسهيل ، والتشديد لتعدية أي عده لهم سهلا لا يبالى به . أو قيل : من السول بمعنى التمني ؛ أي حملهم على سولهم أي متمناهم، فالتشديد للحمل على معنى المصدر .وناقش القول الثاني، ثم قال : وما تقدم أولى لخلوه عن التكلف . (٨) والقول الأول قال به الزمخشري في كشافه. (٩) أما أبو حيان فقد أورد ما قاله الزمخشري ، وعلق عليه بقوله ليس بجيد ، ثم اختار : أنه من السول بما يسأله الإنسان ويتمناه . (١٠)

٤ـ تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب :

وقد حظي هذا التفسير بشهرة واسعة، عند الشيخ أطفيش ونقل منه واستشهد بأقواله ، وترجيحاته. فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ سورة الواقعة (٢٧) .

---

(١) تيسير التفسير ٧٥/١٠ (٢) تيسير التفسير ٢٦٨/١.

(٣) تيسير التفسير ٢٠/١٣. (٤) تيسير التفسير ١٧/١٥.

(٥) تيسير التفسير ١٩١/١، انظر البحر المحيط ـ لأبي حيان ٤١٤/١.

(٦) تيسير التفسير ٢٠٨/١٥ انظر البحر المحيط ـ لأبي حيان ٤٨٦/٨.

(٧) أنظر معجم مقاييس اللغة ـ لابن فارس ١١٩/٢، القاموس المحيط الفيروز آبادي ٤١٠/٣.

(٨) تيسير التفسير ٢٥٩/١٢.

(٩) الكشاف ٢٢٦/٤

(١٠) البحر المحيط ٨٣/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : وقال الفخر ـ يقصد الإمام الرازي ـ في الميمنة والمشأمة ؛ دلالة على الموضع ، والإزواج الثلاثة يتميزون بالموضع فجيء أولا بما يدل على الموضع، وثانيا بأمر يميزهم . (١). وأحيانا يتعقبه بالنقد والرد فمن ذلك ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾التوبه (٢٨) وقال : ووهم الفخر إذ قال: المعنى لا نجس من الناس إلا مشرك ، وإنما ذلك لوقال (إنما النجس المشركون) (٢).

وهناك مفسرون أعلام تأثربهم الشيخ محمد أطفيش ، ونقل الكثير من أقوالهم وترجيحاتهم وضمنها تفسيره دون أدنى إشاره إليهم ، وهذا مسلك من الشيخ غير سديد، ولا يتفق مع الأمانة العلمية الموضوعية .وهم كثر وسأضرب مثالا على ذلك بالإمام محمود بن عبدالله الآلوسي (٣) . البغدادي . (١٢١٧هـ ـ ١٢٧٠هـ) (٤) . والذي ثبت لدي بالدليل أن الشيخ محمد أطفيش قد نقل من تفسير الآلوسي نقلا واضحا وجليا، واستفاد من تحقيقاته الدقيقة ، واستدراكاته القيمة، بل حاول أن يقلده في طريقته في التفسير ، ولا غرابة في ذلك فالإمام الآلوسي فرغ من تفسيره سنة (١٢٦٧هـ) ؛ أي قبل وفاته بثلاث سنين ، أما الشيخ محمد أطفيش فقد انتهى من تفسيره تقريباً سنة (١٣٢٣هـ) . ولا شك أنه قد اطلع عليه وحصّل منه نسخة ، وأكاد أجزم بذلك ، وآية ذلك أن الشيخ محمد أطفيش يقول عند تفسيره لسورة الواقعة، وذكره رأي أبي حيان : (وَرَد عليّ تفسيرٌ قبل هذه السورة . بمقدار لبغدادي يكثر فيه الرد على أبي حيان، ولى همة في الجواب عنه لكن لي أشغال) (٥) . وسأوضح ما قلته بمثال واحد ، وأحيل بعضها على الهامش. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر ...**﴾ سورة الدهر آية (١) . يقول الشيخ محمد أطفيش : (هل) حرف وضع للاستفهام من أول مرة كهمزة الاستفهام، وليس أصله التحقيق في الأخبار كقد ، ثم نقل إلى الاستفهام نيابة عن الهمزة، ولا باقية على التحقيق مصدرا قبلها همز الإستفهام . ومن العجائب دعوى ذلك بمجرد بيت شاذ :

سـائل فوارس يربوع بشـدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

---

(١) تيسير التفسير ٧٤/١٣، انظر ـ الفخر الرازي ١٦٢/٢٩.

(٢) تيسير التفسير ٤٨٤/٤ انظر الفخر الرازي ٢٥/١٦.

(٣) نسبة إلى (آلوس) جزيرة في نهر الفرات بين بغداد والشام .

(٤) أنظر ترجمته في أول الجزء الأول من النسخة الأميرية المطبوعة في بولاق.

(٥) تيسير التفسير ٢٨/١٣ هكذا جاء نص الشيخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدخول الهمزة عليها ، وما هذا إلا تأكيد مع أن الرواية الصحيحة أم هل رأونا ، بأم المنقطعة بمعنى بل كما قال السيرافي ، ومع أن في نسخة قديمة وجدها السيوطي ، فهل رأونا بالفاء فهي استفهامية حقيقة، والاستفهام هنا تقريري ، وإذا استعملت في غير الإستفهام فمجاز كما فسرها ابن عباس بمعنى قد . وكذا سيبوية والكسائي ، وقيل للتقريب ، وقيل للتحقيق ، ولا يؤتى لها بمعادل ، وعبارة بعض إذا كانت بمعنى الهمزة جاز أن يؤتى به ، وعبارة بعض تجوز بعدها أم المنقطعة ...) (١)

وأما الذي قاله الآلوسي فهذا نصه: (٢) (أصله على ما قيل أهل على أن الإستفهام للتقرير أي الحمل على الإقرار بما دخلت عليه والمقرر به ، وقد علم أنهم يقولون : نعم قد مضى على الإنسان حين لم يكن كذلك ... وهل بمعنى قد وهى للتقريب ، أي تقريب الماضي من الحال. فلما مدت هل مد الهمزة دلت على معناها . ومعنى الهمزة معا ، ثم صارت حقيقة في ذلك فهي للتقرير والتقريب ، واستدل لذلك الأصل بقول زيد الخيل :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

قيل هي للإستفهام ولا تقريب ، وجمعها مع الهمزة في البيت للتأكيد، . بل التأكيد هنا أقرب لعدم الاتحاد لفظا ، على أن السيرا في قال: الرواية الصحيحة أم هل رأونا على أن أم منقطعة بل وقال السيوطي في شرح شواهد المغني الذي رأيته في نسخة قديمة من ديوان زيد فهل رأونا بالفاء ، وعن ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد ، وفسرها بها جماعة من النحاة كالكسائي ، والمبرد ، والفراء وحملت على التقريب ، ومن الناس من حملها على معنى التحقيق. وقال أبو عبيدة : مجازها قد أتى على الإنسان وليس بالاستفهام. وفي ختام الحديث عن موقف الشيخ محمد أطفيش من المفسرين هناك ملحظ انوه إليه وهو اعتداد الشيخ بنفسه فقد وقف مع بعض المفسرين مواقف فخرفيها بنفسه ، وأشاد بمذهبه ، وساق عبارات الثناء لنفسه، وأن ما جاء به هو الحق والصواب، وكثيرا ما يصرح بالقول أنه كان يقول به ويراه لفلان من الناس ،حتى إنه أحيانا يقسم على ذلك. ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ سورة البقرة آية (٢٨٦) . قال : ولعل معنى النسخ هنا أن ذلك غير

---

(١) تيسير التفسير ٣٢٧/١٤

(٢) روح المعاني ١٥٠/٣٠.

والأمثلة على ذلك كثيرة قارن بين التفسيرين - خاصة في الأجزاء الأخيرة - : تيسير التفسير ٣٥٠/١٣- ٣٥٣ . الألوسي ٩٨/٢٨- ١٠٢، تيسير التفسير ٤٥١/٧ روح المعاني ١٦/٣، التيسير ٣٣٨/١٤، روح المعاني ١٥٥/٢٩ ، التيسير ١٢/ ٢٣٠ - ٢٣٣ ، الآلوسي ٤٣/٢٦- ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراد بالتكليف ، ثم والله رأيته لبعض المحققين ممن تقدم . (١) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه....**﴾ سورة الإسراء آية (٢٣) . قال: (....وأنا أبهج بذلك من صغر سني إلى أن رايته للشيخ زاده). (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا** ... ﴾ سورة البقرة (٢٥) . قال : وقد ألهمنا تأويلا صحيحا بلا تكلف . (٣) وكثيرا ما يردد : هذا ما عندي ولجمهور المتكلمين ، ولكن زدته إيضاحا واستدلالا . (٤)

وهكذا نرى الشيخ محمد أطفيش مفسرا ، جامعا ، مهذبا ، صاحب شخصية قوية واسعة الاطلاع ، ثري المحصلة ؛ حيث حاول أن يجمع خلاصة كتب التفاسير وأقوال مؤلفيها ، وتلخيص آرائهم ، وتقديمها حسب الوجه الذي يرتضيه، ورغم كثرة نقول الشيخ ـ سواء مع العزو ، أو بدون عزو ـ فإن القارئ لهذا التفسير لا يدرك بأنه يسبح في بحر من أقوال المفسرين المتقدمين ، بل يشعر بأنه يعيش مع تفسير الشيخ محمد أطفيش صاحب الشخصية العلمية البارزة.

المبحث الثالث : **منهجه العام :**

شهد التفسير ـ قديما ـ أي منذ القرن الثالث الهجري ـ إتجاهين في التفسير أطلق على الأول : التفسير بالمأثور ؛ وأطلق على الثاني : التفسير بالرأي . والحق أنه ليس بينهما حد فاصل ، فهما وإن تباينا في ناحية فإنهما يتفقان في أخرى ، فكلا النوعين مرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا. فلم يقتصر أصحاب التفسير بالمأثور على الأخبار النقلية فقط ، بل أخذوا بشيء من النظر العقلي ، والاستنباط، واللغة، والعكس كذلك . وإن بعض التفاسير يصعب تحديد الاتجاه، أو الصبغة العامة عند صاحبه، بسبب كون ذلك التفسير موسوعيا تتزاحم فيه الاهتمامات، وتكثر فيه التأويلات، وتتشعب فيه التخريجات، وتختلف فيه المنازع والمعتقدات. فمن تصدى لدراسة مثل هذه التفاسير تركته والهم حليفه، والتفكير ديدنه.

وقد ظهرت لي دلائل ـ منذ الوهلة الأولى ـ عند دراستي لتيسير التفسير للشيخ محمد أطفيش : أن هذا التفسير من ذلك النوع من التفاسير؛ ـ الذي أشرت إليه آنفا ـ لأن الشيخ لم يختر لنفسه منهجا معينا في دراسته للنص القرآني ليستطيع الباحث التعرف على الطريقة التي يسير عليها ، والوقوف على مدى ما أحرزه في تطبيقه من نجاح.

---

(١) تيسير التفسير ٤٧٤/١.

(٢) تيسير التفسير ١٦٦/٧، يقصد محي الدين شيخ زاده صاحب حاشية زادة على البيضاوي هكذا جاءت عباره الشيخ ولعل الصحيح ألهج.

(٣) تيسير التفسير ٤٢/١. (٤) تيسير التفسير ٥٠٥/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة تفسيره:

اعتاد كثير من المفسرين وضع مقدمات بين يدي تفاسيرهم تكون بمثابة الكشاف ، الذي يلقي الضوء عما في الكتاب، ويبين المنهج الذي ينتهجه كما فعل ذلك شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري ، والإمام القرطبي ، وأبو حيان في بحره، والآلوسي ، والشنقيطي ، وابن عاشور ، وغيرهم كثير - رحم الله الجميع - وأما الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - فلم يسلك هذا المسلك - ولو فعله لأراح الباحث في هذا التفسير ، ليكون فهمه لمنهج الشيخ على أساس منه - لكن مقدمة الشيخ جاءت في نصف صفحة : بدأها بحمد الله الذي يجدده توالي دقائق الجديدين على تيسير بيان القرآن، ثم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه . وكل عبد مجل للّه ، ثم ألمح إلى سبب تأليفه لهذا التفسير ، وذكر أن الهمم لما تقاصرت عن أن تهيم بهميان الزاد الذي ألفه في صغره ، وتكاسلوا عن داعي العمل ، نشطت همته إلى تفسير لا يمل ، وصرح بأنه سيقتصر على قراءة نافع . ثم سأل الله سبحانه - أن يقبله بفضله ، ويتمه قبل الأجل ، وأن ينعم عليه بالقبول والإكمال.هذه مقدمة الشيخ

والذي يسبر أغوار هذا التفسير لا يجد لمؤلفه قاعدة مضطردة ، ولا أُسلوبا محدداً يغلب عليه، وإنما كان يدخل الشيخ إلى تفسير كل سورة بأسلوب خاص ، فمرة يقدم الحديث عن أسباب النزول كما فعل في سورة التحريم والأنفال. وثانية : يقف مع إسم السورة أو أسمائها إن وجد، ويعلق على التسمية ، ويستطرد في ذلك حتى تبلغ عدة صفحات كما فعل في سورة المزمل والحشر والممتحنة. وفي موضع ثالث : يذكر فضائل السورة وموضوعاتها ويتجاوز ذلك إلى فروع وتفاصيل كما فعل ذلك في سورة طه ، والاخلاص ، وفي سور ة أخرى يقف مع البسملة وفضلها وخطها، كما فعل في سورة الفاتحة والأحزاب . وفي مواطن أخرى ينقل المأثور من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو الصحابة والتابعين كما فعل في سورة مريم . وأحيانا يقف مع المسائل اللغوية ، والبلاغية . ويختم كل سورة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، أو يسوق بعض الأحاديث المتعلقة بالسورة، وأحيانا يختمها بالدعاء ، أو بقوله الله أعلم. بعدما تقدم من ذكر مقدمات خاصة بكل سورة يدخل الشيخ الى تفسير النص القرآني على شاكلة المفسرين الذين سلكوا المنهج التحليلي للآيات ، غير أن للشيخ أسلوباً خاصاً ، هو الجمع بين الآيات المتعلقة بالمعنى بغض النظر عن الترقيم المعهود والمتبع في المصحف، ثم يعمد إلى تفسير الآية فيكشف عن معاني اللفظة القرآنية ، أو الجملة بلغة غير سهلة فيها شيء من الصعوبة والتعقيد، وتحتاج إلى وقفة وتأمل. ثم يعرض لمعانيها واشتقاقها ويخوض في إعرابها، ويناقش المفسرين الأعلام ، ويرجح ما يراه مناسبا ، ويتوسع في مسائل الخلاف بين المدارس النحوية، ويعالج هذه القضايا معالجة الخبير الماهر بالعربية وعلومها ، ثم يمضي ليوضح وجوه القراءات القرآنية لبعض الآيات، وإذا كان هناك نظائر للآية ذكرها، ويحاول أن يدفع الاشكالات التي تبدو من ظاهر النظم في الآيات ، ويحرص على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(والقرآن كلام واحد في تصديق بعضه بعضاً، وتقييده ببعض)،(والقرآن يفسر بعضه بعضا) (١) وفيما يلي بيان لطريقة الشيخ في هذا النوع من التفسير : يورد بعض الآيات ليوضح فيها معاني بعض المفردات . فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ سورة البقرة (٣٥) قال: وتطلق الشجرة ولو على ما ليس له ساق ، كقوله تعالى :﴿ **شجرة من يقطين** ﴾ (٢)الصافات (١٤٦).وأحيانا يحمل المجمل على ما فسر في مكان آخر، فعند تفسيره لقوله تعالى: (٣) ﴿ **إن ترك خيراً ...** ﴾ سورة البقرة آية (١٨٠) . يقول : وقد استعمل الخير في المال .

مطلقا . كقوله تعالى : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ سورة العاديات آية (٨) ، وفي المال الحلال كقوله تعالى : ﴿ **وما تنفقوا من خير** ﴾ سورة البقرة (٢٧٣) . ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لبداية سورة المائدة (١) في قوله تعالى : ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ آية (١). قال بعد في هذه السورة إذا نزل وهو قوله : ﴿**حرمت عليكم الميتة ....**﴾ آية (٢) . وأحيانا يحمل المطلق على المقيد، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ (٤) سورة الشورى آية (٥) . يقول من المؤمنين كما قال عزوجل: ﴿ **ويستغفرون للذين آمنوا ...**﴾ سورة غافر (٧) . ومن ذلك ما أشار إليه في تعيين القوم الآخرين الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿ **كذلك وأورثناها قوما آخرين** ﴾ سورة الدخان آية (٢٨) . هم بنو إسرائيل الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل**﴾ الشعراء (٥٩) . ثم يقول : (ولا نترك الآية لتاريخ ما لا سيما تاريخ جاء على يد اليهود المعروفين بالتحريف، أن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر (٥) .

وأحيانا يتوسع في ذكر نظائر الآية حيث التشابه في الدلالة ، كما فعل في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وسُيّرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ سورة النبأ آية (٢٠) . فبعد أن يذكر طرفا من تفسير الآية قال: كما قال تعالى : ﴿ **وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً** ﴾ الواقعة الآيتان (٥.٦) . وكما قال ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا ...**﴾ سورةطه (١٠٥ - ١٠٧) .وكما قال : ﴿ **يوم تبدل الأر ض غير الأ رض والسموات .....** ﴾ سورة إبراهيم ٤٨ (٦) .وإذا كان هناك شبه تعارض أو تناقض بين الايات فإن الشيخ يجتهد في إزالة ما توهم منه ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ...** ﴾ سورة محمد (١١) . قال متولي أمرهم فهو ينصرهم . (وأن الكافرين لا مولى لهم) . لا ولي لهم يدفع عنهم والله مولاهم، بمعنى مالكهم لا دافع عنهم ، كما قال : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) أي مالكهم ، فلا تناقض بين الآيتين .

---

(١) تيسير التفسير ١٤/ ٢٩٦، ١٢/ ١١٢ ، ٦/ ٢٩١ .

(٢) تيسير التفسير ١/ ٢٥٥.

(٣) تيسير التفسير ١/ ٥٥.

(٤) تيسير التفسير ٣/ ٦

(٥) تيسير التفسير ١١/ ٤٥٤.

(٦) تيسير التفسير ١٢/ ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ سورة هود آية (١٠٥) (١). قال : أي كلاماً نافعاً ، أو منجيا ، أو شفاعة فلا ينافي . ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجاد ل عن نفسها** ﴾ سورة النحل (١١١) ونحو قولهم : ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** ﴾ الأنعام آية (٢٣) . ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **سآ تيكم منها بخبر** ...﴾ سورة النمل آية (٧) حيث قال: وما هنا وعده بصورة الجزم ، والمراد قوة الطمع ، بدليل الآية الأخرى : ﴿ **لعلي آتيكم** ﴾ طه آية (١٠) بصورة الترجي ، لا تناقض بين الجزم هنا بالإتيان بالنار، وبين ترجيه في قوله تعالى : ﴿ **لعلي آتيكم** ﴾ لأن الراجي إذا قوى رجاؤه جزم ، ولأنه يبني الرجاء على أنه إن لم يظفر بالخبر والنار معاً ظفر بأحدهما . (٢).

٢ـ منهجه في تفسير القرآن بالحديث.

حفل تفسير الشيخ محمد أطفيش ـ رحمه الله ـ بحصيلة وفيرة من الأحاديث الشريفة، واتخذت طرقا ومسالك متعددة، ولا غرابة في ذلك . فالشيخ ليس دخيلا على علم الحديث، بل له مؤلفات حديثية أشرت إليها من قبل.

والشيخ قد سار على نفس الطريقة التي سلكها المفسرون الذين تتلمذ على تفاسيرهم ، فاعتمد الحديث اعتمادا كليا ، واعتبره من العلوم المهمة التي يتعلق بها فهم القرآن الكريم. حيث قال: (... وإذا صح تفسير عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف معه ولم يتجاوز إلا إن كان حديث آخر، فيجمع بينها، أو شيء يفهم من الحديث). (٣)

وسأعرض فيما يلي منهج الشيخ في رواية الأحاديث الشريفة كما رأيتها:

١ـ موقف الشيخ من كتب الحديث عند الإباضية .

٢ـ أمثلة لبعض الأحاديث التي استشهد بها مع الإشارة إلى تخريجها.

٣ـ استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وتأويل الأحاديث التي لا تتفق ومذهبه.

٤ـ توضيحه وشرحه لبعض الأحاديث التي يوردها ، وايراده الحديث دون الإشارة إلى أنه حديث شريف.

٥ـ موقفه من الاستشهاد بالحديث الشريف في اللغة.

أولا : موقفه من كتب الحديث عند الإباضية.

لعل أول ما يخطر في ذهن القارئ لهذا التفسير التساؤل التالي :

ما مدى اعتماد الشيخ أطفيش على كتب الحديث الشريف عندا لإباضية ؟

---

(١) تيسير التفسير ٦/٣٦.

(٢) تيسير التفسير ٩/٣١٥.

(٣) تيسير التفسير ١٣/٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظن أن الجواب يكون واضحا جليا لمن إطلع على مصادر الشيخ في كتب الحديث، وأزيد الأمر وضوحا هنا لأقول: إن جل الأحاديث التي ذكرها الشيخ واستشهد بها وعزا البعض منها هي كتب الأمهات ، والمصادر الحديثية الأصلية عند أهل السنة. أما بالنسبة إلى الكتب الأصلية عند الإباضية ، فليس عندهم سوى كتاب واحد ، وهو مسند الربيع بن حبيب ، وأقف هنا وقفة يسيرة مع هذا المسند ومصنفه. فالربيع بن حبيب - رحمه الله - أصله من عُمان، ثم ذهب إلى البصرة ، وتتلمذ على جابر بن زيد، ثم رجع آخر عمره إلى عمان، وتوفى فيها في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وتذكر بعض الروايات أنه توفي عام (١٧٠) (١) وعده الدرجيني صاحب الطبقات في الطبقة الرابعة ، وهم الذين عاشوا ما بين (١٥٠ - ٢٠٠هـ) ، ووصفه بأنه (طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم ، ومن تشد إليه حبال الرواحل ، روي عنه المسند المشهور...) (٢) وأما المسند فهو مطبوع (توجد منه نسخة في مكتبة الجامعة الأردنية) ، ويضم ألفا وخمسة أحاديث مختلفة . تتعلق : بالعقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والأمامة ... غيرها . وأغلب المرويات فيه عن علمين من أعلام الإباضية هما جابر بن زيد، وأبي (٣) عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، حيث روى فيه جابر عن أبن عباس ، وعائشة وابن عمر، وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عن الجميع .وأغلب الأحاديث التي يتضمنها المسند تتفق مع أصول المذهب الإباضي . وقام بعض المتأخرين وهو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (٥٧٠هـ) ، بترتيب هذا المسند ، وتنظيمه بعد أن رآه مشوشا ، وسماه (الجامع الصحيح) ، ولعل هذه التسمية جاءت مضاهاة لما هو عند أهل السنة من كتب الصحاح . وهذا المسند هو عمدة المذهب الإباضي في رواية الأحاديث، ويعتبرونه أصح كتب الحديث وأعلاها سندا، ويصفه شارحه الشيخ عبدالله السالمي : بأنه أصح كتاب بعد القرآن العزيز (٤) .مع أن المجمع عليه عند المحدثين سلفا وخلفا أن أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى هو صحيح البخاري (٥) ، وأنه أول من (اعتنى بجمع الصحيح ، ثم يليه صاحبه وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، فهما أصح كتب الحديث) (٦).والإباضية بناء على نظرتهم لمسند الربيع بن حبيب فهم يقدمونه على الصحيحين ، فإذا صادف أن وقع تعارض بين صحيحي البخاري ومسلم ، وبين مسند الربيع فالمقدم في هذه الحالة - بدون شك

---

(١) الأعلام - الزركلي ١٤/٣.

(٢) طبقات الشائخ بالمغرب لأبي العباس الدرجيني ٢٧٣/٢.

(٣) مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء البصري من فقهاء الإباضية تتلمذ على جابر بن زيد ذكره ابن حبان في الثقات ثم قال: إلا أني لا اعتمد عليه. ذكره الدرجيني في الطبقة الثالثة/ لسان الميزان ٣٢/٦، طبقات الدرجين٣٣٨/٢.

(٤) مسند الربيع بن حبيب ٤/١. (٥) الرسالة المستطرفة - الكتاني ٩ .

(٦) الباعث الحثيث - ابن كثير ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو مسند الربيع وقد بحثت عن ترجمة وافية للربيع بن حبيب في كتب تراجم الرجال عند أهل السنة فلم أعثر له على أدنى ترجمة أما عند الإباضية فلا أعلم أن لهم كُتبا في علم رجال الحديث. ثم أخذت أبحث وافتش عن دراسة علمية لهذا المسند يعتمد عليها ، فلم أعثر منها على شيء ، ثم سألت أصحاب الشأن فلم أجد عندهم ما يشفي العليل . ولضيق المجال ، ولقلة ثقافتي الحديثية التي لا تسمح لي بتقويم هذا المسند والحكم عليه من ناحية حديثيه ، فأترك ذلك لغيري ، والله المستعان. وانطلاقا من ارتباط الإباضية بهذا المسند وبدافع من الألُفة المذهبية سار الشيخ على ذلك ، ونظر إلى مسند الربيع نظرة مذهبية فاعتبره أفضل كتب الحديث، إلا أنه لم يعتمد عليه في ايراده للأحاديث ، وجملة ما روى منه من أحاديث في تفسيره (تيسير التفسير) لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . منها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ...** ﴾ النحل (٨) . فبعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية الكريمة، وأشار إلى اختلاف الفقهاء في تحريم الخيل . قال : وفي أفضل كتب الحديث للربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد: بلغني عن علي بن أبي طالب : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر الإنسية ، إلا أنه مقطوع وهو في تلك الكتب ـ يقصد كتب أهل السنة ـ موصول (١)وعند ذكر رواة الحديث وترتيبهم، يبدأ بمسند الربيع ثم بالبخاري ومسلم .. وهكذا (٢) وأحيانا يذكر حديثا دون أن يشير إلى من رواه ولا من أي مصدر أخذه ، ثم يقول وهو مخالف لمتن حديث الربيع (٣) .

ثانيا : أمثلة لبعض الأحاديث الصحيحة التي استشهد بها ، مع الإشارة إلى تخريجها :ـ فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ...** ﴾ آل عمران (٣٦) . فبعد أن ذكر شيئا من تفسير الآية الكريمة، قال : كما قال البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد ، غير ابن مريم فإنه ذهب ليطعنه فطعنه في الحجاب (٤) أي المشيمة . ومن هذا القبيل ماذ كره في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ آل عمرا ن (٥١) حيث قال: روى الترمذي ومسلم وغيرهما عن سفيان الثقفي : أن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال : قل أمنت بالله ثم استقم (٥) .واكتفى

---

(١)تيسير التفسير ٤٦٣/٦رواه البخاري في كتاب الذبائح باب لحوم الحمرالأهلية رقم الحديث(٥٥٢١)٥٦٩/٩

(٢) المصدر السابق ١١٩/٢.

(٣) المصدر السابق ٣٢٢/٢.

(٤) تيسير التفسير ٥٣/٢ . وجاء هذا الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري بغير هذا اللفظ ، رقم الحديث ٣٤٣١ في كتاب الأنبياء ٥٤٠/٦.

(٥) تيسير التفسير ٧٨/٢. هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان شرح النووي ٨/٢. ورواه الترمذي في باب الزهد في حفظ اللسان ٢٤٩/٩ ، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده ٤١٣/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذين المثالين ، والأمثلة على ذلك كثيرة في هذا التفسير .

وأما بالنسبة إلى تخريج الأحاديث التي يرويها، فالشيخ لم يخرج معظم الأحاديث التي استشهد بها، ولم يعتن بكشف النقاب عن أسانيدها، إلا في القليل النادر . ثم إن تخريجه للأحاديث ليس كافياً ، وإنما يذكر موطن وروده ويعزوه إلى رواته ، وأحيانا يورد الحكم على الحديث ناقلا أقوال المحققين والمحدثين فيه. وهذه الأمثلة : فعند تفسيره لقولـه تعالى : ﴿... **والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً..**﴾ سورة البقرة (٢٦٨) .بعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية، قال: روى الترمذي وقال : حسن غريب ، عن ابن مسعود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :إن للشيطان بابن آدم لمة ، وللملك لمة به ، فأما الشيطان فايعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق الحق . (١) ومما نقل فيه أقوال المحدثين وحكمهم على الحديث ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **إني رأيت أحد عشر كوكبا** ﴾ سورة يوسف (٤) حيث قال: روى الحاكم في مستدركه بسنده إلى جابر بن عبدالله أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهنّ يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بهن . قال : الجوزي : حديث موضوع ، وقال زرعة منكر الحديث (٢) ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾ سورة الحج (١١) قال : وضعف ابن حجر ما روي عن أبي سعيد : أسلم يهودي فذهب بصره ، وماله ، وولده .

فقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أقلني أصبت بالإسلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام لا يقال ، الإسلام يسبك الرجل كما تسبك النار الذهب ، والفضة والحديد . فنزلت الآية ـ ثم يعقب الشيخ قائلا : ووجه ضعفه أن اليهود لا تعبد الأصنام .(٣)

ثالثا : استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وتأويل الأحاديث التي لاتتفق ومنهجه : رغم أن الشيخ كانت له وقفات مع بعض الأحاديث ، إلا أنه أورد الكثير من الأحاديث الضعيفة الواهية دون التعقيب عليها ، ومن أبرز ذلك ما ذكره في فضائل السور. والشيخ لم يأت بالأحاديث

---

(١) تيسر التفسير ٤٣٨/١ الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير رقم الحديث : (٢٩٨٨) ٢١٩/٥.

(٢) تيسير التفسير ٧٤/٦ قال ابن حجر في الحكم على هذا الحديث : أخرجه الحاكم من طريق أسباط عن السدي عن عبد الرحمن عن جابر ، ورواه أبو يعلي ، والبزار ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الدلائل ، والطبراني ، وأبو حاتم، ، وذكره العقيلي وقال: لا يثبت . ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وذكره ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة أنه حديث منكر . ٤٤٣/٢.

(٣) تيسير التفسير ٣٩٧/٨ قال ابن حجر : هكذا ذكره الواحدي لكنه بغير إسناد، واخرجه ابن مردويه، واسناده ضعيف. واخرجه العقيلي من رواية عنبه وعنبه ضعيف جدا ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ـ لابن حجر ١٤٧/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتي تروى في فضل كل سورة والتي قال بها طائفة من المفسرين .

إلا أنه ـ رحمه الله ـ لا ينكرها، ويرى أن الوعود السخية بالعطاء والمبالغة في تقدير الثواب التي تترتب على من قرأ هذه السورصحيحة . ومن أمثلة ذلك ما ذكره في مطلع تفسيره لسورة الإخلاص حيث قال: كل ما قيل في فضل هذه السورة فعند الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكثر ، وشأنها أكبر ، وكل ما قيل من فعل أو صلى كذا أو قرأ كذا ، أو تصرف بكذا ، أو نحو ذلك غفر له ، أو له كذا مما يستغرب فلا غرابة فيه؛ لأن المعنى أنه يفعل ذلك مخلصا فيكون سببا للتوبة من ذنوبه فيصل لذلك الفضل ففعله ذلك مفتاح. (١) . وأقف هنا وقفة يسيرة لأقول: ليس كل ما جاء من أحاديث في ذكر فضائل السور ضعيفا أو موضوعا ، ويكفي أن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ أفرد كتابا خاصا في صحيحه أبان فيه فضائل بعض السور ، فنقرأ فيه باب فضل سورة الفاتحة ، باب فضل سورة البقرة .. وهكذا (٢) .أما القسم الذي ذكر العلماء أنه موضوع فهو ما ينسب لأبي بن كعب ، وابن عباس.والنسبة إليهما.قطعاً لا تصح ـ يقول الإمام الزركشي : (.. وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة سورة سورة ، فحديث موضوع .

ثم يتابع قائلا : (وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ، ومغازي محمد بن اسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة) (٣). أما الشيخ محمد أطفيش فقد خلط في ذلك فأحيانا ينقل فضائل بعض السور مقتصرا على ما صح فيها من روايات ، وأحيانا يأتي بأحاديث معظمها لا يصح. دون أن يشير إلى ذلك .

---

(١) تيسير التفسير ٤٠٣/١٥

(٢) كتاب فتح الباري / كتاب فضائل القرآن ، باب ٦٦ ، ٨ /٦١٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن. للزركشي ٤٣٢/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لمطلع سورة (يس) حيث قال: وفي أبي داود (اقرأوا على موتاكم يس) (١)، ثم ذكر عدة أحدايث في فضائل هذه السورة . ومن الأحاديث التي ذكرها ولـم يعلق عليها بشيء مـا أورده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قل لا تقسموا طاعة معروفة** ﴾ سورة النور (٥٣) . قال كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب، ولا كوة لخرج عمله لإنسان كائنا من كان) (٢) أما عن تأويل الأحاديث التي لا تتفق ومذهبه فهي كثيرة وهذا مظهر من مظاهر تعصب الشيخ ـ رحمه الله ـ لمذهبه ، حيث أول الأحاديث التي لاتتفق وما ذهب إليه الإباضيون وما قرروه من مبادئ ، فجعل الشيخ أصوله مسلمة وأول لها الأحاديث ، أو يقوم الشيخ بالتشكيك في صحته ، وقد يتجاوز ذلك إلى تجريح رواته ، واتهامهم بالخطأ والغلط وعدم الضبط، والتأويل عنده منهج مضطرد خاصة في أحاديث الصفات ، فيحملها على التمثيل والمجاز، ويخضعها لسلطان العقل، ويعالجها في ضوءه . فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ سورة القلم (٤٢) . قال : (وما ورد من إثباته عن أبي سعيد الخدري عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعه، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) . وإن صح الحديث فالساق فيه عبارة عن شيء يظهره الله لهم مما شاء أو عن الأمر الشديد ، وكذا حديث (يتبع كل أحد يوم القيامة معبوده إلا المؤمنون . فيبقون حتي يجيء ربهم فيعرفونه بساقه يكشفها لهم وفيها علامة) . ، ولا يقولون : أنت ربنا وإن قالوا فالمعنى أنت ملك ربنا ، وهذا قول عياض (٣) وهو عالم عظيم (٤) أما الأحاديث الدالة علي إثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين فهي عند

---

(١) تيسير التفسير ٦/١١ والحديث رواه أبو داود في كتاب الجنائز ١٦١/٣ ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦/٥ ، وقال الحافظ في التلخيص رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وأعله ابن القطان بالاضطراب ، ونقل ابن العربي عن الدار قطني أنه حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث ١٠٤/٢ رقم الحديث ٧٣٤.

(٢) تيسير التفسير ١٣٦/٩. وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه في باب الرقائق عن أبي سعيد الخدري ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٩/٣. وأبو يعلي الموصلي في مسند أبي سعيد الخدري رقم الحديث ١٣٧٨ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وكذا حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٥/١٠. وأما الشيخ الألباني فقد ضعفه في سلسلة الأحاديث ٢٨٨/٤ .

(٣) القاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي ت ٥٤٤ هـ ، وهو محدث، ومؤرخ وفقيه ، ونحوي ، له كتا ب الشفاء . أنظر ترجمته : تذكرة الحفاظ ٩٦/٤، وفيان الأعيان ٤٩٦/١.

(٤) تيسر التفسير ٧٨/١٤ . والحديثان اللذان شكك في صحتهما الشيخ رواهما الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (يوم يكشف عن ساق) ، رقم الحديث (٤٩١٩) ٥٣١/٨، وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسرجهنم رقم الحديث (٦٥٧٣) ٤٥٣/١١. ولنا عودة إلى هذه القضايا في الفصل السادس عن منهجه العقدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيخ موضوعة ، فيقول عند تفسيره لقولـه تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ القيامة (٢٢،٢٣) . يقول : (.. ووضعوا أحاديث منها أنه ينظر إليهم وينظرون إليه ....) (١) . وعند تفسير ه لقوله تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ سورة ق (٣٠) يسوق حديث : (احتجت الجنة والنار..) ، ثم يقول: ولعل الحديث موضوع وكيف تفتخر النار بالعصاة، وكيف يهون على الجنة من يدخلها ، وإن لـم يكن موضوعا فالمراد التمثيل فلا نطق ولا محاجر) (٢) ثم يتابع قائلا : أعوذ بالله من الكفر كله، وهذا كله تعسف من الشيخ وتعصب ، وتنديد بالمثبتين لهذه الأحاديث، وتشنيع عليهم، وهذا الصنيع من الشيخ يدل على سوء ظن بالصحيحين وما فيهما فأين يذهب الشيخ بعد ذلك ؟ وعلى ماذا يعتمد من كتب الحديث إذ لم يعتمد على الصحيحين ، ولا أرى ما هي العلة القادحة لرفضه هذه الأحاديث إلا مخالفتها لمذهبه، وهذا لا يجدي في البحث العلمي المستقل .

٤- توضيحه وشرحه لبعض الأحاديث التي يرويها، وإيراده الحديث دون الإشارة إلى أنه حديث شريف من الملاحظ على الشيخ محمد أطفيش - رحمه الله - وهو يورد الحديث أنه يقف مع بعض مفرداته التي بحاجة إلى توضيح ، أو يستوعب شرحه ويبين معناه ، ومن الشواهد على ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ . الرحمن (٧٨) فبعد أن فسر الآية ، جاء بحديث عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام) . ثم قال: وفيه تفسير الإنصراف بالتسليم ، والمراد- والله أعلم - لم يقعد مستقبلا للقبلة إلا ذلك المقدار فيستقل الناس . (٣) . ومن ذلك ما فعله عنـد تفسيره لقولـه تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ الحشر (٧) . فبعد أن يخلص من تفسيرالآية يأتي بأحاديث تدل على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ومنها مارواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أنه لعن الواشمة والمشتوشمة، والمتنمصات ، والمستوحمه، والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ، كما لعنهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود : إن ذلك في القرآن، فقالت أم يعقوب الأسدية : قرأت القرآن كله ولم أجده، فقال هو في قوله تعالى : ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه** ﴾ (٤) .

---

(١) تيسر التفسير ٣١٤/١٤.

(٢) تيسير التفسير ٤٣٥/١٢.والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ هل من مزيد ﴾ رقم الحديث (٤٨٥٠) فتح الباري ٤٦٢/٨، ورواه مسلم في كتاب الجنة ١٨١/١٧، وأحمد في مسنده (٧٧٠٤) ٢٧٦/٢.

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم الحديث (١٥٠٩) ٨٣/٢ ، الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٢٥٥٤٧) ١٨٤/٦.
(٤) رواه البخاري في كتاب الطب رقم الحديث (٥٩٣١) فتح الباري ١٠/ ٣٨٤ ، ورواه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم الواصلة والمستوصلة ١٠٢/١٤-١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يقف الشيخ مع ألفاظ هذا الحديث مبينا إياها حيث يقول : ـ

والواشمة التي تشم غيرها، والمستوشمة الطالبة أن يفعل بها الوشم، وكذا في النامصة والمتنمصة ونحوه الفاعلة التي تفعل النمص بغيرها ، والمتفعلة التي تطلب أن يفعل بها ذلك النمص غيرها ، وعكس بعضهم ذلك ، والفلج : التي تفسح بين أسنانها تطلب ذلك من نفسها فتفعله أو تطلب من غيرها أن يفعله بها، وقيل : تتفسح في مشيتها .ومن ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ..﴾ . الجاثية (٢٤) حيث وقف الشيخ مع أحاديث سب الدهر، وأورد شواهد من هذا الحديث حيث قال : وفي مسلم عنه صلى الله عيه وسلم :(لايسب أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر) (١) ثم قال في توضيحه لهذا الحديث: يعني أن ما تنسبونه إلى الدهر من الحوادث وتسبونه لأجلها ليس فعلا له ، بل لي ، فأنا الفاعل لا ما تنسبون فعله إلى الدهر ، ومعنى يؤذيني :يفعل ما نهيته عنه ذلك أن مخالفة الناهي في الجملة تضر الناهي بالغيظ والحزن ، وتغيير القلب. تعالى الله عن وذلك. وروى البيهقي : لا تسبوا الدهر، قال الله عزوجل : أنا الليالي والأيام، أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك) . وعبارة البعض إن الآتي بالحوادث هو الله ، فإذا سببتم الدهر على أنه فاعل وقع السب على الله ، قلت : ماذكرته أولى ، وقد لا يسب الدهر من يعرف أن الله تعالى هو الآتي بالحوادث ، فيكون فاسقا بالجزع بما أجرى الله عزوجل . وسب الدهر كبيرة ومن سب الله أشرك .. أما ايراده الحديث دون الإشارة إلى أنه حديث شريف: ـ واعني بذلك أن الشيخ يذكر معني حديث شيبة بحديث وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم دون أدنى إشارة إلى أن هذا الكلام، هو حديث نبوي شريف فمن ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ البقرة (٤٤).

حيث أخذ في تفسير الآية ، ومن ضمن ما قاله: يطلع ناس من أهل الجنة على ناس في النار فيقولون:كنتم تأمروننا بأعمال دخلنا بها الجنة ، فيقولون : كنا نخالف إلى غيرها، قال ذلك الشيخ دون أن يشير إلى أنه حديث أو يضعه بين قوسين مع أن هذا معنى حديث . والحديث وارد في الصحيحين (٢)

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ في الأداب باب النهي عن سب الدهر ، صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/١٥ وإخرجه المنذري في الترغيب والترهيب في باب الترهيب من سب الدهر. ٤٨٠/٣.

(٢) كما رواة البخاري : يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وانهاكم عن المنكر وآتيه) . كتاب بدء الخلق باب صفة النار رقم الحديث (٣٢٦٧)٣٨١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيرة لقوله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب**﴾ . سورة الأحزاب (٥٣) ، بعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية قال: ـ والنظر سهم مسموم من سهام إبليس ، حيث أورد الشيخ هذه العبارة دون أن يشير إلى أنها معنى حديث أو نص حديث (١) .

سابعا: موقفه من الإستشهاد بالحديث الشريف في اللغة:ـ

لقد ذهب الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى عدم جواز الاحتجاج والاستشهاد بالأحاديث في اللغة العربية، وصرح بذلك في غيرما موضع ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة** ....﴾ سورة التوبة (٣٤) فبعد أن شرح الآية جاء بحديث رواه الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿**والذين يكنزون**...﴾ كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : نزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا أي المال خير اتخذناه، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوج صالحة تعين المؤمن على إيمانه) (٢) . ثم يعقب الشيخ قائلا : ولفظ الحديث زوجة صالحة بالتاء في زوجة، ثم يقسم بالله قائلا : والله لا يقول النبي ذلك إن شاء الله تعالى ، وإنما يقول زوج ، وكذا لا يقوله الصحابي ، وهذا مما يقوي ما ذهبت إليه من أنه لا يكون الحديث حجة في النحو ؛ لأن رواته يغيرونه إلى ما لا يجوز ، أو يضعف جدا كضعف زوجة بالتاء ، وضعف مثنى مثنى مرتين ، ولم أر حديثا يتكرر فيه مثنى ولا خبر كاد لم يقرن فيه بأن، وذلك لا يوصف به كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو في قليل ، فكيف بالملازمة ، فعلمنا أن الرواة يحرفون ، لكنهم حافظوا على المعنى . ويكرر هذه المسألة في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لتستووا على ظهوره** ...﴾ سورة الزخرف (١٣) . يذكر أن اللام هي لا م التعليل ، ثم يقول : وأما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لتأخذوا مصافكم)،(٣) فالتحقيق أن رواة الحديث قد لا يحسنون

---

(١) وفي الأصل أن هذه العبارة حديث رواه الحاكم في مستدركه (عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من خوف الله أثابه جل وعز إيمانا يجد حلاوته في قلبه) . وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، مستدرك الحاكم، باب الرقاق ٣١٤/٤، ورواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبدالله بن مسعود رقم الحديث (١٠٣٦٢) . المعجم الكبير للطبراني ٢١٤/١٠. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث ابن عمر، حلية الأولياء لأبي نعيم ١١١/٦. وحكم عليه صاحب كشف الخفاء بقوله رواه الحاكم وصححه وأقره العراقي ، وضعفه المنذري ٤٣٧/٢. وحكم عليه محقق مسند الشهاب القضاعي بالضعف ، مسند الشهاب رقم الحديث (٢٩٢) ١٩٥/١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير رقم الحديث: (٣٠٩٤) وقال حديث حسن ٢٥٩/٥، رواه ابن ماجه في كتاب النكاح باب فضل النساء ٥٩٦/١.

(٣) لم أجد له تخريجا ذكره القرطبي عند تفسيره لهذه الآية بهذا النص ٣٥٤/٨. وفي البخاري قريب من معناه (فلتسووا صفوفكم) صحيح البخاري كتاب الأذان باب تسوية الصفوف رقم الحديث(٧١٧) ٢٤٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية، فلا يحتج بهم ولو كانوا ثقاة في المعنى ، فنقول : رووه بالمعنى ، ولو رجح الاحتجاج بهم الجمهور. مما تقدم يتبين أن الشيخ لا يجيز الاجتجاح بالحديث في مجال اللغة، ولي مع الشيخ وقفة يسيرة في هذه القضية ، لنصل إلى جذور هذه المسألة .

فقد وقع الخلاف في هذه المسألة بين النحويين قديما ، ابتدأ في القرن السابع الهجري ، أي بعد خمسة قرون من وضع قواعد النحو العربي . وكان أول من تحدث عن هذه القضية ابن الضائع (١) ؛ وهو أبو الحسن على بن محمد الأشبيلي من نحاة الأندلس ، توفي سنة (٦٨٠هـ) . ولم يجز الإحتجاح بالحديث في اللغة، ثم قال بذلك أبو حيان الأندلسي ، وتابعهما على ذلك جلال الدين السيوطي .وخلاصة قولهم : أن الأحاديث رويت بالمعنى ، وأن أئمة النحو من المتقدمين لم يحتجوا بشيء منها ، هذا دليلهم . أما من رأى جواز الاحتجاج بالحديث في اللغة ، فهم كثيرون ، وعلى رأسهم ابن مالك الأندلسي ، وابن هشام ، وابن سيده ، وابن فارس .. وغيرهم (٢) . وقد بسط الشيخ محمد الخضرحسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) (٣) الحديث في هذه القضية وخصص لها فصلا بحث فيه هذه المسألة ، وبين أدلة المانعين والمجوزين ، وناقش أدلتهم ، وخلاصة بحثه أنه يرى الاستشهاد بالألفاظ التي رويت في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول ، وان اختلفت فيها الرواية، ولا يستثنى إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة ، أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف.

وممن عرض لهذه القضية الدكتورة خديجة الحديثي في كتاب خاص سمته :(موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف) ، وناقشت هذه القضية ، وتتبعت فيها الأقوال، ثم ضمنت كتابها بقرار من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والذي أجاز فيه الاستشهاد بالحديث في اللغة. ومضمون هذه القرار ما يلي

(١) لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول ككتب الصحاح الستة فما قبلها.

(٢) يحتج بالحديث المدون في الكتب السابقة على الوجه التالي: الأحاديث المتواترة المشهورة، والأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات، والأحاديث التي تعد من جوامع الكلم ، وكتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والأحاديث المروية أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢٠٤.

(٢) خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي جزء ١/ص٩- ١٤ باختصار.

(٣) دراسات في العربية وتاريخها . ص ١٦٦ - ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يخاطب كل قوم بلغتهم ، والأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجوزون رواية الحديث بالمعنى ، والأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة . (١) ويرى مهدي المخزومي أن النحاه الذين لم يحتجوا بالحديث في اللغه أبعدوا جانبا مهما من المصادر اللغوية ، ثم يقول : ولا يسع الدارس إلا الاطمئنان إل سلامة ما ذهب إليه ابن مالك ، ومن شايعه من اعتبار الحديث من المصادر التي يعتمد اللغوي ، والنحوي عليها. (٢) وممن عرض لهذه القضية الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه قواعد التحديث ، فبعد أن ذكر الخلاف في هذه المسألة قال: (والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه ، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت) (٣). وبعد هذه النصوص التي أوردتها أرى أن انكار الاحتاج بالحديث غير مقبول بالمرة ولا أقر الشيخ عليه، فحجة القائلين بالمنع واهية عند النظر الدقيق يستلزم منها عدم الوثوق بكثير من الأحاديث ، فمما هو معلوم أن كثيراً من علماء الحديث منعوا الرواية بالمعنى ، ومن أجاز ذلك ، اشترط أن يكون على علم ، وأن يكون محيطا بمواقع الألفاظ ، وقد عقد البغدادي في كتابه (الكفاية) (٤) أبوابا في هذا المجال منها : (أ) : باب ما جاء في رواية الحديث على اللفظ ومن رأى ذلك واجبا. (ب) : باب ذكر الرواية عمن لم يجز إبدال كلمة بكلمة ، أو تقديم كلامه على أخرى ، أو حرف بحرف .. وهلم جرا.والشيخ محمد أطفيش يجيز رواية الحديث بالمعنى ، فعند تفسيره لسورة النمل ونفيه التناقض بين (لعلي آتيكم) و(سآتيكم)، يقول : وفي القضيتين جواز حكاية الكلام ، وحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمعنى فيما لم نتعبد بلفظه. وما احتج به الشيخ على هذه المسألة لا يقوم به الاستدلال ، فإن كلمة زوجة استعملت في أحاديث غير هذا الحديث الذي جاء به ، وذلك في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أنس أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فجاءه فقال : يا فلان هذه زوجتي فلانه ، فقال : يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. (٥) يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ مقلقا ومعقبا على لفظه (زوجتي) ، هكذا هو في جميع النسخ (زوجتي) بالتاء قبل الياء ،

---

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، الدكتورة خديجة الحديثي ص ٤١٤- ٤١٨.

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو ، مهدي المخزومي ص ٦٠.

(٣) قواعد التحديث جمال الدين القاسمي . ٢٩ ٢- ٢٣١.

(٤) الكفاية في علم الرواية البغدادي ص ٢٢٨ - ٢٤١.

(٥) رواه مسلم في كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جميع النسخ (زوجتي) بالتاء قبل الياء ، وهي لغة صحيحة وإن كان الأشهر حذفها ، وبالحذف جاءت آيات القرآن والإثبات كثير أيضا.وذكر ابن منظور في لسان العرب: أن لفظة زوجة مستعلمة في كلام العرب ، وأنها لغة تميم، وأورد في ذلك شواهد شعرية (١) . والعجيب أن الشيخ نفسه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ سورة البقرة (٢٥). يستشهد ببيت الفرزدق (٢)الذي أورده ابن منظور على جواز لفظه زوجة حيث قال : والجمع للقلة، والمراد الكثرة . وقيل لغة تميم ، وكثير من قيس . ولعل هذا يدل على إن القضية عند الشيخ ليست قضية مبدأ متأصل ولكنها مجرد فكرة نظرية ليس لها حجة من دليل .

٣ـ الإستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين : ـ

ذهب نفر من العلماء إلى أن ما نقل عن الصحابة والتابعين يعد من التفسير المأثور ، وهذا ما رجحه الدكتور محمد حسين الذهبي (٣) ولقد حرص الشيخ محمد أطفيش ـ رحمه الله ـ على الاستمداد من عطاء الصحابة والتابعين، فجاء تفسيره حافلا بأقوالهم ، حتى ان المتتبع لصفحات هذا التفسير يجد أنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من نقل عن علم من أعلام الصحابة والتابعين وغيرهم. غير أن الشيخ يوردها دون أن يعزوها للمصدر الذي أخذه منها ، وغالبا ما يؤثر الصمت عليها، فلا يتعقبها بشيء وهذه أمثلة على ذلك: فأول ما يطالعنا من اهتمامه فيما يروى عن مشاهير الصحابة والتابعين ، ما قالوه في مجال الحروف المقطعة في بدايات السور، كما فعل ذلك في أوائل سورة يونس، وطه ، والشورى ، فعند تفسيره لسورة طه يقول : ومعنى طه : يا رجل ، أو يا إنسان عند مجاهد (٤) ، والحسن (٥) ، والضحاك(٦) ، وعطاء (٧) وغيرهم .(٨) والذي يبدو والله أعلم بما ينزل أن كل ما ذكر في معاني هذه

---

(١) لسان العرب ٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٢) والبيت هو : وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يَسْتميلُها

أورد صاحب لسان العرب ونسبه إلى الفرزدق تحت مادة (زوج) ٢/٢٩٢.

(٣) التفسير والمفسرون ـ الذهبي ١/١٥٢.

(٤) مجاهد بن جبر يكنى بأبي الحجاج المخزومي من تلاميذ ابن عباس، ت ١٠٤هـ . الإصابة ١/٩٧.

(٥) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري تابعي ورع، ت ١١٠ هـ ، تهذيب التهذيب ٥/٦٥.

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي ، مفسر وثقه أحمد ، ت ١٠٥ هـ وفيات الأعيان ١/٤١٦.

(٧) عطاء بن أبي رباح المكي من سادات التابعين ، ت ١١٤ هـ . تهذيب التهذيب ٧/١٩٩ ـ ٢٠٣.

(٨) تيسير التفسير ٨/١٢٧، انظر الدر المنثور ٥/٥٠٥، الآلوسي ١٦/١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحروف اجتهادات من العلماء لا دليل عليها ومعظمها لا يصح لان الوقوف على المعنى الحقيقي لا يتسنى إلا بورود نص صحيح ولم يتوافر من ذلك شيء يقول الشاطبي (إن هذه الفواتح اسرار لا يعلم تأويلها إلا الله)(١) وفي مجال عرضه لأسباب النزول في بعض الآيات يورد اختلاف السلف فيمن نزلت فيهم هذه الآيات، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا** ﴾سورة النحل (١٨٠) . يورد قول الحسن وعكرمة (٢)

بأنها نزلت في عبد الله بن أبي السرح ، وقول مقاتل انها فيمن أسلم بمكة، وذكر البعض أن الآية في عمّار واضرابه .(٣) وفي معرض توضيحه لمعنى (سيماهم)(٤) الواردة في قوله تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾ سورة الفتح (٢٩) . يقول : وعن سعيد بن جبير (٥) وسعيد بن المسيب :- (٦) السيما ندى الطهور، وتراب الأرض ، وقال مجاهد وسعيد بن منصور :- (٧) أن السيما الخشوع والتواضع. وعن عكرمة والضحاك : السيما صفرة الوجه من السهر في العبادة ، وفي قول لعطاء : حسن يعتري وجوه المصلين ، وعن ابن عباس : السمة الحسن ، والحسن بياضا في الوجه يوم القيامة يعرف به . أما اختيار الشيخ فهو موافق لما قاله مجاهد وسعيد حيث قال : فإن الذي يتبادر لي من حين صغر السن وهو موافق لنوع ما قاله مجاهد وسعيد بن منصور، وهو الخشوع والتواضع. (٨).ومن ذلك ما نقله من عبارات المفسرين من الصحابة والتابعين عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة**﴾ الهمزة (١) حيث قال: - وفسر ابن عباس الهمزة بالمشاء بالنميمة ، المفرق بين الناس عموما، واللمز في المفرق بين الأخوان خصوصا، وعن مجاهد الهمزة الطعان في الناس في الانساب ، وعن أبي

---

(١) الموافقات ٢٣٧/٣

(٢) عكرمة أبو عبدالله المدني تابعي ثقة ، ت ١٠٤هـ. تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧.

(٣) تيسر التفسير ١٠٣/٧- ١٠٤ وذكر الآلوسي عدة أسباب وأقوال ثم قال : والله أعلم بحقيقة الحال ٤٠/١٤.

(٤) تيسير التفسير ٣٤٠/١٢- ٣٤١، ومعظم هذه الروايات أوردها السيوطي في الدر المنثور ٥٤٢/٧ وما بعدها .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي من كبار التابعين وثقه أهل التعديل قتله الحجاج ، ت ٩٥هـ ، تهذيب التهذيب ٣٦٥/١.

(٦) سعيد بن المسيب المخزومي من أجل التابعين مختلف في وفاته قيل ٩٦ وقيل غير ذلك . تذكرة الحفاظ ٥٤/١.

(٧) سعيد بن منصور بن شعبة الحافظ المروزي ، ت بمكة ٢٢٧هـ ، تهذيب التهذيب ٨٩/٤ .

(٨) ومعظم هذه الروايات نقلها الطبري في تفسيره ، وأختار الوجه الذي قال به الشيخ أطفيش - الطبري ٧١/٢٦ ، الألوسي ١٢٤/٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العالية الهمزة في الحضرة ، واللمزة في الغيبة ، وعن ابن ـ جريج (١) الهمز بالعين أو الشدق ، أو باليد أو الشفتين .... والغمز باللسان ، وقيل الهمز واللمز باللسان ، وهو ظاهر حسن (٢).وقد حفل الجانب الفقهي في هذا التفسير بحظ وفير من آراء الصحابة والتابعين ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ الكهف (٢٤) . حيث قال في مجال الحكم الشرعي في مسألة الإستثناء في اليمن : ـ قال ابن عباس : ـ يستثني ولو بعد سنة أو أكثر ، وعن سعيد بن جبير أربعة أشهر، وعن الحسن وطاووس (٣) ، وعطاء ، مادام في المجلس، وعن مجاهد سنتان. (٤) . وأحيانا يورد الشيخ أطفيش أقوال الصحابة والتابعين

ويدلل على صحتها ليستعين بها علي تأييد مذهبه، . فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فأما من ثقلت موازينه** ﴾ . القارعة (٦) . حيث قال : موازينه جمع موزون : أي أعماله الموزونة الحسنة التي عوملت في تدقيق عددها، وحالها ، ومقابلتها بجزائها، معاملة الشيء بالوزن، هذا مذهب المعتزلة ومذهب الفراء ، ومجاهد والضحاك، والأعمش (٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ يونس (٢٦) . يقول : ـ (الحسنى) الجنة (والزيادة) دوام رضاء الله عليهم، أو غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب كما روي عن علي ، وجابر بن زيد (٦). أما تعقيب الشيخ على ما ينقله من آراء الصحابة والتابعين ، وأقوالهم فنادرا ما يفعل ذلك فمن ذلك ما رد فيه قول ابن عباس عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قال فأخرج منها فإنك رجيم** ﴾ سورة ص (٧٧) .حيث قال : (وعنه أنه كان في جنة عدن لافي جنة الخلد ، ولعله لا يصح ، فإن الجنات كلها سواء في أن لا يخرج منها داخلها، والله ـ عزوجل ـ أمره بالخروج مع ذلك لأنه لم يدخلها ثوابا لعمله). (٧) ومن ذلك ما رد فيه

---

(١) ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي بالولاء من كبار التابعين ت ١٤٩ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦٣/٣.

(٢) تيسير التفسير ٣٣٤/١٥، انظر تفسير الطبري ١٨٨/٣٠.

(٣) طاووس بن كيسان اليماني تابعي ثقة روي عن ابن عباس وابن مسعود .ت ١٠٦ هـ تهذيب التهذيب ٨/٥ـ ١٠.

(٤) تيسير التفسير ٣٦٤/٧، انظر تفسير القرطبي ٣٨٦/١٠.

(٤) الأعمش : هو الإمام الحافظ أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي ، ت ١٧٤هـ سير أعلام النبلاء ٤٧٠/١١.

(٥) تيسير التفسير ٣١١/١٥. قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية فأما من ثقلت موازين حسناته يعني الوزن ١٨٢/٣٠ وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية وقد تقدم القول في الميزان وأن له كفه ولسان توزن فيه الصحف المكتوبة ١٦٦/٢٠، وانظر ابن كثير ٥٤٣/٤.

(٦) تيسير التفسير ٢٤٢/٥. لقد ذكر الشيخ هنا ما نسب إلى علي وجابر فقط وكان لزاما عليه أن يأتي بالرأي الاخر في بيان معنى الزيادة وقد روى أنس أن النبي سئل عن هذه الاية فقال: الحسنى : الحسنة والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم وهذا قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وكعب بن عجره وصهيب وعلي بن أبي طالب في رواية وابن عباس في رواية ، وهو قول جماعة من التابعين . قال القرطبي : وهو الصحيح في الباب. تفسير القرطبي ٣٣٠/٨ (٧) تيسير التفسير ٢٢٦/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قول عكرمة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ...وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ الفتح (٢٩).حيث قال : ومن الفساد في التفسير ما قيل عن عكرمة، أخرج شطأه بأبي بكر،فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي) (١). وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها** ﴾ البقرة (٦٦).رد قول مجاهد أنهم لم يمسخوا صورة ولكن قلوبا. المبحث الخامس: **موقفه من الإسرائيليات**

التمهيد : الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد وهي ما روي من أخبار، وقصص عن مصدر إسرائيلي أو نصراني (٢). وتوسع فيها حتى شملت كل ما هو غريب عن البيئة الإسلامية ودخيل عليها ، وإن لم يكن مصدره يهودياً أو نصرانياً . وفي عصره ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن هذه القضايا منتشرة ، وإنما ظهرت وتضخمت في عصر التابعين ، ثم جاء من شغف بالإسرائيليات ، وأفرط في الأخذ منها خاصة الوعاظ والقصاص . وقد تسربت هذه الإسرائيليات إلى ميدان التفسير وامتزجت به ، وراجت بين المفسرين ، وتفاقم خطرها، وتساهلوا في نقلها ، واستوت في ذلك تفاسير المتقدمين والمتحدثين ، على تفاوت بينهم في ذلك قلة وكثرة، تعقيبا عليها وسكوتا عنها ، (٣) ومع ذلك فقد تعالت صيحات كثير من العلماء لمحاربة الإسرائيليات والتنبيه عليها، ومن هؤلاء : ابن تيمية حيث أبان عن حكم التعامل مع هذه الإسرائيليات، وصرح أن ما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد ، وما خالفها فيجب تكذيبه ولا تصح روايته ، وما سكت عنه فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته على أن ينبه إليه، وما عندنا يغنينا ويكفينا (٤) . ويقول الدكتور محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ في بيان حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات (قال العلماء سلفاً وخلفاً لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب إلا مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام أو الفضائل أو الترغيب أو الترهيب ومن رواه من غير بيان فقد باء بالإثم العظيم .، وفي حكم الموضوعات الإسرائيليات التي الصقت بالنبي صلي اله عليه وسلم زورا وكذبا عليه)؟ (٥) . وحين نأتي إلى موقف الشيخ

---

(١) تيسير التفسير ١٢ / ٣٤٦.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : الدكتور الشيخ محمد أبو شهبة ص ١٢، التفسير والمفسرون الذهبي ١٦٥/١.

(٣) انظر كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ محمد حسين الذهبي ص ١١٦ ، التفسير والمفسرون ـ الذهبي ١٦٩/١.

(٤) مقدمة في أصول التفسير . ابن تيمية بتصرف . ١٠٠- ١٠٢ وانظر مقدمة تفسير القرطبي ٣٨/١.

(٥) الإسرائيليات والموضوعات ص ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد أطفيش من الإسرائيليات ، نجد أن التيار قد جرفه، فجاء تفسيره محشوا بذكر الروايات الضعيفة الواهية، والغرائب والعجائب. وكان المؤمل من الشيخ وهو صاحب العلم الغزير أن ينزه تفسيره ويصونه عن مثل هذه الخرافات وأن ينكرها أشد الإنكار، خاصة أن الشيخ يعد من العلماء المحدثين المجددين الذين كان لزاما عليهم أن يتحملوا الجهد في تخريج الروايات التي أوردها المتقدمون، وينتقدوها، ويميزوا صحيحها من دخيلها، ولكون الشيخ صاحب فكر يعمل العقل والفكر فيما يعرض عليه ويمحصه.ولعل الشيخ قد أدرك بأنه قد أسرف في ذكر الروايات الغريبه ، فأراد أن يبرر موقفه، حيث قال : (وأعلم أني أذكر القصص في التفسير ، ولو مع كثير منها عندي ليستريح إليها القارئ والمستمع)(١) . وهل هذا الذي ذكره الشيخ يشفع له؟ ثم هل القارئ لتفسير كلام الله يمل فيحتاج إلى أن يلطف نفسه ، ويأخذ فترة استراحة ، مع هذه الروايات ؟ والأصل أن القرآن الكريم يقصد من إيراد القصص موطن العبرة ، والعظة ، والادكار ، ولم يكن غرضه سرد الوقائع التاريخية لمجرد الأخبار، ثم إن القارئ لهذا التفسير قد يكون من العوام ، فما يدريه الصحيح من غيره، فهو سيسلم بصحة ما يقرأه ويستمع إليه.

وأرى أن موقفه من هذه الروايات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ـ

١ـ قسم أورده دون أن يقف معه ويعقب عليه.

٢ـ قسم علق عليه ولكن هذا التعليق لم يكن محددا وواضحا.

٣ـ قسم عقب عليه وحكم عليه بالرد.

وفيما يلي عرض لهذه الأقسام ، فمن القسم الأول ذلك ما ذكره في قصة خلق حواء من آدم ـ عليه السلام ـ فعند تفسيره لقوله تعالي : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ البقرة آية (٣٥). يقول الشيخ : ـ وبعد أن استقر فيها خلق الله زوجته حواء من ضلعه اليسرى وهو نائم ، ولم يحس ألما ، فيقال لو أحس الألم كان الرجل لا يعطف على المرأة ، وخلق الله في موضع الضلع لحمة. ثم يورد قصة الإخراج من الجنة وكيف توصل إبليس إلى آدم وزوجه ، ثم فصل في كيفية الهبوط ، وأين كان حيث قال: (ودخل الجنة متصوراً في صورة دابة من دواب الجنة ، ولم تعرفه الملائكة أو دخل الجنة في فم الحية فمنه سمها، وكانت بقوائم على طولها ومن أحسن الدواب فعوقبت بسلب القوائم ، وقيل تسورت على الحائط ، وقيل وقف طاووس على الجدار ، فذهب إليه آدم وحواء فوسوس منها إليه ، وقد جاء إلى قرب الحائط وقيل وسوس إليها من وراء الجدار . ثم يقول إن آدم نزل في الهند على جبل يسمى نود،

---

(١) تيسير التفسير ١٣٤/٥ هكذا جاءت العبارة ولعل فيها نقصاً بعد عندي (لم يصح) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحواء بجدة، وإبليس في البصرة، وزوجة إبليس في أصبهان، والطاووس بالشام. (١) والغريب من الشيخ أنه ساق هذه الروايات والحكايات ولم يسندها لأحد دون أدنى تعقيب أو تعليق ، مع أنها في غاية الغرابة ، وقد عقب ابن كثير على مثل هذه الروايات حاكما عليها بأنها من الإسرائيليات . (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده ، وأبي العالية، ووهب بن منبه وغيرهم ههنا أخبارا إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس ، وكيف جرى من دخول إبليس الجنة ..) (٢) وممن صرح كذلك ببطلان هذه الروايات الفخر الرازي . (٣) وناقش الدكتور محمد أبو شهبه هذه الروايات من الناحية العقلية ورأى : (أن وسوسة إبليس لآدم ـ عليه السلام ـ لا تتوقف على دخوله الجنة، إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب أو مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا ، ولم تكن لها قوائم ...) (٤) ومن الإسرائيليات التي ضمنها الشيخ أطفيش تفسيره ما ذكره عند حديثه عن قصة بناء الكعبة، فحشد لنا مجموعة من الروايات في بناء البيت ومن بناه ، ومتى بناه ، وموضع الكعبة قبل الأرض ، وأنها كانت قبل الأرض بألفي سنة ، زبدة بيضاء ، وبسطت الأرض من تحتها، واستوحش آدم إلى الله ـ عزوجل ـ فأنزل عليه البيت المعمور ياقوته من الجنة لها بابان من زمرد أخضر، ثم أنزل عليه الحجر الأسود ، وحج آدم من الهند ماشيا ، وأن الله ـ عزوجل ـ أمر الملائكة أن يبنوا في كل سماء وأرض بيتا على سمت الكعبة ، وروي أن الأرض انشقت إلى منتهاها، وقذفت الملائكة حجارة كالإبل وبنوا البيت عليها ... (٥) . وقد ذكر الشيخ هذه الأقوال ولم يعقب عليها بشيء ، وقد صرح ابن كثير(٦) في تفسيره بأن غالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها ، أما إذا صح الحديث في ذلك فعلى الرأس والعين. ومن الروايات الإسرائيلية التي ذكرها الشيخ أطفيش ولم ينبه عليها لا بقليل ولا بكثير ، ما ذكر في سورة الكهف . فقدذكر أسماء أصحاب الكهف ونسبهم، ومتى وجدوا ، وفي أي مكان كانوا، وإسم كلبهم أهو قطمير أم غيره ؟ ، ومالونه أهو أصفر أم أحمر ؟ .ثم قال: (قال رجل من أهل الكوفة رأيته كأنه ثوب إنجاني ، ومن الذي كان يقلب أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال ، وكم مرة في السنة وفي أي

---

(١) تيسير التفسير ١/٥٦ـ ٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٨٠.

(٣) مفاتح الغيب ـ الرازي ١/٣٠٧.

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د. محمد أبو شهبة ١٨٠.

(٥) ولو أنه ذكر الرواية التي ذكرها البخاري في صحيحه لكان في ذلك غنية عن كل ماذكر، كتاب التفسير باب (وإذ يرفع ابراهيم القواعد)، ورقم الحديث (٤٤٨٤) ، فتح الباري ٨/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير ١/١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوم، وهل طالت شعورهم وأظافرهم ، ومن الملك الذي كان يومها ؟ ثم يذكر أنهم لما ماتوا جعلهم الملك في توابيت من ذهب فأتوه في الليل ، فقالوا : خُلقنا من تراب فجعلهم في توابيت من ساج. وفي نهاية ذلك يقول : ويطفأ الحريق ـ إن شاء الله ـ بإلقاء ورقة مكتوب فيها أسماء أهل الكهف، وإن كتبت على دار لم تحترق، أو متاع لم يسرق وتدفع بإذن الله للطلب والهرب، وبكاء الأطفال والحمى والصداع. رحم الله الشيخ ، من أين أتى بهذه الخرافات التي لا تمر حتى على العجائز ، وما الحكمة من إيرادها ، ثم المرور عليها دون أدنى تعقيب أو مناقشة . وقد استنكر الإمام ابن كثير هذه الروايات ، فقال: وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا .. ولا فائدة لنا فيه ، ولا قصد شرعي ـ والله أعلم ـ بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه . (١) ثم ذكر اختلافهم في لون الكلب فقال: واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها . ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها ، بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب . (٢) وعند تفسير الشيخ للآيات التي تحدثت عن لقاء موسى ـ عليه السلام ـ والخضر ، وما جرى بينهما ، وعن قصة ذي القرنين يورد هناك من الأخبار العجيبة ، والروايات الواهية ما الله به عليم (٣).ويعلق الحافظ ابن كثير على هذه الروايات بقوله : (وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له فيه طول ، وغرابة في أشكالهم ، وصفاتهم وطولهم، وروي ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها) .(٤) ومن الإسرائيليات التي تورط فيها الشيخ وضمنها تفسيره وهي ظاهرة البطلان ، خيالية الوقوع ، ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم** ... ﴾ النحل (٢٣) . حيث قال ما ملخصه: ـ تملك سبأ تتصرف فيهم تصرف المالك للمال بلقيس، وقبل اسمها ليلى ، وقيل أبوها السرح بن الهداهد ملك اليمن ، من أربعين أبا كلهم ملوك ، وهو آخرهم.

وجاء الحديث بأن أحد أبوي بلقيس جني ، ويقال: ـ كان أبوها ملك اليمن ، ويقول لملوك الأطراف: لا كفؤلي منكم، أتزوج منه ، وكان كثير الصيد، وكان يصيد الظباء فيتبين له أنها من الجن . فيُطْلقَها ، وظهر له ملك الجن وشكر له فعله ، واتخذه صديقا، وزوج له بنته ، وهي ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس ، وقيل رأى حية سوداء تغلبت على حية بيضاء فقتلها، وحمل البيضاء وصب عليها الماء وأطلقها ، ورجع إلى داره وقعد منفردا ، فإذا شاب

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٧٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٧٦ .

(٣) تيسير التفسير ٧/٤٢٦ ـ ٤٧٨.

(٤) ابن كثير ٣/١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميل فخاف ، فقال: لا تخف أنا الحية البيضاء ، وأما السوداء فعبد طغى وقتل عدة منّا وعرض عليه المال. قال: لا حاجة لي فيه، ولكن زوجني بنتك إن كانت لك بنت ، ففعل فولدت له بلقيس. (١) ثم يذكر قصة غريبة في توليها الحكم ويصف عرشها، ويأتيك بكل غريب عجيب ، ويشير إلى قصتها مع سليمان (٢) عندما أراد أن يتزوجها.

فقيل له : إن رجلْها رِجْل حمار، ويستطرد في ذكر مرويات مختلقة مكذوبة بلا شك .ويمر الشيخ على هذا القصص الخيالي دون أن ينبه علي ذلك، أو يبين وجه الحق والصواب ولا بكلمة واحدة ، بل يتفاعل معها وينشد إليها ، وكان الأحرى به بعد أن نقلها أن يقف معها ويتعقبها ، كما فعل الحافظ ابن كثير الذي قال: (والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل كتاب مما وجد في صحفهم ،كروايات وهب (٣) وكعب (٤)سامحهما الله تعالى فيما نقلا من أخبار بني إسرائيل من الأوابد(٥) ، والغرائب ، العجائب مما كان ، ومالم يكن ، ومما حرف، ونسخ وبدل ، وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه، وأنفع وأوضح، وأبلغ ، ولله الحمد والمنة(٦).

القسم الثاني : ما أورده وعلق عليه ولكن هذا التعليق لم يكن محددا :

لقد أورد الشيخ ـ رحمه الله ـ بعض الإسرائيليات ، والمرويات المختلفة ، وأشار إليها إشارات تتراوح ما بين قبولها أو والاغترار بها ، مصرحا أحيانا وملمحا أحيانا أخرى . مع أن هذه الروايات واضحة البطلان وضوح الشمس وضحاها، تتعارض مع ما في شريعتنا من تعاليم، وليس لها أدنى حجة تثبت صحتها. ومن ذلك ما أورده عند تفسير ه لقوله تعالى : ﴿ ...**وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ...﴾ سورة البقرة (١٠٢) . حيث يقول في مجملة : وأما ما روي ـ عن هاروت وماروت ـ أنهما ملكان من أعبد الملائكة ، تعجبت الملائكة من كثر ذنوب الناس. فقال الله ـ عزوجل ـ : لو ركبت فيكم ما فيهم لعصيتم مثلهم، فاختاروا هاروت وماروت ، فركب فيهم الشهوة ، وأمرهما بالقضاء بين الناس، فما مد عليهما مدة حتى افتتنا بامرأة إختصمت إليهما، فراوداها فأبت حتى يشربا الخمر ، ويسجدا للصنم ،

---

(١) تيسير التفسير ٣٣٧/٩.

(٢) ٣٤٠/٩ـ ٣٥٦.

(٣) وهب بن منبة من التابعين وهو أبو عبدالله اليماني الصنعائي ، ت ١١٠ هـ ألف كتابا في المغازي أكثر فيه من الإسرائيليات . تهذيب التهذيب ١٦٦/١١.

(٤) كعب : هو أبو اسحاق كعب بن مانع الحميري أسلم في خلافة عمر وقيل أبي بكر ت ٣٢هـ .تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨.

(٥) جمع آبده وهي الأمر العجيب يستغرب له ، أوالداهية يبقى ذكرها أبداً ، وجمعها أوابد واوبد الكلام غرائبه وعجائبه. انظر المعجم الوسيط ٢٢/١.

(٦)ابن كثير ٣٦٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ أفرءيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ النجم (١٩-٢٠) .

قرأ الشيطان محاكيا لصوته: تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجى ، ويرى قرأ ذلك ناعسا، وما في قلبه شيء من ذلك، ورضي عنه المشركون وسجد حينئذ وسجدوا ، وانتبه لذلك ، أو نبهه جبريل - عليه السلام - فأخبرهم بأنه لم ينطق هو بذلك ، أو لم يقصد ذلك . ثم يقول : وضعف البيهقي ، وعياض ذلك الحديث، ثم يذكر احتمالات ويفندها حيث يقول: - إما أن يتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم . عمدا وهذا لا يجوز لأنه إشراك، وإنما بعثه الله لإبطال الشرك ، والطعن في الأصنام لا لمدحها.

وإما أن يجري الشيطان ذلك على لسانه - صلى الله عليه وسلم. إجبارا بحيث لا يقدر أن يمتنع وهذا باطل ؛ لأنه لا قدرة للشيطان على ذلك في حق غيره، وكيف في حقه - صلى الله عليه وسلم . وإما أن يجري ذلك على لسانه في غفلة أو نوم وذلك لا يجوز ؛ لأنه يؤدي إلى عدم الاعتماد على ما يقول وقال الله تعالى : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾ فصلت (٤٢) . فلما بطلت هذه الوجوه بقي أن يقال : إنه تمت قراءته - صلى اله عليه وسلم -

عند قوله (ومناة الثالثة الأخرى) . قال الشيطان عقب ذلك محاكيا صوته تلك الغرانيق العلا. سمعوا صوته، وقد سمع الناس في مواضع كما قال يوم أحد إن محمدا قد قتل ، ويوم بدر لا غالب لكم اليوم وسمعوه. (١) وهكذا نرى الشيخ مضطربا فمرة ينكر هذه الرواية ومرة يجعل لها أصلا ، وعندما اطلعت على هذه الاحتمالات التي أوردها ظننت أنه رأي فطير . أتى به الشيخ من تلقاء نفسه، فلما رجعت للمسألة في فتح الباري (٢) فإذا بهذه الاحتمالات يوردها ابن حجر مع إضافات أخرى ويجعل للقصة أصلا ، ويحملها على هذا التأويل الأخير الذي ارتضاه الشيخ ورجحه .وأرى أن هذا التأويل والتخريج لهذه الرواية لا يصح لا نقلا ولا عقلا ، ولا يسمح به السياق ، بل إن جعل القصة لها أصل يبطل ما أثبته أولا من عصمته - صلى الله عليه وسلم - فكيف يتكلم الشيطان على لسانه - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يدري والأمة مجمعة على أنه معصوم فيما يبلغ ، والتلاوة أعظم البلاغ ، ثم إن هذه القصة من ناحية الرواية لم ترد في كتب الصحاح، ولم يروها أحد من أهل الصحة، ولا أسندها ثقة بسند صحيح متصل ، وهي رواية مرفوضة حتى وإن رواها من (جاوز القنطرة) على حد تعبيرهم.

ولله در الإمام الرازي (٣) إذ قال: (هذه رواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول. ونقل قول ابن خزيمة : - إنها من وضع الزنادقة) وقد أوضح ابن كثير

---

(١) تيسير التفسير ٤٣٨/٨ وما بعدها.

(٢) وهذا يدل على أن هذه الأقوال مأخوذة من فتح الباري بقرينة وجود ها فيه وترجيح مارجحه مصنف الكتاب. فتح الباري ص ٢٩٣/٨- ٢٩٤.

(٣) مفاتيح الغيب - الرازي ٥٠/٣٢ باختصار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقيقة هذه الروايات فقال: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق.. ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم (١) وجمع الرد على هذه الرواية الموضوعة الشيخ القاسمي في محاسن التأويل (٢) فاقرأها هناك يتبين لك وجه الحق والصواب إن شاء الله . ومن القصص ظاهرة البطلان التي أوردها الشيخ : ما أثير من قصة زواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتقِ الله** ﴾ الأحزاب (٣٧) يورد رواية موضوعة في سبب نزول الآية ملخصها كما جاء عنده: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء إلى بيت زينب ذات يوم لحاجة ، فابصر زينب فوقعت في نفسه ، فقال سبحان الله مقلب القلوب ، وسمعته فأخبرت زيداً حين جاء. ويأتي برواية أخرى منها: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء إلى زيد فلم يجده في بيته، فعرضت عليه زينب الدخول فلم يدخل ، وسمعته يقول: سبحان الله ، فأخبرت زيدا بما قاله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءه فقال: هلا دخلت يا رسول الله لعلها أعجبتك فاطلقها فقال: (أمسك). ثم يعلق قائلا : وأنكر العلماء القولين جدا ـ ولعله يريد محبتها أو إرادة طلاقها ـ ولا أرى فيهما بأسا ؛ لأن ذلك بأمر الله تعالى ولأن الأنصار يطلقون بعض نسائهم ليتزوجهن المهاجرون. (٣)سامح الله الشيخ وعفا عنا وعنه كيف يجرؤ على إيراد هذه القصة وإن ذكرها غيره وهي ظاهرة البطلان حتى ولو رويت من طريق سلسلة الذهب ـ كما يقولون ـ فكيف وهي من القسم الذي علمنا كذبه بما عندنا من حقائق شرعية فيجب تكذيبه، وتحرم روايته .

فهذه الرواية المتهافتة لا تتناسب مع منصبه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تليق أن تقال عن آحاد الناس فضلا عن أكرم الخلق ، وكيف نصدق مثل هذه الرواية الساقطة في أسانيدها فنقع في شراكها. ونرى أنه لا بأس بها، ونفتح بذلك بابا للمستشرقين وأبواقهم ينفذون منه للطعن في النبي الكريم ، الذي أخرست سيرته النقية كل خصومة. ويااليت الشيخ كان ظهيرا قويا ومشايعا لمن سبقه من المفسرين في إبطال هذه الروايات ، وإعراضه عنها إعراض الخبير بها كما فعل الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ إذ قال : وذكر ابن أبي حاتم، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها. (٤)

وممن استعرض هذه الروايات ورصدها، ونقدها نقدا علميا في غاية الأحكام ، القاضي أبو بكر بن العربي ، فجزاه الله خيرا. (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٢٩. (٢) محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي ١٢/٣٨ـ ٥٧.

(٣) تيسير التفسير ١٠/٢٦٣ـ ٢٦٤.

(٤) تفسير ابن كثري ٣/٤٩١.

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٣/١٥٢٧ـ ١٥٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القسم الثالث : وهو ماعلق عليه وحكم عليه بالرد .

لئن أُخذ على الشيخ ـ رحمه الله ـ صنيعه فيما أورده من قبل ، فإنه يسجل له هنا أنه كان يورد بعض الروايات ، ويقف معها مبينا بطلانها، أو ناقلا لأقوال المحققين لهذه الروايات .

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولقد همت به وهم بها..** ﴾ يوسف (٢٤) . ذكر أن هم امرأة العزيز القصد منه المباشرة . أما يوسف فلم يهم بها، لأنه رأى برهان ربه، ولولا للامتناع كأنه قيل : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، وبعد أن اختار هذا القول نزّه ساحة نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ من الروايات الكاذبة التي نسبت إليه . بقوله : والقول بذلك في نبي فسق. والحجة في ذلك عصمة الأنبياء قبل البعثة وبعدها. (١)

والرأي الذي اختاره الشيخ هنا هو الرأي الذي قاله الرازي ودافع عنه بشدة، (٢) واختاره أبو حيان في البحر المحيط (٣) ، وجوزه الشنقيطي في أضواء بيانه . (٤)

ومن الإسرائيليات الباطلة التي ذكرها ونبه عليها وسخر من القائلين بها، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ ق (٧) .حيث قال : والارض أنزلها الله تعالى في الفراغ لا ترتكز على شيء كما ظنه اليهود أنها ارتكزت على قرن ثور ، وأن الثور على صخرة ، والصخرة على حوت، والحوت في البحر ، والبحر على ظلمة ، ونحو ذلك من أقوال باطلة ، وهل ترى الظلمة جسيما يحمل شيئا ؟ ولزم التسلسل فدع السلسلة إلى قدرة الباري الماسك لها بالتكوين دون مركز، ولعل بعض الفراعنة الذين يعبدون البقر وضع ذلك عمدا أو تعمدا أن الثور المعبود هو الواسطة في حرثها، وغرسها، ونسي هذا المعنى المجازي وحمل الكلام على ظاهره . (٥)

ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**والبحر يمده من بعده سبعة أبحر..**﴾ لقمان (٢٧) . حيث قال : روي الطبراني ، وابن المنذر عن ابن عباس : أنه خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ومن وراء ذلك جبلا محيطا به، يقال له (ق) ، وخلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات... حتى عد سبعة أراضين ، وسبعة أبحر ، وسبعة أجبل ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر**﴾. والله أعلم بصحة ذلك ، والله تعالى قادر على مالايحصى من ذلك ، وهب أنه ذكره كعب الأحبار رضي الله

---

(١) تيسير التفسير ٦/١١٠-١١١

(٢) مفاتيح الغيب ـ الرازي ١٨/١١٧.

(٣) البحر المحيط ـ أبو حيان ٥/٢٩٥.

(٤) أضواء البيان ٣/٦٠.

(٥) تيسير التفسير ١٢/٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنـه ، لكن لعله آخذه من كتب الإسرائيليين ، وهو في نفسه ثقة ، ويبحث بأنه إذا كان ثقة لم يرو إلا ما صح، فيجاب بأنه رواه ظانا أنه صحيح . مع أنه ليس مما يقطع فيه العذر. (١) ويأليت الشيخ محمـد أطفيش ـ رحمه الله ـ سـلك في القسمين السابقين كما سـار عليه في هذا القسـم ،ولعل هذا يعود إلى أن الشيخ لم يجعل لنفسه قاعدة تجاه هذه الإسرائيليات ؛ فابتلي بها وأثقل بها تفسيره ، ولوجرد هذا التفسير وخلص من هذه الروايات الواهية، والقصص الخيالية لكان أقل حجما بكثير مما هو عليه الآن.

سادسا : اهتمامه بالأمور التاريخية :ـ

من الأمور الهامة لدى الشيخ أطفيش تعلقه الواضح بالاخبار التاريخية وتوسعه بذكر أحداث السيرة، ومجريات غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمشيا مع نزعة الشيخ القصصية ، التي من مقوماتها سوق مثل هذه الأمور . إلا أنه يحاول أن يكون العرض لأحداث السيرة ، والغزوات وفقا لما جاءت به الآيات القرآنية الكريمة . مستشهدا لها بما نقلة عن أصحاب السير والمفسرين .

فقد سرد عند تفسيره لسورة الأنفال مجريات وأحداث غزوة بدر حتى تأخذ منه ما يزيد على خمس صفحات . (٢) ويعرض لغزوة أحد (٣) ، ويقف مع هذه الغزوة في مواطن متعددة وفقا ما جاءت بها الآيات.

وفي سورة التوبة يسوق معظم الروايات التي ذكرت في أحداث الهجرة (٤) منوها بفضائل أبي بكر رضي الله عنه، ويتوسع في غزوة حنين (٥) ويسرد كثيرا من القصص التاريخية، فيورد قصة أصحاب الفيل (٦) ، ويورد قصة تخريب بيت المقدس (٧) ، وتحرير صلاح الدين له . وكثيرا ما يتطرق إلى أحداث تاريخية وقعت في الأندلس ، وينوه بقائد المرابطين يوسف بن تاشفين (٨) الذي استجاب لدعوة الأندلسيين .

---

(١) تيسير التفسير ١٠/١٥١.

(٢) تيسير التفسير ٤/٥٠٣ـ ٣١٠.

(٣) تيسير التفسير ٢/١٥٨ ـ ١٧٦.

(٤)تيسير التفسير ٥/٢٤ـ ٣٠.

(٥) تيسير التفسير ٤/٢٧٤ـ ٢٨٢.

(٦) تيسير التفسير ١٥/٣٤١ـ٣٤٢٦.

(٧) تيسير التفسير ١/١٦١.

(٨) يوسف بن تاشفين بن ابراهيم أمير المسلمين سلطان المغرب الأقصى وباني مدينة مراكش (٤١٠ـ ٥٠٠هـ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأى أن فريضة الجهاد توجب عليه تلبية إخوانه المسلمين ، وكم تمني الشيخ أن يكون جنديا غازياً في جيش يوسف بن تاشفين ، فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿**لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ...﴾ التوبة (٤٤) . قال : أكب على التأليف ، إذ لم أجد لنا ابنا غازياً يوماً ولا مابه أغزو ، ولو كنت في زمان الأمير يوسف بن تاشفين لكنت أطوع إليه من سائر أعوانه ـ إن شاء الله ـ ولعل الله يجعل لي ثواباً لقصدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

قضايا علوم القرآن في هذا التفسير

وفيه المباحث التالية :

أولا : **أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم**

ثانيا : **أسباب النزول .**

ثالثا : **المناسبة بين الآيات والسور.**

رابعا : **الناسخ والمنسوخ .**

خامسا : **التكرار وموقفه منه.**

سادسا : **القراءات القرآنية .**

سابعا : **المحكم والمتشابه.**

ثامنا : **إعجاز القرآن.**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد : لقد عرض الشيخ محمد إطفيش ـ رحمه الله ـ لمباحث علوم القرآن الكريم ، ومما لا شك فيه أن مباحث هذا العلم ذات قيمة علمية مهمة، إذ تخدم الباحث في الوصول إلى فهم الكتاب العزيز، والعلم به واجب وشرط من شروط المفسر لكتاب الله.

والشيخ محمد كغيره من المفسرين يعتني في تفسيره بأهم المسائل المتعلقة بعلوم القـرآن ، ويقف على كثير من أنواعها. ومما يجدر ذكره أن هذه المسائل نجدها عند الشيخ غير محررّة ؛ وذلك لأن الحديث عنها جاء عرضا أثناء التفسير .

وسأعرض لأهم المباحث التي تناولها الشيخ في تفسيره ، وهي تضم القضايا التالية :

المبحث الأول : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم :

يذهب الشيخ تبعا لما عليه أكثر المفسرين ، والمحققين من أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق صدر سورة العلق .﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾. آية (١) ، وقد بحث الشيخ هذه القضية في أكثر من سورة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ الدخان (٣) . يقول : كان ابتداء الوحي مناما في ربيع الأول ، وبعد ذلك نزل القرآن نـزولا وهـو : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ . في يوم الإثنين في سبع عشرة مضت من رمضان، أو لسبع منه، أو لأربع وعشرين منه، ومضت ثلاث سنين بعد نزول (اقرأ) ، فنزلت ﴿ **يا أيها المدثر**﴾ المدثر(١) . وعند تفسيره لسورة المدثر يسرد حديث (١) جابر بن عبدالله . حيث يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ سألته عن الآية : لما قضيت جواري بحراء ، وقد جاورت فيها شهرا، هبطت فنوديت يمينا وشمالا وخلفا فلم أر شيئا ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي بحراء جالس على كرسي في الهواء فرَعِبتُ فقلت لأهلي : دثروني ، فنزلـت ﴿ **يا أيها المدثر**﴾.

وعن جابر أنها أول ما نزل ، ثم يقول الشيخ : ولا يصح عنه هذا ، فإن هذه السورة نزلت بعد سورة المزمل بثلاث سنين ، وهو وقت إرساله . ألا ترى إلى الملك الذي جاءني بحراء ، فإنه جاء فيها فضمه . فقال : اقرأ وأطلقه.. ولعل جابرا أراد الأولوية بالإضافة إلى الإرسال بالإنذار؛ أي أول ما نزل من الإرسال بعد فترة الوحي. وفي سورة العلق يأتي بحديث عائشة(٢) في بدء الوحي بتمامه مع حديث جابر، ويورد مثل هذا الكلام ، ويجمع بين

---

(١) حديث جابر رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب سورة المدثر رقم الحديث (٤٩٢٢) ص ٥٤٥/٨ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان بدء الوحي ٢٠٦/٢.

(٢) حديث عائشة رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٠/١، ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٩/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحديثين الصحيحين ويزيل الإشكال بينهما ، ويرجح أن أول ما نزل هو سورة العلق. وقد أصاب الشيخ في ترجيحه هذا ، وهو ما جاء عن كثير من العلماء والمفسرين (١).

أما آخر ما نزل من القرآن الكريم:

لقد أورد الشيخ في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ البقرة (٢٨١). رواية عن ابن عباس أن هذه الآية آخر ما نزل بها جبريل ـ عليه السلام ـ ،نزل بها وقال : ضعها على رأس المئتين والثمانين من سورة البقرة .وهو الصحيح ، ثم يورد الأقوال الأخرى التي قيلت في آخر ما نزل . فقيل : إن هذه آخر آية نزلت في البيوع ، وعاش النبي بعدها واحدا وعشرين يوما وهو المختار ؛ لأنه عاش بعد قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾. المائدة(٣). واحدا وثمانين يوما، وقيل تسعة أيام، وقيل سبعة ، وقيل ثلاث ساعات. (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفُسكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُم**﴾ التوبة (١٢٨) . أورد حديثا رواه الحاكم (٣) أن آخر ما نزل : ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾. وعند تفسيره لأواخر سورة النساء في قوله تعالى : ﴿**يستفتونك في النساء** ﴾ .النساء (١٢٧) . ينقل الخلاف في آخر ما نزل ويتوسع في ذلك ، ويأتي برواية ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا ، وآخر سورة نزلت ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ النصر (٤) ، وروي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاش بعد سورة النصر عاما ، ونزلت بعدها (براءة) ، وهي آخر سورة نزلت كاملة. وعاش النبي بعدها ستة أشهر، ثم نزل في طريق حجة الوداع قوله تعالى : ﴿**يستفتونك قل الله يُفتِيكم** ﴾ النساء (١٧٦) . قيل : نزلت وهو يتجهز لحجة الوداع في الصيف، ونزلت وهو واقف بعرفات ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، وعاش بعدها واحدا وثمانين يوما ، ثم نزلت آية الربا، ثم نزلت ﴿**واتقوا يوما** ﴾ . وعاش بعدها واحدا وعشرين يوما. وذكر البخاري ومسلم عن البراء أن آية يستفتونك آخر آية نزلت في الفرائض. (٥) هذا ما ذكره الشيخ وهو صحيح لوروده في صحيح البخاري، وصحيح البخاري مقدم على غيره، ولكثرة ما ورد في ذلك من أخبار عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأن هذه الرواية حددت المدة التي عاشها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي تسع ليال ، وقد

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي ٢٠٦/١، وقد جزم الإمام النووي ببطلان القول المنسوب لجابر حيث قال: (وهو ضعيف بل باطل) شرح مسلم ٢٠٧/٢، الاتقان ٢٤/١.

(٢) انظر الأقوال في ذلك تفسير ابن كثير ٣٨٣/١.الاتقان ٢٦/١-٢٨.

(٣) رواه الحاكم في كتاب التفسير وصححه وافقه الذهبي ٣٣٨/٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التفسير ١٦٨/٨.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب التفسير سورة النساء ١١٧/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختار هذا القول جماعة من العلماء . (١)

المبحث الثاني : **أسباب النزول:**

تمهيد :

يراد بسبب النزول ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، كأن تقع حادثة أو يوجه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سؤال فتنزل الآية أو الآيات فيما يتصل بتلك الحادثة، وبجواب ذلك السؤال . فيقال بعد ذلك في هذه الآية أو الآيات سبب نزول كذا. (٢). وقد اعتنى المفسرون في كتبهم بأسباب النزول ، والذي يطالع تفسير الشيخ يلاحظ كثرة عنايته، واهتمامه بهذا العلم ليساعد على توضيح المعنى المراد، ومع ذلك فهو يشير إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: وفيما يلي بعض الأمثلة التي عرض لها وهي كما يلي : -

أ- تعدد أسباب النزول والنازل واحد.

ب - إيراده سببا واحدا لأكثر من آية واحدة.

جـ - يحقق القول في سبب النزول.

أ - تعدد أسباب النزول والنازل واحد.

فعند تفسير الشيخ لقوله تعالى : ﴿ **يَا أيُها الذين آمنوا لا تُقدمّوا بين يَدِي اللّه ورسُوله**﴾ الحجرات (١) . نرى الشيخ يورد عدة وجوه لأسباب نزول هذه الآية .

---

(١) انظر أسباب النزول / للنيسابوري ص ٨، البرهان / للزركشي ٢١٠/١، فتح الباري ٥٣/٨. الإتقان / للسيوطي ٢٦/١. وقد حاول ابن حجر الجمع بين هذه الروايات خاصة فيما جاء عن ابن عباس، فقد جاء عنه رواية آخر ما نزل آية الربا، ورواية أخرى ﴿واتقوا يوما ﴾ حيث قال : وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهن ، وأما ما جاء في آخر سورة النساء من حديث البراء آخر سورة نزلت (براءة) ، وآخر آية ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ فيجمع بين قوله وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعا، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث، مثلا بخلاف آية البقرة ويحتمل عكسه، والأول أرجح بما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. فتح الباري ٥٣/٨.

(٢) انظر البرهان للزركشي ٣١/١، الاتقان للسيوطي ٤٢/١، مناهل العرفان للزرقاني ٩٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يقول : والآية على عمومها ، ولو خص سبب كما أخرج البخاري (١) عن عبدالله بن الزبير : قدم وفد من تميم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : أمّر القعقاع بن عمرو ، ـ رضي الله عنه ـ فقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر : ما أردت خلافك فتماريا حتى علت أصواتهما، فأنزل الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا** ﴾ . ثم جاء برواية ثانية عن جابر بن عبدالله أن الآية في قوم ذبحوا الضحايا قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن يعيدوا. ثم جاء برواية ثالثة تشبه رواية جابر، أخرجها الطبري (٢) عن الحسن : ذبح ناس قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ، فأنزل الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا** ﴾. وعن الحسن كثرت الوفود إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكثروا السؤال ـ يعني يقولون : أيجوز كذا ، أيجوز كذا ، لو نزل الوحي في كذا لكان كذا، فنزلت الآية لا تبتدءوا بالسؤال (٣) .ثم يعلق قائلا : وظاهر كلام الحسن هذا مع ما تقدم عنه أن الآية نزلت في جميع ما يروى . أو يأتي بعد وقوعه ، ومجموعه سبب النزول لا خصوص ما يذكر رواة الحديث. كما روي أنه بعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ سرية سبعين رجلا إلى تهامة، وأمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، فقتلهم بنو عامر ، وعليهم عامر بن طفيل إلا ثلاثة نجوا، فلقوا رجلين من بني سالم فقتلوهما وسلبوهما . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ـ بئسما صنعتم، الرجلان من سليم ، كانا من أهل العهد ، وما سلبتم عنهم من ثياب هو ما كسوتهما، فأعطى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورثتهما ديتهما ، فنزلت الآية. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : كان قوم يصومون قبله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت أي : يصومون يوم الشك آخر (شعبان). دخل مسروق على عائشة يوم الشك آخر شعبان فأمرت جارية أن تسقيه عسلا . فقال: إني صائم. فقالت : نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم هذا اليوم ، وفيه نزل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ الآية ، أي فيه وفي غيره ، أو أرادت لا يخرج عن الآية، أو هذا مثل قول ابن مسعود للتي قالت : قرأت القرآن وما وجدت فيه ما قلت من لعن الواشمة ، فقال: إن

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الحجرات رقم الحديث (٤٨٤٧) فتح الباري ٨/٤٥٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/٧٤، الدر المنثور ٧/٥٤٧.

(٣) تفسير الآلوسي ٢٦/١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرأته فقد وجدت ، الا ترين قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ (١) الحشر (٧) لقد ساق الشيخ هذه الروايات على كثرتها دون ترجيح ، إلا أنه يفهم من كلامه أن هذه الروايات ليست أسباب نزول مباشرة للأية ، وإنما هي حوادث حدثت ، وقصص وقعت ، سابقة أو لاحقة، وفي هذه الآيات ما يناسبها، فجاءت عبارات بعض الناقلين لها توهم أن هذه الحوادث والأسباب هي المقصودة من تلك الآيات. مع أن الصحيح أنها مما يدخل في عموم الآية أو مشابهة لسبب النزول. وكما لا يخفى أن معظم الروايات التي ساقها الشيخ لا تصلح أن تكون سببا لنزول هذه الآيات إلا الرواية التي أخرجها البخاري ، لأنها أصح الروايات، ومن المعلوم أنه عند تعدد الروايات يقدم ما في الصحيحن على غيره. وأكتفي بهذا المثال مع أن الشيخ فعل ذلك في أكثر من موضع ،(٢)

ب ـ يورد سببا واحدا لأكثر من آية :

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكُمْ** ﴾ البقرة (٢٢١) يروي حديثا عن ابن عمر (٣) أن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ بعث مرثداً الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سراً ، وكان يهوى امرأة في الجاهلية ، فأتته فقالت له : ألا تخلو ، فقال : ويحك إن الإسلام حال بيني وبينك، وحرم الزنا ، فقالت له : هل لك أن تتزوج بي ، فقال : نعم ، ولكن أرجع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأستأمره ، فسأل رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ فنزل ﴿ **ولا تَنكحوا المشركاتِ** ﴾ كذا قيل . والصحيح عندهم أن قصة هذه نزل فيها : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية** ﴾ النور (٣) ، كما أخرجه أبو داوود ، والترمذي ، والنسائي من حديث ابن عمر، ولا مانع من نزول آيتين في القصة (٤) .

---

(١) تيسير التفسير ١٢/٣٥٠ـ ٣٥٢ . وقد ساق الآلوسي معظم هذه الروايات التي أتى بها الشيخ وعلق على معظمها بالبعد ٢٦/١٣٣ـ١٣٤.

(٢) تيسير التفسير جـ ١٥/٢٠٠.ومن أوضحها كذلك ماجاء في سورة الضحى

(٣) أنظر أسباب النزول للنيسابوري ص ٤٥. الدر المنثور ١/٦١٤، وأورد السيوطي هذه الرواية وتعقبها : بأن هذا ليس سببا لنزول هذه الآية. وإنما هو سبب في نزول آية النور. لباب النقول في أسباب النزول ، هامش الجلالين ١١١، روح المعاني الآلوسي ٢/١١٨.

(٤) تيسير التفسير ١/٣٣٨ الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير في باب سورة النور رقم الحديث (٣١٧٧) ٥/٣٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا القبيل ما فعله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **ويَسألونك عن الروح** ﴾ الإسراء (٨٥) . وقوله تعالى : ﴿ **ولا تقولَن لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غدا** ..﴾ الكهف (٢٣) . وقوله تعالى :

﴿ **والضحى والليل إذا سجى** ﴾ الضحى (١) . حيث يقرر أن سبب نزول هذه الآيات يدور على سؤال المشركين للرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، وذي القرنين ، وأصحاب الكهف فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس الوحي .(١)

جـ- يحقق القول في أسباب النزول : -

أحيانا يورد الشيخ الروايات في أسباب النزول ويناقشها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ الحجر (٨٧) . جاء برواية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه وافى بأذرعات سبع قوافل لقريظة ، والنضير فيها أنواع من البر، والطيب ، والجواهر ، وسائر الأمتعة، فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ، ولأنفقناها في سبيل الله . فقال لهم : (لقد أوتيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع)، ولعله وافاها في بعض أسفاره . ثم يقول : ولا يكون هذا سببا لنزول قوله تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا** ...﴾ الحجر (٨٨) ؛ لأن هذه السورة مكية ومصادفته القوافل بعد الهجرة في آخر عمره ، في ذهابه للشام للقتال . (٢) .

---

(١) أنظر أسباب النزول للنيسابوري ١٩٧، الدر المنثور ٣٧٧/٥. والترمذي في كتاب التفسير باب سورة الإسراء ٢٨٤/٥، وساق الآلوسي عدة روايات في سبب نزول سورة الضحى وقال : والروايات في ذلك مختلفة ، وجوز بعضهم أن يكون الإبطاء لتجمع الأسباب . روح المعاني ١٥٨/٣٠الآلوسي . ولعل هذه الرواية لا تصح لأنها من مرويات ابن إسحاق عن شيخ مجهول . قال السيوطي : أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحق عن شيخ من أهل مصر - ولم يسمه - عن عكرمة عن ابن إسحق وساق الحديث، لباب النقول في أسباب النزول على هامش الجلالين ٤٩٢.

(٢) تيسير التفسير ٤٤٦/٦ ، انظر أسباب النزول للنيسابوري ص ١٨٧، تفسير الآلوسي حيث أورد الآلوسي عند ذكره لأسباب نزول هذه الآية عدة روايات ، ثم قال: - وحكى بعضهم في سبب نزول الآية أنه وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل لقريظة والنضير في يوم واحد ، فيها أنواع من البر والطيب ... وذكر هذه الرواية. ثم قال :وروى هذا الحسين بن الفضل . وتُعقب بأنه ضعيف لا يصح لأن السورة مكية. وقريظة والنضير كانوا بالمدينة . فكيف يصح أن يقال ذلك وهو كما ترى . ٨٠/١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا** ﴾ الإنسان (٨). فبعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية، قال: أنفق أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد ، وأبو عبيدة ، على أسارى بدر، فقالت الأنصار : قاتلناهم في الله ورسوله وتعينونهم في النفقة، فأنزل الله ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ...سلسبيلا** ﴾ الإنسان (٥-١٨)، تسع عشرة آية ثم يتابع قائلا : ـ وهو حديث لا يوثق بصحته، وما رواه إلا ابن عساكر مع أن السورة مكية عند الجمهور. والقصة تقتضي مدنيتها. (١)

المبحث الثالث: المناسبة بين الآيات والسور : ـ

القرآن الكريم كلام منتظم من أوله إلى آخره، لذلك درج بعض المفسرين على أن يذكروا أوجه الارتباط بين سور القرآن أو آيات السورة الواحدة. قال الإمام الزركشي في التعريف بهذا العلم (وعلم المناسبة علم شريف . تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، ويجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء). (٢) .

والشيخ ـ رحمه الله ـ لم تفته الإشارة إلى بعض المناسبات بين السور أو الآيات إلا أنه لم يعرض له بصورة مستمرة ، ومعظم المناسبات التي ذكرها سطحية لم تتسم بالعمق ، وأحيانا ينقلها عن الزمخشري ، والرازي مع التصرف في عباراتهم. فمن باب ارتباط السور بعضها ببعض ما أشار إليه من مناسبة بين سورة هود وسورة يوسف ، حيث قال: وسماها الله أحسن قصة لما فيها من العبر والأحكام ، ومصالح الملوك العامة، وبيان مكر النساء ، والصبر والعفو مع المقدرة، ويقال : أن أهل الجنة يتفكهون بسورة مريم وسورة يوسف. وأنه لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها . فيناسب أن يقال هذه لعلها نزلت بعد سورة هود التي شيبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليزول بها بعض همه، وفيها أيضا تسلية بما لاقى يوسف ممن هم

---

(١) تيسير التفسير ٣٣٨/١٤. أنظر الدر المنثور ٣٧٠/١٩، وتفسير الآلوسي حيث ساق هذه الرواية ثم علق عليها بقوله : والخبر لم أره لفرد غير ابن عساكر، ولا وثوق لي بصحته، وهو يقتضي مدنية هذه الآيات، وهي مكية عند الجمهور . ١٥٥/٢٩. وما بين ﴿ إن الأبرار...سلسبيلا ﴾ ثلاث عشرة آية وليس تسع عشرة آية، وهذا هو نص الرواية كما أوردها السيوطي في الدر المنثور، والآلوسي ، ولعل المقصود السورة من بدايتها.

(٢) البرهان للزركشي ٣٦/١. الاتقان ١٠٩/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرب إليه وهم اخوته .(١) ومن لطائف مناسبة سورة الطور لسورة النجم ما قاله في بداية الثانية : اتصلت بالتي قبلها لاختتامها بالنجوم ، كابتداء هذه بعد البسملة المشتركة ، وواو القسم بالنجوم ، ولأن في الأولى ذكر الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان . وفي هذه ﴿ **وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة** ﴾ (٣٢) . وهو متضمن لذكر ذرية اليهود، وأيضا قال في الكفار أو العموم ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ (٣٩) (٢).

ومن باب ذكر مناسبة الآيات القرآنية لبعضها البعض ما نوّه إليه عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ **وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾ الإسراء (٨) .حيث ذكر وجه ارتباط هذه الآية بالتي بعدها حيث قال: لما ذكر الله ـ عزوجل ـ الإسراء وبعض أخبار التوراة وموسى ـ عليه السلام ـ أثنى على القرآن المشتمل على ذلك ، وغيره من الحكم والمصالح ، والشرعيات . فقال : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي ...**﴾ (٣) الإسراء (٩).

ومنها ما ذكره عند تفسيره لسورة ق في قوله تعالى : ﴿ **ذلك رجع بعيد** ﴾ (٣) . وارتباط هذه الآية بالتي بعدها وهي قوله ـ عزوجل ـ : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ (٤) . حيث قال: ..ووجه إنكارهم البعث تفتت الجسم وفناؤه، فرد الله تعالى عليهم بأنه عالم بما تفتت وما فني منهم في الأرض . فقال: ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾. (١) ومن هذا القبيل ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن اللَه وملائكتَه يصلون على النبي** ﴾ الأحزاب (٥٦) .يبين وجه الاتصال بين هذه الآية والتي قبلها وهو قوله تعالى : ﴿ **لا جناح عليهن في آبائهن ...واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا** ﴾ الأحزاب (٥٥) . ووجه اتصال الآية بما قبلها زيادة التشريف ، كيف تؤذونه أو تكلمون نساءه بلا حجاب ، أو تتزوجونهن مع أنه تعالى يصلي عليه ، وملائكته يصلون عليه ، وهو أهل لفضل الله ، ولو كان نبيا فقط ، فكيف وهو نبي رسول ، فلذلك ذكره بالنبوة ، وفي ذكره بالنبي على وجه المعاهدة أو الغلبة حتى انه المراد وشرفه أيضا بأن الملائكة يصلون عليه مع كثرتهم ؛ فالإضافة للاستغراق بإضافتهم إليه تعالى .(٥)

---

(١) تيسير التفسير ٦/٧١.

(٢) = = ١٢/٥٢٣.

(٣) = = ٧/١٥٠.

(٤) تيسر التفسير ١٢/٤٠٩.

(٥) تيسير التفسير ١٠/٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع : الناسخ والمنسوخ

مبحث النسخ في القرآن من المباحث الأصولية، ومع ذلك فله علاقة كبيرة مع علوم القرآن بل لا يستغني عنه دارس لاصول الشريعة وفروعها ، وهو من أخطر الموضوعات وأكثرها حاجة إلى التحليل والتحقيق ، وقد اشتغل العلماء على اختلاف مذاهبهم بهذا الموضوع قديما وحديثا، فتوسع به قوم وضيقه آخرون، والمفسرون على تباين مناهجهم واتجاهاتهم قد اهتموا بهذا الموضوع ، وقد نال مبحث النسخ من الشيخ أطفيش اهتماما جما، وجعل له نصيبا وافرا في تفسيره . ومن الجدير بالذكر أن الشيخ لم يكن من المغالين في ذكر الآيات المنسوخة بل وقف مع المغالين ، ورد كثيرا مما توهم أن فيه نسخاً ولا نسخ فيه. وقد عرض الشيخ لمعاني النسخ في اللغة والاصطلاح ، وفرق بينه وبين البَداء وهو الظهور بعد الخفاء ، وأوضح أن المخالفة في النسخ بدعوى الزام البداء هي مخالفة باطلة ، والبَداء غير جائز . وقد عرف الشيخ النسخ بأنه: (إزالة حكم قضى في الأزل أنه يزال لا ظهور لما خفي).والتعريف هذا الذي ارتضاه الشيخ للنسخ يماثل في مضمونه المعنى الشرعي للنسخ ، عند الفقهاء والأصوليين الذي هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر(١). وقد حاول الشيخ أن يحافظ في تعريفه على المعنى اللغوي للنسخ الذي هو الرفع والإزالة. واستهدف في تعريفه بيان أن النسخ معلوم لله ـ سبحانه ـ ينقل عباده من حكم إلى آخر بمقتضى علمه الأزلي المطلق ، والله سبحانه علم وقت الأمر به أن سينسخه وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ البقرة (١٠٦) . وقف وقفة طويلة ، فذكر سبب نزول الآية ثم فسرها بقوله : نرفع حكمها ولفظها ، أونرفع حكمها ونبقى لفظها ، أو نرفع لفظها ونبقي حكمها، ومعنى (ننسها) نرفعها من قلبك ونمحها منه، ومن قلوب أصحابك ، فلا يدركون لفظها ومعناها ولا العمل بها. وهذا قسم آخر لأنه قد يكون في الأخبار وقد يكون في غيرها ، ثم يتابع قائلا : وهو شامل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ﴿ **سنقرئك فلا تنسَى إلا ما شاء الله** ﴾ **الأعلى** (٦-٧) . وأما الامتناع في قوله تعالى :﴿ **ولو شِئنا لنَذهبَن بالذي أوحينا إليك** ﴾ سورة الإسراء (٨٦) . فباعتبار ما يجوز نسخه أو باعتبار الكل . ثم يفرق الشيخ بين النسخ والإنْسَاء ويرى أن بينهما عموماً وخصوصاً يجتمعان في الرفع عن القلوب ، ويختص النسخ بمنسوخ الحكم مع بقاء التلاوة وبالعكس ، ويختص الإنساء بالأخبار التي أذهبت عن القلوب . ثم يتناول الشيخ عند تفسيره لهذه الأية تقسيم النسخ ، وبيان أنواعه ، مع ذكر الأمثلة

---

(١) تيسير التفسير ٢١١/١. الناسخ والمنسوخ للبغدادي تحقيق حلمي كامل ص ٤٠، الناسخ والمنسوخ ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيقول : ومما نسخ لفظه وحكمه ، عشر رضعات (١) معلومات يحرمن ، وكثير من سورة الأحزاب ، وكانت كالبقرة إلا أنه يحتمل بقاء بعض حكمها في سورة أخرى . ومنها ما نسخ لفظه فقط مثل أية الرجم : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) (٢). قال عمر : قرأناها، ورجم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورجمنا معه إذا كانت البينة أو الحمل أو الاعتراف ، وكانت في سورة الأحزاب وقيل في سورة النور . ومنها ما نسخ حكمه فقط : مثل من آية عدة الوفاة بالسنة ، نسخت بأية العدة بأربعة أشهر وعشراً ، وآية وجوب ثبوت واحد لعشرة بآية ثبوت واحد لاثنين.(٣) ثم يذكر أن من النسخ ما يكون بالإبدال إلى الأخف كالأربعة أشهر، والمصابرة بأقل من ثلاثة. وقد يكون إلى أثقل كوجوب الصيام بعد التخيير بينه وبين الإطعام . (٤) أو نسخ الإباحة إلى التحريم كتحريم الخمر بعد إباحتها .

أو إلى مساوٍ كنسخ الصلاة إلى القدس بالصلاة إلى الكعبة . (٥) . ثم يشير إلى قضية نسخ الشرائع فيرد على شبهة اليهود الرادين للنسخ، ويبين أن الله ـ سبحانه ـ قد مسخهم قردة وخنازير ، بعد أن كانوا في صورة بشر ، وليس ذلك بداوة ، بل قضى الله في الأزل أن بقاءهم في صورة البشر إلى وقت مخصوص . فكذلك قضى الله فيه أن الآية تبقى إلى كذا .

---

(١) لحديث عائشة في صحيح مسلم شرح النووي كتاب الرضاع ٢٩/١٠. قال الامام النووي في المراد بقول عائشة في الحديث (وهنّ مما يقرأ) أن النسخ بخمس رضعات تأخر أنزاله جداً حتى توفي رسول الله وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ رجعوا عن ذلك واجمعوا على أن هذا لا يتلى) وقال مكي في الايضاح :(فهذا على قول عائشة غريب فالناسخ غير متلو والمنسوخ غير متلو وحكم الناسخ قائم) ص٥٠.

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٤٣/١٢ ، صحيح مسلم شرح النووي ١٩/١٦ الناسخ والمنسوخ ـ البغدادي ٥٤.

(٣) يشير إلى قوله تعالى :﴿ ألان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ... ﴾ الأنفال (٦٦).

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فدية ﴾ البقرة نسخت بقوله ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ الآيتان (١٨٤، ١٨٥) روى البخاري عن ابن عباس أنها غير منسوخه وعلق ابن حجر في نفس الموضع (هذا مذهب ابن عباس وخالفه الأكثر) فتح الباري ٢٨/٨.

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ...﴾ البقرة (١٤٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) وهناك آيات أوردها الشيخ وجزم بنسخها، فمن ذلك الاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة ، نسخ بقوله تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينّك قبلةً ترضاها** ﴾ البقرة (١٤٤) (٢) ومنها نسخ تحريم القتال في الأشهر الحرم في قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرامِ قتالٍ فيه ، قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله** ﴾ سورة البقرة (٢١٧) . ومنها كذلك تقديم الصدقة قبل مناجاته ـ صلى الله عليه وسلم . كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ . المجادلة (١٢) . نسخت بالآية التي تليها وهي قوله تعالى : ﴿ أأشفقتم أن تقدموا ...﴾ (١٣) (٣) وهناك قسم وقف معه الشيخ ورد القول بالنسخ ، وأبدى في ذلك رأيه فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالي : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن ...﴾ النساء (١٥) . ذكر حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزل الجلد والرجم قال صلى الله عليه وسلم ـ : ـ هما السبيل . خذوا عني ـ خذوا عني ـ ..)(٤) . وليس ذلك نسخا بل غاية ، لأنه ذكر السبيل ، وآية الجلد والرجم بيان لا نسخ ..، ومن الآيات التي رد النسخ فيها قوله تعالى :﴿ **لا إكراه في الدين** ...﴾البقرة (٢٥٦) فبعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية . قال: ولا نسخ في الآية كما زعم من زعم .(٥) وأحيانا يذكر الشيخ الخلاف في الآية ويرجح ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **حتى إذا أثخَنتُموهم فشُدّوا الَوثاق فإمّا منّا بعدُ وإمّا فداءً** ﴾ محمد(٤).فيرى الشيخ أن الحكم الذي نصت عليه الآية قد نسخ بقوله تعالى في سورة التوبة ، وهي آخر ما نزل في هذا الشأن ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ التوبة(٥). وقوله تعالى:﴿ **فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم** ﴾ الأنفال(٥٧). ثم عرض لأقوال العلماء في هذه الآية ، ونقل قول مجاهد: ليس اليوم من ولا فداء ، لكن القتل أو الإسلام ، وأورد قول ابن عمر ، والحسن أنه لا نسخ في ذلك فإما فداء ، وإما من . ثم ذكر حكم الاختلاف في قتل الأسير، وذكر رأي مذهبه بالجواز ، ثم خلص إلى القول في النسخ فقال: ـ والقول بالنسخ ، قول ابن عباس ، والضحاك ،

---

(١) تيسير التفسير ١٢٤/٨.

(٢) تيسير التفسير ٢١١/١ ، انظر البخاري في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة رقم الحديث ٣٩٩ ٥٩٨/١. : مارواه الترمذي في كتاب التفسير .باب سورة البقرة حديث رقم (٢٩٥٨) ٢٠٥/٥.

(٣) تيسير التفسير ٢٠٢/١٣ ، انظر : نواسخ القرآن . ابن الجوزي ٢٣٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحدود باب حد الزنا ١٨٨/١١.

(٥) تيسير التفسير ١١٢/١، انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقتادة ، ومجاهد ، ويكاد يجمع عليه . (١) وكثيرا ما يناقش الشيخ القائلين بالنسخ في آيات القتال فيرد ذلك ، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة ...﴾ محمد (٢٠) . يقول :(لا أشكال في معناها أو لا تنسخ ولا قتال في القرآن منسوخ . وأحيانا ينقل القول بالنسخ ولا يعقب على ذلك ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ..﴾ النور (٢) . يقول : وفي هذه السورة أو سورة الأحزاب قولان: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته ..) (٢)، نسخ لفظه لا حكمه . وقد القى الشيخ هذا القول هنا وتركه دون تمحيص أو تحقيق، أو الإشارة إليه من قريب أو بعيد ، مع أن هذه مسألة كثر الأخذ والرد حولها. **(من خلال ما تقدم في هذا البحث تبين لنا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ قد ذهب في موضوع النسخ إلى ما ذهب إليه أئمة الإسلام سلفا وخلفا ، وحاول الرد والتنبيه على الذين خالفوا وجه الحق ، والصواب في هذا الموضوع .)**

المبحث الخامس: التكرار وموقفه منه : ـ

لفتت ظاهرة تكرار بعض الآيات في القرآن الكريم نظر الشيخ أطفيش فوقف معها ، ودرس هذه الظاهرة حيثما وجدت ، وقرر أن ما يكرر في القران إنما هو حق وحكمة. (٣) وأن في المكررتمكيناً، وأن التكرار في القرآن جاء على أسلوب العرب وما ينكره إلا جاهل معاند، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ (٤) الرحمن (١٣) . يقف معلقا

---

(١) تيسير التفسير ١٢/ . ذكر العلماء في هذه الآية خمسة أقوال ولخصها القرطبي في تفسيره ٢٢٦/١٤. وذكر ابن الجوزي في الناسخ والمنسوخ في الآية قولان : الأول أنها محكمة ونسبه إلى ابن عمر والحسن ومجاهد والشافعي وأحمد . والثاني أنها منسوخة ونسبه إلى ابن عباس، وقتادة ، والسدى وأبي حنيفة ، ولم يختر منها أو يعقب عليها. نواسخ القرآن لابن الجوزي (٤٤) . أما الإمام الطبري فقد حكى دعوى النسخ ودعوى الأحكام . ثم قال: والصواب في القول عندنا في ذلك أن الآية محكمة وغير منسوخة ، ثم ذكر كلاما طيبا استدل به على أن الإمام بالخيار . الطبري ٢٧/٢٦. وقد أنكر دعوى النسخ في الآية أبو جعفر النحا س في الناسخ والمنسوخ ٢٢٠. ويبدو- والله أعلم أن الآية محكمة وأن الإمام مخير في ذلك يفعل ما فيه مصلحة الإسلام وأهله والنبي قد فعل ذلك كله .

(٢) والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن ما قيل حول مثل هذا النوع من روايات لا يثبت بها قرآناً باتفاق ، فإثبات آية من القرآن لا بد أن يكون دليلها متواتراً لا آحاداً . ثم لا بد من إثبات أنها آية من القرآن ثم إثبات نسخها. زد على ذلك أن الفاظ مثل هذا النوع لا تظهر عليه السمة البلاغية القرآنية ، وهذه العقوبة التي نصت عليها ليست مقرره على الشيخ والشيخة ، وإنما هي مقررة على الاحصان . ومن عادة القرآن الكريم أنه لا يستخدم كلمة الشيخة للدلالة على المرأة الكبيرة السن ، وأخيرا إن كلمة (البتة) لم ترد في القرآن الكريم مطلقا، والرجم ثابت بالأحاديث، انظر : فتح الباري رقم الآحاديث (٦٨١٢)،(٦٨١٤)،(٦٨٣٠)،(٦٨٢٩).شرح النووي كتاب الحدود باب الزنا ١١/١٩٠- ١٩٢. (٣) أنظر : البرهان في علوم القرآن ٣/١١-٣٣.

(٤) كررت الآية إحدي وثلاثين مرة ، أنظر : أسرار التكرار للكرماني ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرسلات، ومن ذلك قول المهلهل يرثي كليبا ، فيأتي بالأبيات التي ذكرها في سورة الرحمن الرحمن ثم ينقل لنا أربعة قصائد بلغت مجموعها ثلاثة وخمسين بيتاً ليدلك من خلالها على أن التكرار شائع في كلام العرب (١) . وقد يحدث التكرير في ايات متواليات ، فيقف معها الشيخ ويميز معنى كل واحدة ، كما في قوله ـ سبحانه وتعالى :ـ ﴿ **فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ البقرة (١٤٤) . وقوله تعالى: ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ البقرة (١٤٩) . وقوله تعالى : ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾ البقرة (١٥٠). يقول الشيخ : ذكر ذلك ثلاث مرات كل لعلة غير علة الأخرى ، ذكره المرة الأولى ليريه أنه قد أجاب له فيما يشتاق إليه ، ورحم تضرعه، وأنه أهل لأن يجاب لعظم شأنه عند الله ـ عزوجل ـ كما قال تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك** ﴾ . وذكره المرة الثانية: ليبين أنه جعل لكل أمة قبلة تمتاز بها، إذ قال (ولكلٍ وِجْهةٌ) أي لكل أمة، وذكره في المرة الثالثة : ليدفع حجة اليهود، إذ يحتجون بأنه لو كان النبي الموعود به لتحول إلى الكعبة كما في التوراة ، وأنه لو كان يتبع قبلتنا مع أنه ينكر ديننا، ولدفع حجة مشركي العرب ؛ إذ يحتجون بأنه لو كان نبيا لم يخالف قبلة إبراهيم . مع أنه يدعيها، كما قال بعد قوله : (لئلا يكون للناس عليكم حجة). البقرة (١٥٠) (٢) وهكذا يتعرض الشيخ ـ رحمه الله ـ لهذه القضية ، فيقف معها ليتحسس مواطن الجمال والجلال في الأسلوب القرآني ، ويدفع شبهة التكرار لأجل التكرار نفسه إلى الحديث عن حكمه وأسراره، فيأتي بأقوال رشيدة سديدة .

المبحث السادس: منهجه في عرض القراءات القرآنية :ـ

عرف ابن الجزري (٣) القراءات في كتابه منجد المقرئين (٤) بقوله : ـ القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة. ووضع ضابطا للقراءة الصحيحة في أول كتابه: (النشر في القراءات العشر) . فقال: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن سواء كانت عن الأئمة السبعة ،

---

(١)تيسير التفسير ١٤/٤٧٦/٤٨١

(٢) تيسير التفسير ١/٢١٠، قارن بما جاء في أسرار التكرار للكرماني (٣٦).

(٣) هو محمد بن علي بن يوسف الجزري يكنى أبا الخير : ت٨٣٣ ألف في التفسير والفقه واللغة وانتهت اليه رياسة علم القراءات في عصره أنظر ، ٢/٢٤٧شذرات الذهب ٧/٢٠٤ ترجمته في منجد المقرئين

(٤) منجد المقرئين ـ ابن الجزري ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أم عن العشرة (١) ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه

الأركان الثلاثة اطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة ، أو عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف. (٢) و نقل السيوطي في الاتقان هذا الضابط وقبله (٣) . ولقد نالت القراءات اهتمام الشيخ وعني بها عناية فائقة، وهذه أهم الخطوط العريضة لمنهجه في هذا الموضوع ، لقد جاء تفسير الشيخ زاخرا بمباحث هذا العلم ، وأورد فيه قراءات منسوبة إلى أئمة القراء ، وقراءات منسوبة لبعض الصحابة، والتابعين ، وأهل البيت ، ولم يقتصر في ذلك على القراءات الصحيحة بل أورد الشاذ منها دون أن يصفها بالشذوذ، أو يحكم عليها إلا قليلا.

ومما يجدر التنبيه إليه أن الشيخ اعتمد في تفسيره على قراءة نافع، وبني عليها تفسيره . كما ذكر في مقدمة كتابه أنه سيقتصر على حرف نافع. (٤) وأثناء التفسير كثيرا ما يقول: (وفي قراءتنا) . والشيخ محمد أطفيش يرى أن القراءات سنة متبعة ، ونص على ذلك في أكثر من موضع، فكثيراً ما يقول: والقراءات مرويات عن الصحابة لا اختيار من القّراء ، ولا يُقرأ لفظ إلا على ماورد. (٥) ونرى الشيخ يكثرمن ذكر القراءات المنسوبة إلى الصحابة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها المزمل** ﴾ المزمل (١). قال : أصله المتزمل كما قرأبه أبي . (٦) القراءات عن أهل البيت ؛ فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ المطففين (٦). ويروي بعض . حيث قال عن كلمة (يوم)، وكونه مرفوعا خبر لمحذوف أي ذلك اليوم ، والعظيم هو يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويدل له قراءة زيد بن

---

(١) انظر : حديث نزل القرآن على سبعة أحرف . صحيح البخاري ١٨٥/٦تفسير الطبري ١٠/١، مسند أحمد ٢٢٤/١ رقم الحديث (١٥٨) .

(٢) النشر في القراءات العشر ابن الجزري دار الفكر ، ٩/١ ، منجد المقرئين ص ١٥.

(٣) الإتقان ٧٥/١.

(٤) تيسير التفسير ٧/١. ولكن مراجع هذا التفسير كان يتدخل في تغيير، وتصحيف بعض الكلمات التي كتبت على قراءة نافع التي اعتمدها الشيخ . ظانًا أن الشيخ قد كتبها خطأ ، فمن ذلك ما فعله عند تفسير الشيخ لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ﴾ الزخرف (١٩) . حيث قال: المؤلف قال عند الرحمن ، والصواب عباد الرحمن ، وعلى رأيه شرح كلمة عند ، والصحيح أن قراءة عند وعباد كلاهما قراءتان صحيحتان ، وقراءة عند قراءة نافع. انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها ، حججها مكي بن أبي طالب ٢٥٦/٢.

(٥) تيسير التفسير ، ١٥٩/١١. انظر البرهان ٣٢٩/١.

(٦) تيسير التفسير ٢٢٤/١٢ ، البحر المحيط ٣٦٠/٨ ، القرطبي ٣١/١٩ وهي قراءة شاذة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي (١) برفعه. وأحيانا يسند القراءات إلى أصحابها . فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ الحديد (٢٣) . حيث قال : فأسند الاتيان إلى الله ـ عزوجل ـ ولم يقل بما آتاكم بهمز بلا مد كما قرأ أبو عمرو بن العلاء.(٢) .ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فلا أقسم** ﴾ . الواقعة (٥٧). حيث قال: أو ألف لا زائدة إشباعا كقراءة هشام : (٣) (فاجعل أفئدة) باشباع الهمزة. ويدل له قراءة قالون (لأقسم) باسقاط الألف . وأحيانا يعرض لذكر القراءة (٤) دون القراء ؛ فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لكم تفسحوا في المجالس** ﴾. المجادلة (١١) .حيث قال: وقيل مجالس القوم فهي للجنس كل أحد له مجالس .. كما قرىء : (في المجالس) بالجمع . وأحيانا ينقل القراءة ، ويقول كما قرأ البعض. فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **لا يمسه إلاالمطهرون** ﴾ الواقعة (٧٩) . يقول : وأصله المتطهرون بالتاء دون قلب وإدغام كما قرأ البعض . (٥)

ويعرض لبعض القراءات مع تسمية المصاحف ؛ فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ الأحزاب (٦) يقول : وفي مصحف أبي وهو أب لهم ، وعن عكرمة في النسخة الأولى : وهو أبوهم . (٦)

وكثيرا ما يحمل الشيخ بعض القراءات على القراءات التفسيرية ؛ إذ هي تعزز الوجوه التفسيرية وتقويها ، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **أو يكبتهم فينقلبوا خاسرين** ﴾ آل عمران (١٢٨) . حيث يقول : وقرئ يكبدهم وهي قراءة مقوية. لدعوى الإبدال ، ولعل القراءة إن صحت قراءة تفسير لا تلاوة . (٧)

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٤٠/٨. زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان إماما في القراءة والحديث والفقه، توفي ١٢٢هـ شهيدا بالعراق تهذيب التهذيب ٣٦٢/٣.

(٢) تيسير التفسير ١/١٣ ، البحر المحيط ٢٢٥/٨.الكشف عن وجوه القراءات ـ مكي ٣١١/٢

(٣) هشام بن عمار أبو الوليد السلمي الدمشقي . مقرىء أهل دمشق.ومفتيهم ، وثقه ابن معين ، ت ٢٤٤هـ . طبقات القراء . ابن الجزري ٣٥٤/٢.انظر تفسير الطبري ١١٧/٢٧.

(٤) تيسير التفسير ، ٩٩/١٣، قرأ عاصم (في المجالس) بالجمع ، وقرأ الباقون بالتوحيد لأن التفسير أتى أنه يراد به مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوحد على المعنى . انظر الكشف عن وجوه القراءات ، مكي بن أبي طالب، ٣١٥/٢. تفسير ابن كثير، ٣٢٤/٤.

(٥) تيسير التفسير ٩٩/١٣ . انظر : الزمخشري ٣٤٦٩/٤ . البحر المحيط ٢١٥/٨.

(٦) تيسير التفسير ١٠/ ٢٠٧. انظر : الزمخشري ٢٥١/٣ . تفسير أبي حيان ٢١٢/٧ وهي شاذة.

(٧) تيسير التفسير ١٦٥/٢. انظر تفسير أبي حيان ٥٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجالات متنوعة .(١) والغريب أنه يوردها دون التنبيه على أنها من الشواذ ، ومن هذه المجالات التي أفاد منها الشيخ مجال توجيه الإحتجاجات النحوية ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ . الليل (٣) أورد مسألة الجر على الجوار ، ثم قال: كما قرئ الحمدِ لله بكسر الدال تبعا للام بعدها، وبضم اللام تبعا للدال : الحمدُ لُله. (٢) كذلك نجد الشيخ يستشهد بها لإبراز معاني جديدة للمفردة القرآنية أو تحديدها . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ الرحمن (٦٠) حيث قال وقرأ ابن أبي اسحق (هل جزاء الإحسان إلا الحسان)(٣) ومنه ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب** ﴾ الإسراء (٤) . قال : التوراة أو الجنس ، كما قرأ ابن أبي العالية ، وابن جبير ، في الكُتُب بضم الكاف والتاء . (٤) وأحيانا يستعرض أثناء توجيهه لبعض القراءات الشاذة، لهجات بعض القبائل ، ولغاتها، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**إني أراني أعصر خمرا** ﴾ . يوسف (٣٦) . قال : فسره أبي ، وابن مسعود بالعنب، وقيل العنب من أول الأمر خمر بلغة أزد عُمان ، وغسان ، وقرأ عبدالله وأبي أعصر عنبا (٥).

---

(١) لم يتردد بعض العلماء في إطلاق القول بأن توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة كما قال الزركشي في البرهان ٣٤١/١. وقد نقل الزركشي ما أفتي به النووي في شرح المهذب (والمهذب كتاب فقه على المذهب الشافعي للفقيه ابراهيم بن محمد الشيرازي، ت ٤٧٦هـ أنه لا تجوز القراءات في الصلاة ولا غيرها من القراءة الشاذة، لأنها ليست قرآنا ، لأن القران لا يثبت إلا بالتواتر والقراءة الشاذة ليست بالقراءة المتواترة ، ومن قال غيره فهو مغالط أو جاهل. المصدر السابق ٣٣٣.

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن لإبن خالويه حيث أورد هاتين القراءتين عن ابراهيم بن عبلة ص ١، تفسير الزمخشري ٨/١ تفسير أبي حيان ٣٨/١.

(٣) مختصر شواذ القرآن لابن خالوية ص ١٥٠ البحر المحيط ١٩٨/٨.

(٤) مختصر شواذ القرآن لإبن خالويه ص ٧٤ البحر المحيط ٨/٦.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٢٧/١٢ وتفسير أبي حيان ٣٠٨/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمع بين القراءات : ـ

كان الشيخ أحيانا يقف مع بعض القراءات ، فيقوم بمعالجتها، والجمع بينها، ومحاولة توجيهها.ومن الشواهد على ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله ـ عزوجل ـ : ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثُلُثيَ الليلِ ونصفَه وثُلُثه ..** ﴾ سورة المزمل (٢٠) . حيث يقوم بتوجيه الآية على قراءة الإمام نافع ؛ وهي بالخفض (نِصفِه وثُلثِه) ، فيقول : عطف على ثلثي فيكون يقوم ما يقارب من الثلث تارة ، وهو مادون النصف ما لم يصل ثلثا كالربع، والحاصل أنه يقوم أقل من الثلثين ، وأقل من النصف ، وأقل من الثلث ، وهذا فيما علم الله تعالى ؛ أنه يقع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والطائفة ، وقوله تعالى ﴿ **قم الليل** ﴾ . فيما أمره الله به . وبذلك يجاب عن التخالف بين قراءتنا بالجر، وقراءة نصب نصفه وثلثه عطفا على أدني . فإن حاصلها أنك تقوم أقل من الثلثين ، وتقوم نصف الليل تارة، وتقوم ثلث الليل أخرى . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإذا برق البصر** ﴾ القيامة (٧) . قال: والمعنى تحير فزعا من هول يوم القيامة، من (برق) الرجل إذا نظر البرق فدهش بصره، وغير ذلك من الأفعال المشتقة من أسماء الأجناس ، أي كاد يصير كمن دهش بصره بالنظر إلى البرق . وذلك لغة في برِق بالكسر، والفتح قراءة نافع، ومحبوب ابن الرحيل من أصحابنا العمانيين يروي عنه قومنا (٢) .

المبحث السابع : المحكم والمتشابه وموقفه منه : ـ

لقد اضطربت مقالات أهل التفسير ، واختلفت آراؤهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه وما المراد بهما، وقد أجمل هذه الأقوال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٣) . أما الشيخ أطفيش ـ رحمه الله ـ فيوضح موقفه من هذه القضية عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أُم الكتاب وأُخر متشابهات ..** ﴾ آل عمران (٧) .حيث يقول الشيخ ما ملخصه : (محكمات) : ـ أي واضحات الدلالة ، ولو احتملت النسخ (هن أم الكتاب) أصله المعتمد عليه ، كل واحد ة أم

---

(١) تيسير التفيسير ١٤/٢٤٥، انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع مكي بن أبي طالب ٢/٣٤٥ تفسير أبي حيان ٨/٣٦٦.

(٢) تيسير التفسير ١٤/ ٣٠٢ انظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٥٠. تفسيرأبي حيان ٨/٣٨٥ ، محبوب ابن الرحيل لم أجد له ترجمة في كتب التراجم عند أهل السنة وذكره الدرجيني في الطبقات دون ترجمة ١/٧٠.

(٣) تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ٣/١٦٣ ـ ١٦٥ انظر البرهان للزركشي ٢/٨٠ ، مناهل العرفان ٢/٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب أو هن كالآية الواحدة في التكامل ، والأصل ما يرد إليه غير ه كقوله تعالى :﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ الأنعام (١٠٣) . يرد إليه قوله تعالى : ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ القيامة (٢٣) . بتفسيره بمنتظرة ، (وأخر متشابهات) لا يفهم معناها ، ومعنى متشابه مشتبه ، أي منبهم غير متبين ، فلا يحتاج إلى ما يشاركه في الشبه ، فلا إشكال، وذلك كأوائل السور ، أو متشابهات فكأنه قيل عارضوه بما شئتم ، بصريحه أو غير صريحه فلن تستطيعوه ، أو المتشابه مالا نعلم علته، كأعداد الصلوات، والمحكم ما عقلت علته ، والتشابه من صفات المعنى ، وصف بها اللفظ مجازا ، من إسناد ما للمدلول للدال. ويطلق المحكم أيضا ، على معنى نفي العيب ، معنى ولفظا ، والمتشابه على معنى تشابهها في الصدق ، والحسن ، وكل القرآن لا عيب فيه وصادق حسن ... (فأما الذين في قلوبهم زيغ) ميل إلى الباطل ، (فيتبعون ما تشابه منه) عملا بظاهره أو بتأويله بباطل. (إبتغاء الفتنة) طلبا لصدف الناس عن دين الحق ، كتفسير يد الله : باليد الحقيقية وهو شرك ، وتفسيرها باليد بلا كيف وهو فسق ، وكذا سائر أسماء الأعضاء ، والجهات في القرآن في حق الله تعالى . (ابتغاء تأويله) طلبا لرجعه إلى معنى باطل ، فإن التأويل يطلق على التفسير الباطل كما يطلق على التفسير الصحيح ، أو المراد التأويل الصحيح في زعمهم . وفي تأويلهم تشكيك للناس ، وابتغاء التأويل يوجب ابتغاء الفتنة ،(وما يعلم تأويله) . أي تأويله المتشابه . (إلا الله والراسخون في العلم) . عطف على لفظ الجلالة يعلم الله ، والمتمكنون في العلم معنى المتشابه كما فسرنا إلاستواء بالغلبة ، واليد بالقدرة، وإن أريد بالمتشابه ما اختص الله بعلمه ، وعلم وجه الشيء

كمدة الدنيا ، أو سائر خلقه، وعدد الزبانية التسعة عشر ، فالمعنى لا يعلم تأويله إلا الله ، وإن الراسخين في العلم (يقولون آمنا به) بالمتشابه ما هو بلا دخول إلى تفسيره والجملة مستأنفة ، أو حال من (الراسخون) ، وإن جعلنا الراسخون مبتدأ ، فالجملة هذه خبر . (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) . كناية عن كونهما حقا ، فان كل ما جاء من الله حق. (١)

وبهذه المناقشة والتركيز يكون الشيخ قد عرض نتائج بحثه، ومجمل رأيه في هذه المسألة، وظهر فيها متأثرا بمذهبه والله أعلم وأحكم.

---

(١) تيسير التفسير ٢/٨-١١ بتصرف رجح الطبري أن يكون الراسخون مبتدأ وخبره جمله يقولون ١٨٣/٣ وكذلك الزركشي ٨٣/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثامن : - إعجاز القرآن في تفسيره : -

التمهيد: -

المعجزة : أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة وهي إما حسية ، وإما عقلية. (١) ومما لا شك فيه أن موضوع إعجاز القرآن شيق ثري. وفيه روائع إيمانية . وقد ثبت بالاتفاق أن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم هي معجزة القرآن الكريم ، ونشأ تساؤل عن مكمن هذا الإعجاز ، وعن الوجوه التي يمكن أن يكون فيها القرآن معجزا ؟ وقد اختلفت وجهات النظر في الإجابة ، على هذا السؤال ونشأت نتيجة ذلك نظريات كثيرة ، فقيل :هو معجز بشيء واحد وهو الجانب البياني ، فهو الوجه البارز فيه ، وقيل :معجز بكل ما فيه. والحق أن القرآن معجز كله . معجز في أسلوبه ، وتركيبه. معجز في أخباره وقصصه، معجز في أحكامه ، معجز في وعده ووعيده، معجز في تأثيره النفسي ... وحصر الإعجاز في جانب واحد تحجير واسع. وبعد هذا الموجز أود أن أبين موقف الشيخ من هذا الموضوع ، فقد تناوله الشيخ من زوايا عديدة، ومقاييس متميزة ، وتحدث عنه في أكثر من مناسبة ، فحاول إماطة اللثام عن مراحل التحدي، فقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات** ﴾ هود (١٣) .

في الفصاحة ، والبلاغة ، والحكمة، والإخبار بالغيوب، تحداهم أولا بالقرآن في سورة الإسراء عموما، ولما عجزوا تحداهم بعشر سور، والتحدي بعشر مقدم نزولا عن التحدي بواحدة متأخر تلاوة، ولما عجزوا تحداهم بسورة في سورة البقرة المدنية وهي متأخرة في النزول عن سورة هود ، وفي سورة يونس المتأخرة في النزول عن سورة هود، وكلتاهما مكية لأنه من عجز عن درهم، وقد قلت له أعطني درهما ، لا تقول له أعطني عشرة ، وقد يقال : الآيتان مدنيتان جعلتا في سورتين مكيتين ، والتحدي بعشر نزل قبل التحدي بواحدة ، وقال المبرد مثله في يونس، وسورة البقرة بمعنى المماثلة في الفصاحة والبلاغة ، والأخبار بالغيوب ، والأحكام، وفي سورة هود في الفصاحة والبلاغة فقط ، أي بالمعني ، وزيادة هود ضعيف ؛ إذ الأصل إتفاق وجه المماثلة لا يصار إلى تخالفة مع وجود التأويل بالاتفاق ، والداعي له إلى ذلك مراعاة تتابع السور، ويظهر لي أيضا وجه آخر إن شاء الله كان حسناً ، وهو أن المعنى إن كان كذبا فلا يعجزكم أن تأتوا بسور كثيرة تماثله ؛ لأن أمر الكذب سهل ، وبابه واسع، وهذا كلام يجوز أن يتحداهم به ، ولو بعدما تحداهم بسورة ، وأفرد مثله باعتبار كل قرآن يدعي ، فإن

---

(١) الاتقان ١١٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهاء عائدة إلى ما يوحى ، والمماثلة قائمة بكل واحد إلا بالمجموع ، فالأصل بعشر سور أمثاله أو باعتبار أن أصل مثل مصدر يصلح للواحد فصاعدا ، وقد أفرد لهذا في المثنى قال الله عزوجل ﴿ **لبشرين مثلنا** ﴾ سورة المؤمنون (٤٧) ، وروعيت المطابقة في قوله تعالى : ﴿**ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ محمد آية (٣٨) . أما الوجوه التي كان بها الإعجاز عند الشيخ فهي : ما اشتمل عليه القرآن من بلاغة وفصاحة وحسن تأليف ، وما كان فيه من إخبار بالغيب . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾ سورة البقرة (٢٣) . قال: أي سورة هي مثل ما أنزلنا في البلاغة ، وحسن التأليف ، والإخبار بالغيب مع الصدق. (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** .. ﴾ سورة الطور آية (٣٤) قال: مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة ، وبالإخبار بالغيوب ، ولياقة أمره بما أمر به ونهيه عما نهى عنه (٢) ويبين عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه..**﴾ الرعد . (٧) أن القرآن قد بلغ الذروة في الفصاحة ، ولو أنصفوا لكفاهم القرآن فصاحة وبلاغة لا تطاقان. (٣) ويشير في موضع آخر لو ادعى مدع مثله، أو أدخل فيه لافتضح بالنقص كالنحاس الأحمر بحضرة الأبريز ، مع أنه على لسان أمي حفظه الله فلم يتغير . ثم يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ كان عاجزا عن الإتيان بمثله من عنده ، مع أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أفصح منهم وأبلغ ، كما قال في فصاحته : (أنا أفصح من نطق بالضاد) (٤) وكلامه صلى الله عليه وسلم ـ في البلاغة دون كلام الله تعالى . (٥) أما عن الأخبار بالغيب ، فيقول الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا** ﴾ البقرة (٩٤- ٩٥) . والآية إخباربالغيب إذ لم يقدروا أن يتمنوا ، ودلالة على نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنهم لو لم يوقنوا لتمنوا ولا سيما إذا قلنا التمني هنا التلفظ ، فلم يقدروا أن يتلفظوا

---

(١) تيسير التفسير ٣٥/١.

(٢) تيسير التفسير ٥١٣/١٢.

(٣) تيسير التفسير ٢٨٦/٧.

(٤) الحديث معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ العجلوني . ٢٠١/١.

(٥) تيسير التفسير ـ ٢٦/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالتمني ، ولو مع خلو قلوبهم منه، ولو وقع لنقل ، ولو تمنوا لماتوا في موضعهم . (١) أما عن القدر الذي كان فيه القرآن معجزا، فلنستمع إلى الشيخ حيث يقول : وأقل السور ما فيه ثلاث آيات كسورة الكوثر، وسورة العصر، وسورة قريش إلا أن يعد(لإيلاف قريش) آية ، وكسورة الفتح ـ يقصد النصر ـ إن عد (إذا جاء نصر الله والفتح) آية، وهو المكتوب ، والواضح أنها آيتان، آخر الأولى أفواجا، وآخر الثانية توابا ، فأقل السور آيتان إلا إن جاء حديث في أن آخر الأولى والفتح . (٢) ويظل الشيخ على هذا النحو يشغله موضوع الإعجاز ، وكلما مر بأية فيها ما يدل على الإعجاز ، عاد إلى هذه القضية وفصل فيها القول ، ولقد سلك الشيخ مسلك أهل السنة في موضوع الإعجاز وذهب مذهبهم .

---

(١) تيسير التفسير ١/١٣١.

(٢) تيسير التفسير ١/٣٥ اختلف علماء العدد في سورة قريش فهي عند البصري والكوفي والدمشقي ثلاث آيات تنتهي الأولى بـ (قريش) والثانية بـ (الصيف) والثالثة بـ(خوف) وعند المدنيين والمكي والحمصي أربع آيات بزيارة من جوع، انظر سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المتنهي لأبي القاسم ابن القاصح ص ٣٩٥ ، الفرائد الحسان في عد أي القرآن ومعه شرحه نفائس البيان ، عبد الفتاح القاضي ٧٥، أما سورة النصر فلم أجد نصا عند علماء العدد بوجود خلاف في عدد آياتها الثلاث كما هو مشهور مستفيض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس
منهجه العقدي في هذا التفسير

وفيه المباحث التالية:

التمهيد

المبحث الأول :

آراء الشيخ التي رجح فيها أصول مذهبه.

المبحث الثاني :

موقفه من الفرق الأخرى .

المبحث الثالث :

تعرضه للديانات والعقائد الأخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد :

لما هممت بكتابه هذا الفصل ترددت ، وراودتني نفسي أن أعدل عنه ، ووقفت عنده وقفة المتهيّب ، معتلاً بأني قدمت فكرة موجزة عن أصول المذهب الإباضي ، ومتسائلاً هل لمثلي من قدرة على السباحة في محيط هذا الموضوع ، وسعته ، وعمقه .

فهو موضوع محفوفٌ بالمخاطر ، متشابك المسائل ، دبّ من أجله الخلاف ، واختلت فيه الموازين ، فالخوض فيه يحتاج إلى ميزان حساس، وعادل ، وسط تلاطم أمواجه.

ولكني استنصرت على نفسي بأنه لا بد من ضرورة البحث، وبيان معتقد الشيخ ، وسبر أغوار شخصيته من خلال نحلته في هذا التفسير ، بصفته إباضياً ، مفسراً ، حديثاً ، له القدح المعلى في نصرة مذهبه، وإباضي لا يألو جهدا في محاولة كسب النص القرآني إلى صَفه، ومؤيدا لمذهبه ، رادا لكل الآراء المخالفة له . ولا شك أن عقيدة الإنسان تؤثر فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال يظهر ذلك لدى العلماء في إنتاجهم العلمي والشيخ تجلت شخصيته الإباضية في هذا التفسير بأمرين : -

١ - تصريحه بالانتساب لهذه المدرسة والدعوة إليها .

٢- ترجيح آراء هذه المدرسة ، والتحمس إليها ، ومحاولة إثبات صحة معتقدها.

أما القسم الأول : فأول ما يلقانا في

مقدمة التفسير : (١) (هذا تفسير القرآن العظيم تأليف... السيد الحاج محمد أطفيش الإباضي الوهبي مذهبا....) . وفي ثنايا صفحات هذا التفسير ، وفي أكثر من موضع نجدالشيخ ينص فيقول: وعندنا معشر الإباضية الوهبية . (٢) وكثيرا ما يشيد الشيخ بمذهبه الإباضي الوهبي ويدعمه ، ويرى أن أهله هم أهل الحق ، والاستقامة .

---

(١) تيسير التفسير ، ١/٥ .

(٢) تيسير التفسير ، ٣/٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينحا الشيخ باللائمة على مخالفي الإباضية ، ويقرر أن سبب تفرق المسلمين ، واستهانة أعدائهم بهم ، هو عدم اعتناقهم مبادىء الإباضية . فمن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريّحكم** ﴾ ، الأنفال (٤٦) . حيث قال : (فلو رجعوا - يعني المسلمين عموماً - إلى مذهبنا في الأصول ، أو أعرضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن ، وكانوا يداً واحدة ، لغلبوا على أهل الشرك ...) (١) وكثير ما يردد ولاحق مع مخالفينا في الاصول .

هذا اعتقاد الشيخ ، ولظنه أن الدليل معهم فيما يقررونه من أصول . ومن مظاهر اعتداد الشيخ بمذهبه ، تخصيصه بعض الآيات ، وتعيينها لأهل مذهبه ، فالقوم المقصودون في قوله تعالى : ﴿ **وإنّ تتولوا يستبدل قوماً غيركم** ﴾ محمد (٣٨) . هم في نظر الشيخ قادة المذهب الإباضي . والشطأ الوارد في قوله تعالى : ﴿ **كزرع أخرج شطأه، فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه** ﴾ الفتح (٢٩) . هم أئمة المذهب الإباضي ومن بعدهم .(٢) . أما إشادة الشيخ بأئمة المذهب المتأخرين ، فنجد مثاله ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ، البقرة (١٢٥) . وقال أمير مكة للسلطان حمود ؛ وهو سلطان زنجبار ، أعوام إقامته بمكة : أبني مقاما لك ، وللإباضية أهل مذهبك ؟ . فقال : لا تفعل ؛ لأنه خلاف الشريعة ، ولأنهم لا يقبلون ذلك عني ولا عنك ، ولا يقف فيه أحد منهم ، فلذلك ونحوه قلت فيه : -

حمّودُنا ابنُ محمّدٍ وشَيعتُه ظِلّ البريّةِ والحقُّ شريعتُهُ (٣)

والحق أن تأثر الإنسان بما يعتنقه من مبادئ أمر مقرر، ولكن لا يصل إلى مثل هذا الصنيع، وفي ظني أن هذا مسلك مرفوض ، واستطراد ظاهر لا حاجة له ، وإخراج للآيات عن دلالاتها.

---

(١) تيسير التفسير ، ٣٧٦/٣ .

(٢) تيسير التفسير ، ٢٧٤/٢ .

وقد قيل في تحديد القوم أقوال كثيرة منها : أنهم أهل اليمن ، أو الأنصار ، أو الملائكة ، أو التابعين ، أو الفرس والعجم ، وغير ذلك ، والحق أن القرآن الكريم لم يحدد هوية القوم ،ولم يذكر شيئاً من صفاتهم ، إلا أنهم لا يشابهون الذين تولوا عن أمر الله ، وطاعته ،. ثم هل حصل التولي المسبب للاستبدال ليحصل الاستبدال ؟ . انظر : تفسير الطبري ، ٤٣/٢٦ . النيسابوري ، على هامش الطبري . ابن كثير ، ١٨٢/٤ . فتح القدير ، ٤٢/٥

(٣) تيسير التفسير ١٧٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القسم الثاني فهو يضم:-

أولاً :- الآراء التي رجح فيها أصول المذهب :-

١- الأسماء والصفات :-

البحث في موضوع الأسماء والصفات ، يعد بحثاً في مفصل الاعتقاد لا في مجمله ، وما دام كذلك فهو حري ألا يثير صراعاً بين المسلمين وتبدد من أجله الطاقات . فضلاً عن أن يستمر إلى اليوم ، دون أن تكون هناك نتيجة لهذا الصراع .

أما الشيخ محمدفقد سلك سبيل التأويل ؛ وهو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية ، إلى الدلالة المجازية . (١)

لقد اتخذ الشيخ التأويل منهجاً ، ونزع إليه في آيات الصفات ، وتخريج الألفاظ التي جاءت مضافة الى الله - عز وجل - ؛ واستخدم لذلك دلالات اللغة ، والمجازات ، والإستعارات ، أو حملها على أسلوب التمثيل والتخييل ، والصفات التي يظن الشيخ أنها تماثل صفات المخلوقين لا تلبث أن تجد تأويلاً لدفع توهم التشبيه. والشيخ - رحمه الله - سار على ما ذهب إليه أهل مذهبه في موضوع الصفات ؛ فهي عندهم إعتبارات ذهنية ، فالله - سبحانه - حي لا بحياة عالم لا بعلم ، فلو أثبتوا - على زعمهم - هذه الصفات لأثبتوا تعدد الآله. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هو الأول والآخر** .. ﴾ الحديد (٣) . يقول : (الأول) وحده لم يسبقه شيء ، ولم يكن معه شيء بلا أول. فاخطأ من قال: صفاته غيره قديمة معه . ومن قال: لم يزل يخلق الأشياء ، فيبقى ما يبقى ويفنى ما يفنى ، والزمان حادث ، فالله - عزوجل - متقدم عليه . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ ، الصافات (٩٦) . قال: .. ولا موجود إلا خالق ومخلوق ، والخالق الله تعالى ، والمخلوق ما سواه ، وصفاته - تعالى - قديمة و هي هو ، وأفعاله مخلوقة له ؛ هو خالقها ... . (٣) .وإلى بعض الأمثلة التي جاءت فيها الألفاظ مضافة إلى الله عزوجل .

---

(١) انظر : معاني التأويل في اللغة و لسان العرب . ١٠/٣٢- ٣٤ ، الاتقان ٢/١٧٢. فصل المقال . ابن رشد ١٤ ، التفسير والمفسرون ١/١٨.

(٢) تيسير التفسير ١٣/١١٦.

(٣) تيسير التفسير ١١/١٣٠.

أما مفسرو أهل السنة فقد أثبتوا الصفات الأزلية القديمة فمن ذلك ما قاله الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا .. ﴾ سورة البقرة (٦٥) وثبت بنص هذه الآية القوة لله، بخلاف المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة تعالى الله عن قولهم ، تفسير القرطبي ٢/٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ـ الوجه . تعددت إضافة الوجه إلى الله ـ عزوجل ـ في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، وقد حملها الشيخ على معنى الذات، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فأينما تُولوا فَثَمَّ وجهُ اللهِ** ﴾ ، البقرة (١١٥) . قال: ذات الله(١) وعند قوله تعالى : ﴿ **ويبقى وجه ربك ..** ﴾ ، الرحمن (٢٧) . قال : أي ذات هو ربك ـ سبحانه ـ كاستعمال الجزء في الكل على التجوز . (٢).

٢ـ العين . والعين عند الشيخ تؤول إلى الحفظ ، والرعاية، والصون . فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **ولِتُصنعَ على عيني** ﴾ ، طه (٣٩) . قال: ومعناه بمرأى مني ، وذلك على الاستعارة التمثيلية للحفظ والصون ، فإن المصون يراعى ويراقب كما يراقب الشيء بالعين ..(٣) ، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ ، الطور(٤٨) قال: في أعيننا أي حفظنا لا يصلون إليك ، فالعين مجاز عن الحفظ (٤).

٣ـ اليد:

ومفهوم اليد في حقه ـ تعالى ـ عند الشيخ هي : القدرة والنعمة. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ ، المائدة (٦٤) . يقول : أي ليس الأمر كما قالوا ؛ بل يداه مبسوطتان ، والمعنى أنه جواد باسط للنعمة ، وهكذا المراد لا إثبات الجارحتين ، ولكن ثنى اليد إعلاما بأنه في غاية الجود.. ، وزعم جمهور الأشاعرة أن اليد في حق الله ، واليدين والأيدي ؛ صفة ذات يؤمن بها بلا تكييف، وهو خطأ ، وجمهور المتكلمين على ما نحن

---

(١) تيسير التفسير ١٦٢/١

(٢) تيسير التفسير ١٣/ ٢٣ وردت في هذه اللفظة تأويلات عند أهل السنة، انظر : فتح الباري ابن حجر ٤٠٠/٣، الأسماء والصفات للبيهقي ٣٠٩ البحر المحيط ٣٦١/١.

(٣) تيسير التفسير ١٦٦/٨ وردت تأويلات للفظة العين عند أهل السنة . انظر : مفردات الراغب ٣٥٥ . تفسير الطبري ٥٦/٢٧

(٤) تيسير التفسير ٥١٩/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحن عليه من تفسير ذلك بالنعمة والقدرة ونحو ذلك . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والسماءَ بَنيناها بأيْدٍ** ﴾ ، الذاريات (٤٧) . قال: بقوة (٢)

٤ـ الفوقية : ـ

ورد لفظ الفوقية في كتاب الله تعالى عدة مرات. وقف عندها الشيخ . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ ، الأنعام (١٨) . قال: ـ والفوقية علو شأن ، لا حس ـ تعالى الله عن الجهة ـ ، والجملة استعارة تمثيلية لعلو شأنه تعالى ، والاستعارة في فوق بأنه شبه الغلبة بمكان محسوس، وقيل: كنى عن القهر ، والعلو بالغلبة .. (٣) ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ النحل (٥٠) . قال: المراد علو شأنه عليهم بالقهر.

٥ـ الاستواء : ـ

وردت لفظة الاستواء في القرآن الكريم مضافة إلى الله ـ سبحانه ـ في عدة سور، تنحصر كلها بتعدية (بإلى) أو (على) . وقد سلك الشيخ في تأويله الاستواء : بالملك ، والغلبة ، والقوة ، أو توجه الإرادة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**ثم إستوى إلى السماء** ﴾ ، البقرة (٢٩). قال: ـ الاستواء هنا توجه إرادته ، ثم ينعى على من يفسر خلاف ذلك، قائلا : ـ واختار الجهل على العلم من وكل أمره إلى الله ، وقد وجد له تأويلا ، وهلك من قال : ـ إنه على ظاهرة ، ولكن بلا كيف، ويتم هنا تفسير استوى بملك)(٤) وعند تفسيره لقوله تعالي : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، طه (٥) . يقول ما ملخصه : ـ والعرش في اللغة سرير الملك (٥)، وفي الشرع سرير ذو قوائم تحمله الملائكة فوق السماوات كالقبة ، كما خلق الله الغار في الجبل، وليس الله حالا فيه ولا فوقه، ومعنى استوائه على العرش أنه ملكه. ثم يأتي ببعض الروايات عن

---

(١) تيسير التفسير ١٣٤/٣ .

(٢) تيسير التفسير ١٢/ ٤٧٨. وردت تأويلات أخرى لهذه اللفظة ، انظر : مفردات الراغب ٥٥٣، تفسير الرازي ١٢/ ٤٣ ، فتح الباري ٣٠٤/١٣ ـ ٤٠٧ الاسماء والصفات ٤٠٤.

(٣) تيسير التفسير ٢٥٦/٣، انظر : تأويلات أخرى الطبري ١٠٣/٥. البحر المحيط ٢٠٨/٢ القرطبي ٣٩٩/٦ .

(٤) تيسير التفسير ٤٦/١.

(٥) انظر : لسان العرب ٣١٣/٦، مفردات الراغب ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحابة ، والتابعين تدل في ظاهرها عليه، ثم يستطرد في الحديث عن العرش، والكرسي ، والرد على الفلاسفة . (١)

٦ـ الساق: لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم، مضافا إلى الله ـ عزوجل ـ ، وإنما ورد في سورة القلم دون إضافة . وهو قول الحق جل وعلا : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود** ﴾،القلم (٤٣). : يقول الشيخ في هذا المقام ما ملخصه : ـ والساق ما فوق الكعب ، وكشفها كناية عن شدة الأمر؛ لأنه إذا أريد مزاولة أمر عظيم يزال الثوب عن الساق لئلا يعطل العمل ، أو ذلك استعارة تمثيلية أو الساق أصل الشيء وهو ما ينبنى عليه باقيه ؛ أي يكشف عن أصل الأمر وتبدو حقيقته ، فالساق استعارة تصريحية أصلية، ويكشف ترشيح مجاز مرسل ، وذلك اليوم

أشد زمان في القيامة . ومن استعمال الساق في معنى الشدة ، قول جرير :ـ

إلا رُب ساهي الطرف من آل مازنٍ إذا شمرت الحرب عن ساقها شمرا. (٢)

ومن أثبت لله ساقا على ظاهره أشرك بهذا الاعتقاد، وأشرك بتفسير القرآن به، ويكفي في المتشابه ما ورد التصريح به مضافا إلى الله تعالى مثل : يدالله ، ووجه الله . والاستواء على العرش فنؤوله بما يليق بوحدانيته ، وما لم ينسب إليه . فما الداعي إلى نسبته إليه وجعله من المتشابه، وما ورد في إثباته على ظاهره حديث كذب موضوع ، (٣) ، ولو كان في الصحيحين وغيرهما .. (٤) .

كلام الله تعالى : ـ

ينحو الشيخ ـ رحمه الله ـ منحى الإباضية في صفة الكلام التي ترى أن كلام الله تعالى مخلوق، وليس أزليا . وقد عرض الشيخ لهذه المسألة ، واستغرق حديثه عنها صفحات عديدة في كل جزء من أجزاء تفسيره، وهو يعرضها بمزيد من الشرح والبيان أحيانا، وبشيء من الإيجاز ، والاقتضاب أحيانا أخرى. وكلما ورد لفظ في القرآن الكريم يدل على النسخ ، أو

---

(١) تيسير التفسير ١٣٠/٨-١٣٤ وردت تأويلات أخرى عند أهل السنة انظر : مفردات الراغب ٢٥١، الطبري ١٥٠/١، الأسماء والصفات للبيهقي : ٤٠٩، فتح الباري ٤١٤/١٣- ٤٢٦، شرح العقيدة الطحاوية ٣١٠.

(٢) أورد القرطبي عند تفسيره لهذه الآية شبيه بهذا البيت ونسبه محقق التفسير لحاتم الطائي ٢٤٨/١٨.

(٣) والحديث الذي حكم الشيخ بأنه موضوع وارد في صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب(يوم يكشف عن ساق) . فتح الباري ٥٣١/٨.

(٤) تيسير التفسير ٧٧/١٤-٧٩، انظر : تفسير الطبري ٢٤/٢٩، فتح الباري ٥٣١/٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبديل القرآن بغيره، أو أن يأتى بمثله ، أو أنه محدث ... فإنه يتخذه دليلا على حدوثه. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**ما ننسخْ من آية أو ننسها..**﴾ ، البقرة (١٠٥) . يقول: ـ والنسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق، ولا نثبت الكلام النفسي ، والتعبير من عوارض الكلام النفسي ؛ وهي الأفعال في الأمر ، والنهي ..، وفي إثبات الكلام النفسي إثبات كون الله ظرفا متحيزا، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كل ما عمله قديم، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها. (١) ويرى الشيخ : أن القديم لا يقال باعجازه ، والإعجاز يكون للحادث. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾ ، الإسراء (٨٨). يقول : ..نزل ذلك ردا عليهم، إذ قالوا: ﴿**لو نشاء لقلنا مثل هذا**﴾ الأنفال (٣١) كذبوا . لا طاقة لهم بفصاحته وبلاغته، مع أنه مخلوق مثلهم. إذ لا دليل نقلي ولا عقلي على ثبوت الكلام النفسي ، وأن القرآن هو الكلام النفسي القديم، وأن هذا المتلو ترجمته، وقد جعله الله من جنس كلامهم، وقال لهم ائتوا بمثله ، فتبين أنه حادث . ودعوى أنه ترجمة عن الكلام النفسي ، رجم بما لا يعلمون، والقديم لا يقال بإعجازه ، والإعجاز إنما هو الحادث ، (٢) وإذا مر الشيخ بآية فيها كلام الله لرسله صراحة ؛ فإنه يخرجه على أنه يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام ، والأجسام ، من غير أن يرى السامع، ويبصر من يكلمه، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ..**﴾ ، الأعراف (١٤٢). يقول : أنشأ الله له كلاما، وسمعه من كل جهة، ونحن لا نثبت الكلام النفسي بل كلامه ـ تعالى ـ خلق الكلام ، أو نفي الخرس (٣).وهكذا يستدل الشيخ ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ بهذه الآيات على ما ذهب إليه أهل مذهبه ؛ فيحملها على غير محملها ؛ ليرد بذلك على مخالفيه ، فينكر الكلام النفسي لله تبارك وتعالى . وينحى باللائمة على القائلين به، وهم الأشاعرة ؛ الذين أثبتوا لله كلاما نفسيا ، وهو المراد بإثباتهم، الكلام للهِ تعالى ، وهم يفرقون بين صفة الله القديمة القائمة به ، وبين ألفاظ المصحف المتلو المتداول بين الناس. فيرون أن الأول هو القديم، والثاني لا مانع من القول أنه مخلوق . (٤) يقول الإمام الجويني (وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس ؛ وهو الفكر الذي يدور في الخلد ، وتدل عليه العبارات تارة، وما

---

(١) تيسير التفسير ١/١٥١.

(٢) تيسير التفسير ٧/٢٠٦ وما بعدها.

(٣) تيسير التفسير ٤/١٩٠.

(٤) شرح المواقف (٤٩٥ ـ ٤٩٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصطلح عليه من الإشارات) ، ثم يأتي بأدلة على ذلك (١) . وقد ذكر الإمام الآلوسي طرفا من أدلة الأشاعرة في إثبات الكلام النفسي في مقدمة تفسيره (٢) . والحق أن الله ـ سبحانه ـ متكلم ، وأن كلامه قديم ، وأن القرآن كلامه القديم وكيف يقال أن القرآن صفة الله وهو مخلوق !!. يقول الإمام القرطبي في قوله تعالى :﴿ **وكلّم اللهُ موسى تكليماً** ﴾ ،النساء (١٦٤) . قال: تكليماً مصدر معناه : التأكيد . يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى ؛ بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما . قال النحّاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا. (٣)

٨ـ رؤية الله عزوجل :ـ

سبقت الإشارة إلى أن الإباضية ينفون رؤية الله ـ عزوجل ـ في الدنيا والآخرة ، ويرونها مستحيلة، والشيخ محمد أطفيش تبنّى هذا المعتقد، وقرر ذلك ، وأكد ه في ثنايا تفسيره.

فعند صريح قوله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ (٢٢) . قال: قدم بطريق الاهتمام والحصر وللفاصلة، وهذا الحصر يفيد أنه ليس المعنى تنظر أبصارهم إلى ذاته ـ تعالى ـ لأن مدعي الرؤية لا يقول : ينظرإلى ذاته فقط دائما ، وإن قيل التقديم ليس للحصر. بقي أن النظر إلى الذات ولو أقل من لحظة موجب للتحيز ، ـ تعالى الله عنه ـ ، وناظرة خبر ثان، ومعناها منتظرة . ومن تعدي النظر بمعنى الانتظار بإلى قولهم : أنظر إلى الله، ثم إليك ؛ أي أنظر فضل الله ثم فضلك . وقول الشاعر:ـ

وجوهٌ ناظراتٌ يوم بدرٍ إلى الرحمنِ يأتي بالفلاحِ .(٤)

وقوله تعالى : ﴿ **فنظرة إلى ميسرة** ﴾ سورة البقرة (٢٨٠) ، قال الإمام علي : تنتظر متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة أو بمعنى النعمة ، مفعول مقدم . أو يقدر مضاف إلى ملك ربها، أو ثواب ربها، أو رحمة ربها، والنظر بالعين أو الأصل إلى انعام ربها، والنظر بمعني الانتظار. ولا

---

(١) الارشاد (١٠٥).

(٢) تفسير الآلوسي ١/١٠ ـ ٢٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/١. انظر : هذه المسألة : تفسير الطبري ٣/٣ ، تفسير أبي حيان ٢٧٣/٢، تفسير الرازي ٣١٨/١٠، العقيدة الطحاوية (١٧٩ ـ ١٨٨) . الأسماء والصفات للبيهقي ٢٣٩.

(٤) ينسب البيت إلى حسان بن ثابت ولم أجده في ديوانه في القصيدة التي قالها يوم بدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرجون الرحمة إلا من الله ـ تعالى ـ كما لا يعبدون إلا إياه. وكل حذف أو تأويل ولو كان خلاف الأصل مقدم على عدمه، إذا كان عدمه يؤدي إلى التشبيه أو نحوه، والتقدير والتأويل هما المناسبان لقوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء** ﴾ . الشورى (١١) . المتفق عليه ولكونه لا يتحيز ولا يتجه ، ولا يتجسم ، كما هو المتفق عليه . ولكونه المتنزه لا تدركه عن الحوادث كما هو المتفق عليه، وذلك كله بالذات ، وما بالذات لا يتخلف باختلاف الأزمنة، ولتنزهه عن اللون ، والطول ، والقصر، والغلظة ، ورؤيته تنقض هذه الأصول كلها، وتثبت غيبته عن المواضع الأخرى والتجزئ ، ولزمهم أن الله محسوس لخلقه، وهؤلاء قوم لا يخفى غلطهم في بعض الأصول ..، ووضعوا أحاديث منها : أنه ينظر إليهم وينظرون إليه صباحا ومساء ، ولا يغني عن مدعي الرؤية دعوى أنها ليست على المعتاد ؛ لأن حاصلها الانكشاف، وهو منزه عنه، ولا يضرهم الانتظار ؛ لأن ماهم فيه من النضرة نعمة عظيمة تنفى هَمَّ الانتظار، بل جعل الله الانتظار نعمة آخرى . (١) ويشير إلى هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** .. ﴾ سورة البقرة (٥٥) . حيث قال: ـ .. والآية دليل كفر مجيز الرؤية دنيا أو أخرى ؛ وذلك لأن إجازتها ولوفي القلب إجازة لتكييفه ؛ وتكييفه ممتنع؛ لأن فيها تشبيها، وإدراكه بالقلب تكييف لا يتصور بدونه ، فلا يصح قولهم ، بلا كيف ، وتكييفه في القلب بلا تقدير أن تكييفه لغيره هو نفس المحذور . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُر إليك** ﴾ الأعراف (١٤٣) . قال ما ملخصه : ـ أي اظهر لي أراك ، أوقوّني على أن أراك. ويقال: لما استحلى ما سمع من الكلام هاج به الشوق إلى طلب الرؤية ، مع علمه بأنها لا تكون لافي الدنيا ولافي الآخرة؛ لأن مانفيه مدح لا يختص انتفاؤه بزمان ... (٣) هذا مجمل رأي الشيخ في هذه القضية، وفي محاولة صرف الآيات عن دلالتها ، ولي على كلامه بعض الملحوظات: ـ

١ـ أن الشيخ ـ عفا الله عنه ـ قد تجاوز في تعصبه لمذهبه في هذه المسألة ، والتي قبلها تعصب الزمخشري للمعتزلة، فكان عنيفا في عرض آرائه ، والرد على مخالفيه.

ووصل به الأمر إلى تكفيرهم ، حتى ولو أشفق عليهم، وحمله على كفر النعمة

٢ـ أن هذه المسألة قد وقع فيها الخلاف بين العلماء منذ القدم ووجد من المسلمين من قال بما قالت به الإباضية كالإمام التابعي مجاهد بن جبر، فلم يُوجِب عليه العلماء كفرا، ولم

---

(١) تيسير التفسير ١٤/٣١٣.

(٢) تيسير التفسير ١/٨١.

(٣) تيسير التفسير ٤/١٩٠ـ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكل مخلوق ، وأفعال المخلوق خلقها الله ، وخلق قصد كل قاصد وإرادة كل مريد. (١) ويرى أنه سبحانه خالق للخير والشر، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ الزمر (٦٢) . قال : من أجسام ، وأعراض ، وطاعة ، ومعصية ، وغيرها من أفعال الجوارح ، وأفعال القلوب. (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك** ..﴾ يونس (٩٦) يقول : قضاياه بالشقوة أو بالعذاب أو مافي اللوح المحفوظ . وأفعال العباد معلومة لله تعالى ، ومخلوقة له طاعة، ومعصية ، ومرادة له لا تخالف علمه . (٣) مما سبق نرى الشيخ يقترب من رأي أهل السنة ، ويؤيدهم في هذه المسألة. (٤).

الوعد والوعيد :ـ

ومضمونه عندهم أن الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب إن لم يتوبوا، وبهذا يلتزم الشيخ في تفسيره عند عرضه لهذه القضية، ويعرضها من منطلق إباضي بحت. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن وعدَ اللهِ حقٌ**﴾ يونس (٥٥) . قال: ـ الثواب والعقاب لا خلف في وعده ولا وعيده ؛ لأن الخلف شأن من لا يعلم العواقب، أما من يعلمها سبحانه ؛ فإن شأنه يستمر ولا يتبدل .(٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**إن الله لا يُخلِفُ الميعاد** ﴾ ، آل عمران (٩) قال: وخلف الوعد نقص مناف للكمال الذي هو مقتضى الألوهية، ولن يخلف الله وعده، فلا بد من ذلك اليوم. وللتأكيد وضع لفظ الجلالة ظاهرا مع أن الموضع (إنك) ، وخُلْفُ الوعد خيرا أو شرا نقص ؛ لأنه إما عن كذب أو ظهور أمر يستحق الخلف لأجله قد خفي قبل ، والله منزه عن الكذب ، وجهل الحال ،والعاقبة .... (٦) ولا يستثني من ظاهر آيات الوعيد إلا التائب، ويعلق آيات المغفرة على التوبة. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾ آل عمران (١٢٩) .

قال: .. وليس من الحكمة أن يدخل الكفار الجنة غير تائبين ، أو يدخل المطيع النار ميتا على الاستقامة ، وما ليس حكمة لا يوصف الله به . قال الحسن : يغفر لمن يشاء بالتوبة، ولا

---

(١)تفسير التفسير ، ١١ / ١٣٠ .

(٢) تيسير التفسير ١١ / ٢٩٣ .

(٣)تيسير التفسير ، ٥/٣٣٥ .

(٤) سبقت الإشارة إلى رأي أهل السنة في هذه المسألة في الفصل الأول .

(٥) تيسير التفسير ٥/٢٨٠ .

(٦) تيسير التفسير ٢/١٣ ـ ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشاء أن يغفر إلا للتائبين، ويعذب من يشاء ، ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب. (١) وهكذا يتكلف الشيخ في تأويل الآيات تكلفا جليا لنصرة مذهبه ، أما مفسرو أهل السنة فهم مجمعون على أنه لا يجب على الله شيء . قال الإمام الرازي:ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة** ﴾ المائدة (٦٥) : إن هذه الآية رد على المعتزلة ؛ وذلك لأنهم قالوا : يجب على الله إعطاء الثواب للمطيع ، ويجب عليه ألا يعاقبه ، فهذا المنع ، والحجر ، والقيد يجري مجرى الغل . ...وأما أهل السنة فهم القائلون بأن الملك ملكه ، وليس لأحد عليه استحقاق ، ولا لأحد عليه اعتراض . (٢)

الإسلام والإيمان :ـ

توسع الاباضيون في مفهوم الايمان والاسلام حتى انتهوا الى أنهما مترادفان ، هذا ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ الذاريات (٣٥-٣٦) . حيث قال : ـ وفيه دلالة على أن الإسلام هو الإيمان بمعنى ، ولو اختلف المفهوم ولعله يقصد المفهوم اللغوي ؛ فإن مفهوم الإسلا م الاذعان ، ومفهوم الإيمان التصديق. (٣) وإذا كان هناك علاقة بين الإيمان والعمل ، فإن الإيمان يزيد وينقص حسب الأعمال زيادة ونقصانا ، ودرجات الإيمان تتفاوت حسب تفاوت العمل. يشير الشيخ إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ..﴾ ، الأنفال (٢) يقول : تصديقا بالقلب ، وعملا بالقول ، والجوارح. فإن الإيمان بتلك المعاني ، يزداد قوة ورسوخا بزيادة الأدلة ، وتداعي بعض لبعض . والفكر ، وينقص بإهمال الفكر، .. (٤)

الحكم على مرتكب المعاصي :ـ

سبقت الإشارة إلى أن الإباضية يذهبون إلى تخليد أصحاب الكبائر في النار، هذا ما يعلنه الشيخ ويرى صحته . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته**

---

(١) تيسير التفسير ١٦٦/٢ .

(٢) تفسير الرازي ١٢ /٤٣.

(٣) تيسير التفسير ١٢ / ٤٧٣ .

(٤) تيسير التفسير ٣٠٠/٤ .يعني الشيخ أن الإيمان يزداد بالفكر والعمل ، وإذا أهمل الفكر والعمل نقص ، وكلما زاد الاهمال زاد النقص . انظر : هذه المسألة : صحيح مسلم شرح النووي ١٤٩/١ ، فتح الباري ١٢٧/١ العقيدة الطحاوية (٣٧٣ - ٣٩٢) ، كتاب الإيمان - ابن تيمية (٤ - ١٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون ﴾، البقرة (١٨) . حيث قال: .. ذنبا كبيرا أو صغيرا أصر عليه ، فالسيئة تشمل الشرك وما دونه ، ولا دليل على تخصيص الشرك . ويدل على ما قلت قوله في أهل الجنة (وعملوا الصالحات) ، وقومنا ـ يقصد أهل السنة ـ مجتمعون معنا على أن الإصرار محبط للأعمال الصالحات، ودعوى أنه يحبط ثواب الأعمال ويبقي ثواب التوحيد ، أو دخول الجنة لا دليل عليها .. ، ومن شأن السيئة غير المتوب منها أن تجر سيئات، وهو قوله : ﴿**وأحاطت به خطيئته** ﴾ سيئاته ، أو أشار إلى أنه لما لم يتب عن السيئة لم تغفر له صغائره لاصراره، أحدقت به من كل جانب إذا لم يتب منها كلها، ولو تاب من بعضها .. ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . لا يخرجون منها . المشركون والفاسقون ، والأصل في الخلود . الدوام ، وحمله على المكث الطويل إنما يصح لدليل ، ولاخلاف في دوام المشرك في النار ، ومعني إحاطة الخطيئة به أنها أهلكته، إذ لم يتخلص منها بالتوبة ..) (١) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن عاد فأولئك أصحاب النار ..**﴾ ، البقرة (٢٧٥) قال: وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون . (٢) وأما النصوص التي تواجه الشيخ وتدل على عفو الله ومغفرته ، فإنه يقوم بتخريجها بما يتفق وما ذهب إليه . فعند صريح قوله تعالى : ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ الرعد (١٣) . قال : كبائرهم وصغائرهم إذا لم يصروا ، ولا تعجزه معصية ولو بلغت ما بلغت ، والآية زجر عن الإياس لا مغفرة بلا توبة، أو هي في الصغائر لمن اجتنب الكبائر، .. ولا دليل فيها على مغفرة المصر، فلنا إحباط الحسنات بالسيئات . (٣) وعند بيانه لأنواع الكبائر يبدو أنه يرجح رأي ابن عباس رضي الله عنه بعدم حصر الكبائر في سبع ، وينقل قوله بأنها أقرب إلى سبعمائة منها إلى سبع، وكل ما نُهي عنه فهو كبير ، ثم يتابع قائلا : إن الكبائر ليست محصورةً في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في الإجماع ، بل تُعرف بالذوقِ الصحيح ، وكم كبيرة لا توجب الحد ، ولم يذكر فيها لعن، ولا وعيد ، وكيف يحصى من لا مطمع في ضبطه . (٤). بهذا يتبين أن الشيخ كان يُحمّل الآيات غير معانيها، ويظهر تأثره بالمعتزلة القائلين بالتحسين ، والتقبيح العقليين ، فكأن الحكم على الفعل

---

(١) تيسير التفسير ١١٢/١

(٢) تيسير التفسير ٢٤٤/١

(٣) = = ٢٥٥/٦

(٤) تيسير التفسير ٣٥٣/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعود إلى العقل نفسه أو نظرة الإنسان ، أو كما عبر عنه (بالذوق الصحيح) ، وليس بأن الشرع أمر به أو نهى عنه. وقد أكد مفسرو أهل السنة صحة مذهبهم في عدم تخليد أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار. يقول الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **إن الله لا يغفرُ أن يشركَ به** ﴾ النساء (٤٨) لقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى : (١) وأكد هذا وقرره الإمام القرطبي وقال: وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة . (٢) .

وقال الإمام أبو السعود (٣) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمّدا فجزاؤهُ جهنّمُ خالداً فيها** ﴾ النساء (٩٣) . (تمسكت الخوارج ، والمعتزلة بهذه الآية في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار، ولا متمسك لهم فيها .. لأن المراد بالخلود ؛ هو المكث الطويل لا الدوام، لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاه المؤمنين لا يدوم عذابهم).وقد تواترت الأحاديث عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . (٤)

الشفاعة : ـ

من المسائل التي تمثل امتداداً لموضوع الإيمان، ومرتكب الكبيرة ، وتكون يوم القيامة مسألة الشفاعة وقد سار الشيخ على رأي مذهبه عند تفسيره لقوله تعالى : ـ ﴿ **واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدلٌ ولا تَنفعها شفاعةٌ ولا هم ينصرون** ﴾ البقرة (١٢٣) . حيث قال: والآية دليل لنا، وللمعتزلة على أنه لا شفاعة لأهل الكبائر ؛ لأن الآية ولو كانت في المشركين ، لكنها في صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته ، نص فيها على ثبوتها للفساق ، ولا لشخص مصر . (٥) وقد رد مفسرو أهل السنة هذا الفهم ، وأثبتوا من خلال نصوص الكتاب ، والسنة شفاعة الأنبياء للعصاة الموحدين ، قال الإمام القرطبي : ومذهب أهل الحق أن الشفاعة حق ، والأخبار متظاهرة ، بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين ، هم الذين تنالهم

---

(١) تفسير الطبري ٨٠/٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٥/٥.

(٣) تفسير أبي السعود ١٧/٢.

(٤) انظر فتح الباربشرح صحيح البخاري . كتاب التوحيد رقم الحديث (٧٥٠٩) ٤٨١/١٢ وخبر الرجل الذي قتل مائة رقم الحديث (٣٤٧٠). ٥٩١/٦٠.

(٥) تيسير التفسير ٧١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شفاعة الشافعين .(١) وقال القاسمي : إن الآية خاصة في كفار ، فلا يقبل فيمن كفر فدية ولا شفاعة . (٢) وقد رد ابن المنير في الانتصاف على الزمخشري بما يغني . (٣)

السحر

اختلف في السحر هل له حقيقة أم لا ؟ (فذهب عامة المعتزلة إلى أنه لا أصل له ولا حقيقة ، وذهب أهل السنة أنه ثابت وله حقيقة .(٤) أما الشيخ محمد أطفيش فلم يعطنا رأيا واضحاً في هذه المسألة ، فنراه مضطربا فمرة يرى أنه باطل لا حقيقة له ، ومرة يجعل له حقيقة وتأثيرا . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ما جئتم به السحر إن الله سيبطلُه إن الله لا يصلح عمل المفسدين** ﴾ يونس (٨١) يقول : لا يثبته بل يرده عليهم ، وعمل المفسدين عمل بفعل السحر وغيره من المعاصي ، واختار التعبير بالإفساد ليشير إلى أن السحر إفساد ، وتمويه باطل لا حقيقة له ، كما أنه يرى الحبال والعصي تسعى وهي غير ساعية ، وبعض السحر له تأثير بالله تعالى (٥) ، وحقيقة كسحر اليهود للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى انه يرى أنه فعل شيئا ، وهو لم يفعله ومرض به.وتصديق الشيخ بحقيقة السحر يوصله إلى إثبات صحة الأحاديث التي دلت على أن النبي قد سحر ، فعند تفسيره لقوله تعالي :﴿ **ومن شرّ النفاثات في العقد** ﴾ الفلق (٤) ، فبعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية قال : ويروى أن لبيد بن الأعصم وبناته ـ لعنهم الله ـ ، سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل شيئاً ولم يفعله ، وأنه أتى أهله ولم يأتهم ، ولا يقدح هذا في النبوة ، لأنه حال الوحي ، وإقامة الحجة ، التبليغ حاضر العقل ، وهذا أمر حادث شاذ ، وما هو إلا كمرض شديد ونوم ، وأتى بنص الحديث على طوله ، ثم قال: ـ والسحر شيء له حقيقة ، ذكر في القرآن والحديث أنه تعلمه من تعلمه لا خيال كما زعم من نفاه . والله خلقه ، وإنما يؤثر بإذن الله تعالى ، ولا يقدح في النبوة لأن لها دلائل ومعجزات ، وليس يؤثر في نبي قبل المعجزة أو في حال الوحي .. . (٦) وما قاله الشيخ مؤخراً هو الصحيح ، فالسحر ثابت وشهدت شواهد على ثبوته ، وجمهور أهل السنة ذهبوا إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وتأثير . (٧)

---

(١) تيسيرالقرطبي ٣٧٨/١.

(٢) محاسن التأويل ١٢١/٢.

(٣) كتاب الانتصاف على هامش الكشاف ١٣٦/١.

(٤) تفسير القرطبي ٤٦/٢.

(٥) هكذا جاءت العبارة ولعل الصحيح (بإذن الله تعالى) ٣١٢/٥.

(٦) تيسير التفسير ٤٢١/١ وما بعدها .

(٧) انظر المجموع شرح المهذب للإمام محي الدين النووي، وشرح صحيح مسلم ٤٧٥/١٤. كتاب الإرشاد للجويني (٣٢٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كرامات الأولياء :ـ

يرى الشيخ أنه لا مانع من أن يختص الله بعض عباده الصالحين فيجري على أيديهم ما يكون مخالفا للعادة تكريما لهم ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا** ﴾ آل عمران (٣٧) . قال : وما في الآية كرامة لمريم ـ رضي الله عنها ـ لا معجز ة لسيدنا زكريا في الآية ـ عليه السلام ـ والحق أن كرامة الأولياء ثابته ، وأنكرها المعتزلة ؛ فزعم بعضهم أن ذلك إرهاص لعيسى ، وبعضهم إرهاص لزكريا، ولا يلزم الإرهاص للنبي أن يكون عالما به، (١) وما قاله الشيخ صحيح ، ولكن دون المغالاة بهم أو سؤالهم ، أوالتضرع إليهم . وهذا مسلك أهل السنة . (٢)

الغيبيات : هي التي أخبر بها الشرع ، ويجب الإيمان بها ، ولم تختلف الإباضية (٣) فيما ذهبت إليه كثيرا في هذا المجال عن أهل السنة ، فهم يؤمنون بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان ، وبالحوض ، والبعث ، وعذاب القبر ، وقد عرض الشيخ لمعظم هذه القضايا ومنها عذاب القبر . (٤) فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنُحيينّه حياة طيبة** ﴾ النحل (٩٧) . قال: الحياة الطيبة لذة الطاعة ، وقيل في القبر لأنه يستريح من أذى الدنيا ، فعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) (٥) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **النارُ يعرضون عليها غدوًا وعشيًا** ﴾ غافر (٤٦) . قال: والآية دليل على ثبوت عذاب البرزخ فيما قيل لكن الآية في الأرواح، وردت أخبار ثبوته للأبدان وفيها أرواحها وذلك قبل قيام الساعة.

الميزان :ـ أما الميزان الذي توزن به أعمال الناس يوم القيامة فإن الشيخ يحمله على أنه معنوي وليس ماديا. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾ الأنبياء (٤٧) . قال: تمثيل لانتفاء أن يُنقص شيء من الأعمال أو الجزاء ، ولا ميزان حقيقي . . .

---

(١) تيسير التفسير ٢/٥٦.

(٢) السراج المنير ـ للخطيب الشربيني ٤/٤٠٩.

(٣) انظر : قناطر الخيرات ـ الجيطالي ١/٢٤٩ ، منهج الطالبين الرستاقي ١/٥١٤. السالمي (٢٤٢).

(٤) ذكر بعض الكتاب أن الإباضية ينكرون عذاب القبر ، ومنهم الأستاذ يحيى هويدي في كتابه تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية ص ٥٦. ولا أدري من أين أتى بهذا القول، ولماذا هذا التعميم ، وكتبهم تثبت هذه القضايا .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة رقم (٢٨٧٥) . وقال حديث غريب ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه ضعف٣/٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصراط : ـ

يحمله الشيخ على معنى الاستقامة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فاستقم كما أُمرتْ** ﴾ هود (١١٢) . قال: وفسر بعض الأشعرية* الصراط الذي هو أدق من الشعر ، وأحد من السيف في حديث الصراط على متن جهنم بالإستقامة إخراجا له عن ظاهره ، كما كنت أقول قبل اطلاعي عليه قبل اطلاعي عليه (١) أما الصّور فإن الشيخ يثبته ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ونفخَ في الصور فجمعناهم جمعا** ﴾ الكهف (٩٩) . قال: والصور قرن ، كل روح في ثقبه . قال القرطبي . من أنكر الصور كمن أنكر العرش ، وأجمعوا أن النافخ إسرافيل (٢).

الإمامة : ـ لقد بدأ بظهور الخوارج إثارة قضايا سياسية وثيقة الصلة بالدين ، من أهمها مسألة الإمامة ، وكانت هذه المسألة محور الخلاف فيما بين الفرق، وقد نظرت إليها الإباضية بمنظار خاص ، وقد سبق الاشارة الى ذلك . (٣) أما الشيخ محمد أطفيش فقد تحدث عن هذه القضية في أكثر من موضع، وأبان عن وجهة نظر مذهبه ، واكتفي بذكر مثال واحد. رأيت الشيخ قد فصّل فيه القول في هذه المسألة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فمن نَكثَ فإنما ينكثُ على نفسه** ﴾ الفتح (١٠) حيث قال ما ملخصه : ـ والآية دليل على وجوب الإمامة الكبري ، ونصح الناس ، وكل آية أوجبت الإقامة للعدل أو إقامة للدين ؛ فهي موجبة للإمامة، فهي من القرآن استنباطاً، وكذا في الأحاديث . وكذا ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ إمامة الصديق ، وإمامة عمر لعائشة ، وحفصة وأوصى الصديق بها على عمر ، وجعلها عمر شورى ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر باتباع الأئمة ما داموا على الحق فوجوبها بالشرع ، وزعم بعض المعتزلة : ـ أن نصب الإمامة

---

(١) جمهور الاشاعرة على أن الصراط حق ثابت على حسب ما نطق به الحديث وأنه جسر محدود على متن جهنم ، الارشاد للجويني ٣٢٠ ، الانصاف للباقلاني ٥١.

* نسبة إلى أبي الحسن الأشعري وهو علي بن اسماعيل من نسل أبي موسى الأشعري ولد في البصرة سنة (٢٦٠هـ) وتلقى عن المعتزلة مذهبهم ثم رجع عنه توفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ) والأشاعرة يثبتون سبع صفات وهي الحياة العلم والإدارة ، والكلام والقدرة والسمع والبصر أما سائرها فيؤولونها ، تاريخ المذاهب الإسلامية ـ محمد أبو زهرة ١٩٨/١.

(٢) والحق أن الميزان حق ثابت ، والصراط كذلك علي حسب ما نطقت به نصوص الكتاب والسنة ، وليس في ذلك مستحيلا عقلا . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (ونضع الموازين القسط يوم القيامة) ، ٥٤٧/١٣. وكتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ، ٤٥٣/١١. العقيدة الطحاوية (٤٧٢). والنص الصحيح كما جاء في تفسير القرطبي والأمة مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل ـ عليه السلام ـ . قال أبو الهيثم : من أنكر أن يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش ، والميزان ، والصراط . تفسير القرطبي ٢٠/٧.

(٣) بينت ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن أصول الإباضية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجب على الله تعالى ، وهو خطأ ؛ فإنه لا واجب على الله ولا محرم ، وكذلك قالت الإمامية عن الشيعة (١) كالمعتزلة ، وإنما يجب الشيء أو يحرم من الأعلى على الأدنين ، ولا أعلى من الله ، ولا مساوي ، ومعنى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، الروم (٤٧) . أي حكمت بذلك . وقالت الخوارج - يعنى بهم النجدات ، والسكاكية، والأزارقة (٢) (والأصح من المعتزلة : - أنه لايجب نصب الإمام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند الفتن ومنهم من عكس والحق وجوب نصب الإمام إذا أمكن لأن أمرنا باقٍ من الدين ، ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الإمامات على أنفس الناس ، وأهلهم ، وأموالهم ، ومنع تعدي بعض على بعض ، وذلك لا يصح إلا بوجود إمام يخافون سطوته ويرجون رحمته ، ويرجعون إليه ، ويجتمعون عليه ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فنصب الإمام واجب ، وجب أن يكون واحد لئلا يختلفا فيكون الفساد ، ولا يجب أن يكون الإمام أفضل القوم خلافا للإسماعيلية (٣) المنسوبين إلى اسماعيل ابن جعفر الصادق، السمين بالباطنية . لقولهم : لكل ظاهر باطن ، وبالصلاحات لعدو لهم قصدا عن ظواهر الشرع إلى بواطن يدعونها في بعض الأحوال ، وذلك تحريف وخروج عن الدين ، وليس ذلك تصوفا ؛ لأن المتصوف يثبت الظاهر، ويستنبط منه معنى بإشارة ، ويكون الإمام من قريش إذا وجد وصلح ، للإمامة ، وإلا فمن غيرهم، ولا يجب أن يكون من بني هاشم. وزعم الرافضة أنه لا بد أن يكون علويا ، وقيل : إن لم يوجد قرشي فمن كنانة، ويعزل بالفسق إن أصر عليه خلافا للأشعرية ، وذكر ابن العربي : - أنه إذا كان الإمام لا ينظر في أحوال الناس ، ولا يمشي فيهم بالعدل ، فقد أزال نفسه من الإمامة في نفس الأمر دون الظاهر ، وأختار أنه إذا فسق انعزل فيما فسق فيه ؛ لأنه لم يحكم فيه بما أنزل الله تعالى ، وقد أثبت لهم في الحديث اسم الإمامة ولو جاروا ، ولا يكون الإمام بدويا ، أو عبدا ، أو طفلا ، أو جبانا، أو أعمي ، أو أصم ، أو أبكم ، أولا رأي له ، وان لم يجدوا إلا بدويا نصبوه.

هكذا تناول الشيخ هذه المسألة وأجملها في هذه العبارات وأبان فيها عن مذهبه ، وأثبت أن عقد الإمامة واجب على المسلمين ، وأن هذا أمر محتم لا تخير فيه ولا هواده في شأنه ، ودلل على أنها وجبت بالكتاب والسنة، والعقل، وأن المصلحة تقتضي ذلك، ونص على عدم جواز تعدد الأئمة ، وأشار إلى الشروط والمواصفات الواجب توفرها فيمن تنعقد لهم الإمامة،

---

(١) الإمامية : - فرقة من الشيعة قالوا بإمامة علي عليه السلام بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصا ظاهرا ويقينا صادقا من غير تعريف بالوصف - الملل و النحل للشرستاني (١٦٣) .

(٢) هؤلاء الخوارج القائلين بعدم وجوب نصب الإمام .ولعل الصحيح من العبارة (الأصم) من المعتزلة.

(٣) فرقة من الرافضة تنتسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وزعموا أنه الإمام بعد أبيه، ومنهم القرامطة الذين يرو ن الإمامة في محمد بن اسماعيل بن جعفر وهم الإسماعيلية الباطنية (الفرق بن الفرق - ص ٦٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألمح إلى مدى أحقية قريش بالاستئثار بالخلافة ، ثم عرض آراء الفرق الأخرى وتصورها لهذه المسألة ، ورد على القائلين بعدم وجوب نصب الإمام، وجاء رده من صميم دليلهم. ورأى أن القول بوجوب نصب الإمام على الله خطأ ومغالاة ؛ لأنه لا واجب على الله تعالى ، ولم يذكر الشيخ حالة ما إذا ظلم الإمام ولم يطبق أحكام الإسلام ، وحاد عنه أو حكم بالتشهي والهوى ، وهو ما يعرف بالخروج على أئمة الجور، ولكنه أشار إلى ذلك في موضع آخر عند قوله تعالى : ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ البقرة (١٢٤) . حيث قال : وهذه استجابة لدعائه أن يجعل من ذريته أئمة ، لكنه استثنى الظالمين فأيما فاسق أو مشرك تصدر فليس بإمام ، أو خليفة أو حاكم بل غاصب ، ولا يصلح للإمامة ، وهي أمانة الله من يخون. ولا ينفذ حكم الفاسق ، وناصبه ظالم ، من استرعى الذئب الغنم ظَلم ، وعن الحسن أ ن الله تعالى لم يجعل للظالم عهدا، فلا يوفى له بشأن إمامته إذا أحدث ظلما ، فالعهد كما شرط في البدء ، شرط في البقاء ، وإن نصب بعد توبته جاز . (١).

ويتطرق الشيخ إلي قضية الصراع بين علي ومعاوية ، وما أدى إليه من انقسامات ، ويشير إليها في أكثر من مناسبة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ـ ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ الحجرات (٩) . قال: وصرح بعض الحنابلة بأنه أي ـ قتل الفئة الباغية ـ أفضل من جهاد المشركين ؛ لأن عليا بن أبي طالب ترك جهاد المشركين ، واشتغل بقتال معاوية ، وليس كذلك بل اشتغل بقتاله لما ظهر بغيه وبغي من معه من بني أمية ، فلو تركه لأدى الأمر إلى فساد أقوى مما وقع ، ولولا أنه يؤدي إلى ذلك لم يكن أفضل من جهاد المشركين ، وقد ندم على اشتغاله بقتال الخوارج عنه ، وقال : ليتني لم أقاتلهم ؛ لأنهم أسد النهار ، ورهبان الليل ، شفيت نفسي ، وقطعت يدي ، وعاتبه الحسن ، وروي أنه تاب ولم يعتن الناس بتوبته ، لأنه لم يشهرها ، ولم يتيقن عنه، ولما قالت : ـ الصفرية ، والنجدية ، والأزارقة ، بتحليل الدماء ، والاموال بالذنب ، خرج عنهم الإباضية الوهبية ،ومن أول الأمر امتنع عن قتال الخوارج ، وما زال به الأشعث بن قيس ـ عامله الله عزوجل بما أجرم ـ حتى قاتلهم . وقال ابن عمر : ندمت جدا إذ لم أقاتل مع علي معاوية ومن معه ، لأنهم فئة باغية . كما أمرني الله تعالى بقوله : ﴿ وإن طائفتان ..﴾ . رواه البيهقي والحاكم (٢) ، وذلك أن الإمام هو علي ، ولا

---

(١) تيسير التفسير ٢٩٥/١٢. وما بعدها .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة في باب ذكر ابن عمر عن ميمون بن مهران قال : سمعت ابن عمر يقول : كففت يدي فلم أقدم ، المقاتل على الحق أفضل ، ثم قال الحاكم في شرح هذا الحديث وبيانه في ما حدثناه قال سمعت ابن عمر يقول : ما آسى على شيء (ثم يضع المحقق علامة ليقول في الحاشية ، بياض في الأصل ، لعل هذه العبارة سقطت إلا أني لم أقاتل مع على الفئة الباغية) . مستدرك الحاكم ٥٥٨/٣.وبحثت عنه عند البيهقي في السنن الكبرى والصغرى والدلائل فلم أجده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجوز لمعاوية منازعته في الإمامة ولا لعلي تركه (١) . أما عن موقف الشيخ من قضية التحكيم فإنه يقف منها موقف مذهبه الذي عارض نتيجة التحكيم ، ونقموا على ما قضي به . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ المائدة (١٤٤). قال: وفي الآية تكفير من أجاز تحكيم الحكمين فيما جاء فيه حكم الله تكفيرا غير شرك (٢) وكثيرا ما أنحى الشيخ باللائمة على الأمويين ، ولم يرهم أهلاً لمنصب الخلافة ، ووصف أيامهم بالسوء والظلم .

ثانيا : موقفه من الفرق الأخرى : ـ

لم يخلُ تفسير الشيخ من وقفات مع الفرق الإسلامية الأخري المخالفة لفرقته ، وقد شن حربا من الجدل على المخالفين له ، ودخل معهم في مساجلات حامية الوطيس ، وكان من أهـدافه إظهار مذهبه وصحة معتقده . ومـن أهم الفرق التـي وقف معها وتعقـب مواقفها وآراءها ،الشيعة ، والمعتزلة ، والصوفية . وسنعرض فيما يلي أهم هذه الوقفات.

أـ الشيعة : ـ

لقد عرض لهم الشيخ في مواطن كثيرة ، ولم يترك فرصةتمرإلاويقف معهم ،وينال من تأويلاتهم ، وقد فرق ما بين الشيعة ، والروافض (٣). ورأى أن الشيعة أعم من الروافض ، والروافض بعض من الشيعة . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾ التحريم (٣) . رد على الشيعة بعنف وقسوة حتى وصل به الأمر إلى لعنهم . وقال ما ملخصه : ـ والإسرار قوله لعائشة ، وحفصة على وجه السر أن أبويكما يليان الخلافة بعدي ، وروى بعض الشيعة عن الزجاج لما حرّم النبي صلى الله عليه وسلم مارية، أخبر أنه يملك من بعده أبو بكر ، وعمر ، وذلك البعض هو الطبري ، والشيعة من الروافض ، وفي رواية أن الإسرار قوله لحفصة أبوك، وأبو عائشة وليا الناس من بعدي فإياك أن تخبري أحداً، وإذا كان هذا زلة بطل قول بعض بجواز التكلم بالسر المستكتم عندمن اطمأن إليه لا يفشيه كأمين ، وزوج ، وصديق . وكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن تتوبا إلى الله** ﴾ . وإذا أثبت الشيعة هذا فقد أبطلوا قولهم : إن الخلافة حق لعلي لا لأبي بكر، ونسمع منهم في هذا العصر عند الطواف الحمد لله الذي جعل الخلافة في علي ، أو الحمد لله الذي جعل الإمام عليا. ونقول : الإمام

---

(١) تيسير التفسير ٣٧٦/١٢ ـ ٣٧٧.

(٢) تيسير التفسير ١٠٣/٣.

(٣) الروافض فرقة من الشيعة كانوا مع زيد بن علي وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين ، فقال كانا وزيري جدى فلا اتبرأ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه ، مروج الذهب ٢٢٠/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي بعد عثمان حقا ، فلعن الله الشيعة ولعن من يطوف بهم ، ويقول ذلك بهم .(١)

ويتابع الشيخ الإغارة عليهم بالفاظ قاسية ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**رحمتُ اللهِ وبركاتُه عليكمْ أهل البيت إنه حميدٌ مجيد**﴾ . هود (٧٣) . قال: والدليل على أن زوجة. الرجل من آله ، آية الأحزاب : ﴿ **إنمّا يريدُ اللهَ ليُذهب عنكُم الرجسَ أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ (١٣٣) . وزعمت الشيعة أنها لا تدخل في ال زوجها ، وأهل بيته إلا إن كانت من نسبه ، وأخرجوا ـ لعنهم الله ـ عائشة ـ رضي الله عنها ـ من هذه الآية ، (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم** ﴾ الأحزاب (٦) . قال: ـ وزعم الشيعة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر عليا أن يطلق من شاء منهن بعد موته ، وأنه طلق عائشة بعد الجمل ، وذلك كذب عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعلى علي . (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وعَد اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما** ﴾ الفتح (٢٩) . قال: ولم أرَ أحدا أقرب إلى الشرك من الشيعة ، إذ جعلوا من للتبعيض، وحكموا بالردة على من لم يبايع عليا بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ . كيف يمدح الله قوما مرتدين ؟ . ويذكر الله أنه راض عنهم وهم أهل بيعة الرضوان ـ حاشاهم ـ ، وهم المذكورون في

---

(١) تيسير التفسير ٤٤٥/١٣.

ولي وقفتان يسيرتان مع الشيخ فالرواية التي نقلها وأشار إلى أنها من الطبري لم أجدها في تفسيره عند توضيحه لسورة التحريم ، فالطبري نقل عدة روايات ، ولكنه لم يذكر الرواية التي فيها خلافة أبي بكر وعمر ، والمفسرون اختلفوا في الذي أسر به النبي إلى بعض أزواجه. قد ذكر القرطبي أنه تحريم مارية، ونقل عن الكلبي أنه أسر إلى حفصة أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي ، وذكر عدة أقوال دون أن يرجح أو يختار ، إلا أنه في مستهل السورة أشار إلى أن أصح رواية في ذلك رواية العسل . (تفسير القرطبي ١٨٦/١٨) . وقال ابن حجر في الفتح : اختلف في الذي حرمه النبي على نفسه والذي في الصحيحين هو العسل (٢٠٠/٩) . أما ابن كثير فقد أشار إلى ضعف الرواية في إمارة أبي بكر وعمر (تفسير ابن كثير ٣٠٩/٤). والذي يبدو أن رواية خلافة أبي بكر وعمر لا تصح إذ كيف يُسرّ النبي لنسائه بهذا النبأ العظيم ، ولا يعرف المسلمون شيئا من هذا . وأما الوقفة الثانية : واتهامه الامام الطبري بالتشيع وهي تهمة الصقت بالطبري قديما ولعلها أثيرت حول الطبري لما أكثر من ذكر فضائل الإمام علي ، وأثبت بعض الأحاديث التي روتها الشيعة ، ولم يعتقد معتقدهم ، ويقول بأقوالهم ، يقول الإمام الذهبي عند تعريفه بالإمام الطبري : ثقة صادق فيه تشيع يسير ، وموالاة لا تضر ، وأقذع أحمد بن السليماني فقال كان يضع للروافض وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين ، وما ندعي عصمته من الخطأ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٤٩٩/٣. وقال عنه في سير أعلام النبلاء كان ابن جرير من رجال الكمال ، وشنع عليه بيسير تشيع ، وما رأينا إلا الخير ٢٧٧/١٤

(٢) تيسير التفسير ٤٧١/٥.

(٣) = = ٢٠٧/١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القـرآن ، والتوراة ، والإنجيل بأنهم من أولياء الله عزوجل . (١) ويصل به الأمر إلى أن يجمعهم مع أهل الأهواء ، والأديان الأخرى من اليهود ، والنصارى ، وعبدة الأصنام . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** ..﴾ الأنبياء (٢٦) . قال : أفرطت النصارى في حب عيسى حتى اتخذوه إلهاً . وأفرطت اليهود في حب عزير ، وأفرطت الشيعة في حب علي ، حتى إدعى له أوائلهم الألوهية، وتالوهم النبوة ، ومن بعدهم الإمامة قبل غيره ، وانكروا غيره(٢) وكثيرا ما يحذر الشيخ من أحاديثهم فيقول: إذا جاءك الحديث في أهل البيت وفي سنده شيعي فخذ حذرك فإنهم يكذبون . (٣)

وأحيانا يقف الشيخ معهم في بعض القضايا الفقهية ويناقشهم فيما ذهبوا إليه ، كما فعل في مسألة ميراث الابن الكبير (٤) . وفي رأيهم في ذبائح أهل الكتاب . (٥) .

ب ـ المعتزلة : ـ

من الفرق التي تعرض لها الشيخ المعتزلة ، فقد وقف مع أقوالهم، ورد على تأويلاتهم، وأوسعهم تهكما . خاصة في الموضوعات التي اختلفت فيها وجهات النظر بين الإباضية والمعتزلة ، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ التغـابن (٢) . ذكر طرفا من تفسير الآية ثم قال: والمعتزلة ـ قبحهم الله ـ يقولون : ـ الفاعل يخلق فعله والله عالم بما يفعله علما أزليا . (٦) . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ ، الزخرف (٢٢) . قال: ـ وكفرت المعتزلة من قال المعصية بمشيئة الله . ونقول : ـ هم كفروا بهذا التكفير ، كفر نفاق ونعمة ، ولا حجة لهم في ذلك لأن المعنى ؛ أن الله عاب عليهم اعتذارهم من مشيئته ـ عزوجل ، وهي ليست عذرا لأنه لو لم يشأ كان معصيا قهرا . (٧) . وقد يصفهم الشيخ بأنهم اخوان الشياطين ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ الأعراف (١٢) . قال: جواب معنوي ، واللفظي أن يقول

---

(١) = = ٤٣٥/٢.

(٢) = = ١١٩/٨.

(٣) تيسير التفسير ٣٦٥/٥.

(٤) تيسير التفسير ٢٦٩/٢.

(٥) = = ٣٠/٣.

(٦) = = ٣٨٢/١٣.

(٧) تيسير التفسير ٢١/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ لعنه الله ـ منعني كوني خيراً منه. وفي جوابه إشاره إلى أن من شأنه الخلق من النار لا يحسن السجود لمن ليس منها فكيف يؤمر . والمعتزلة إخوانه في التحسين ، والتقبيح العقليين في التكليف . (١)

والمعتزلة في أصلهم الثاني وهو العدل يبحثون مسألة الحسن والقبح العقليين ، فالحكم على الفعل بأنه حسن أو قبيح يعود إلى صفات تخص العقل ، وليس بمجرد الأمر أو النهي ، وقد انتقدهم الشيخ في ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ الإسراء (١٥) . حيث قال : والآية رد على المعتزلة في قولهم بالحسن والقبح العقليين ، وأن العقل يحكم بالوجوب ، والتحريم طبق حكم الله وهو خطأ فاحش ، والعقل عاجز عن ذلك كما لا يخفى عن كل أحد وهو مخالف لنص القرآن وفي مقام آخر يقول هلكت المعتزلة بقولهم يجب على الله الاصلح). (٢) ويناقش المعتزلة في قولهم في قضية الأجل ، وأن المقتول لو لم يقتل لعاش . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا** ﴾ ، آل عمران (١٤٥) . قال : والمقتول مات لأجله لا كما قالت المعتزلة أنه مات لغير أجله ، وأنه لو لم يقتل لعاشَ لأجل ، أوفي وقت القتل قولان فاسدان ، وهذا من الأصول التي ينقطع فيها العذر فنكفرهم بقولهم تكفير نفاق لا شرك، وذلك أن الله لا يخلف الوعد، ولا الوعيد ، ولا يتجدد علمه فيبدو له ما لا يعلم ـ حاشاه أن يخفى عنه شيء ، ولا ينسى ، ولا يعجز ، ولا يغلبه شيء عن الأجل الموعود له ، وإذا وقع خلاف ما قضى انقلب العلم جهلاً ، واللوح المحفوظ كذبا . (٣) وكثيراً ما يقف الشيخ مع بعض شخصيات المعتزلة ورؤسائهم ، ويناقشهم في آرائهم الكلامية ، أو يقول قالت معتزلة بغداد أو معتزلة البصرة. وأحيانا إذا وافق قول الإباضية قول المعتزلة يستشهد بهم ويدعم رأيه بآرائهم (٤)

جـ ـ الصوفية :ـ

حمل الشيخ على الصوفية حملة شنعاء ، وشن هجوما عنيفا على شيوخها ، ومفسريها ، ورد كثيراً من تفاسيرهم التي تخالف الظاهر ، وليس لها شبهة من دليل أو برهان . وأشار إلى ذلك في عدة مواقف ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها المدثر قم فأنذر** ﴾ المدثر (٢،١) . قال : وقيل : المدثر الغائب في حراء أو في ثيابه أو في صورة عن الحقيقة المحمدية ، أو عن أنظار الخلق ، فلا يعرف حقيقة إلا الله تعالى ، والقولان للمتشدقين الصوفية ، قبحهم الله

---

(١) تيسير التفسير ٢٢/٤.

(٢) تيسير التفسير ١٦٦/١.

(٣) = = ١٨٢/٢.

(٤) = = ٧١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عزوجل يغيرون القرآن عن ظواهره إلى ما هوخارج عن معناها، وحقيقته يعلمها الله تعالى وحده كما قال في البردة : أعياَ الوَرَى فهم معناه .. إلى قوله كلهم . (١) وأحيانا يأتي بقولهم ثم يقول : وإن لم يعجبك هذا فاضرب به وجوه الصوفيه الخارجه عن طريق الجنيد قبحهم الله.

وكثيرا ما يذم الشيخ ما يقوم به بعض الصوفية من إيهام الناس بالتواجد، والمشاهدات ، وخروجهم عن المألوف المعتاد . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **تقشعرُ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾ الزمر (٢٣) . حيث قال: ـ قبح الله من يريد الصفق ، والتواجد، ويتصنع بذلك فإن كان ذلك حقيقة لا خداعا ورياءً فهو من الشيطان ، يعتاده لنحو الرياء حتى صار فيه كالطبع إذا سمع، فليقعد على شفير البئر ، أو حائط يقرأ آية الوعيد ، أو تقرأ عليه ، أو القرآن كله ، فننظر هل يملك نفسه عن السقوط فيها كما قال ابن سيرين ولا يخلو عن عمد، ولو ادعى الطبع ، ألا ترى أنهم يفعلون ذلك ولو لم يكن فيهم ورع ، ولا عبادة .. ومع ذلك فلست أقصد العموم ، فقد يكون الصدق على ما روي أن عمر يسقط ويغشى ، ويروى أنه مرض شهرا يعوده الناس لذلك لا يدرون لم ذاك (٢) . وأحيانا يستشهد بأقوال بعض أعلام الصوفية كالتستري ، والجنيد، ويقول : كل تصوف خالف الجنيد فهو بدعة . (٣) أما موقفه من محي الدين ابن عربي وهو من غلاة الصوفية فإنه يبعث على الحيرة والعجب ، فهو ينقل عنه ويستشهد بأقواله التي تؤيد رأي الإباضية ثم يصفه بأن أهل السنة يسمونه الشيخ الأكبر، وأنهم يذعنون له ما لا يذعنون لغيره ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا** ﴾ الإسراء (١٠٨) .

---

(١) تيسير التفسير ٢٥٦/١٤ تكملة البيت : فليس يُرى للقرب والبعد منه غير منفحم

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهِم

والكلام هنا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وليس في القرآن الكريم كما يرى الشيخ عصيدة الشهده شرح قصيدة البرده عمر بن أحمد الخربوتي ص ٩٥.

(٢) تيسير التفسير ٣٠٥/١٤. ومن الجدير ذكره أن الإباضية ينفرون من الطرق الصوفية وليس لها شأن عندهم، وقد حوى تفسير الشيخ أطفيش ألوانا من الهجوم على ما يكون من بعض الصوفية حول المساجد والأضرحة حيث يقول : ولا يجوز الطواف بغير الكعبة ولو بالمسجد النبوي وبيت المقدس وأهل يسجن يطوفون بمسجد .. وهو بدعة محرمة ولا حجة لذلك فهو حرام وذلك عجيب يطاف على مسجد كأنه كعبة ولا يخافون العقاب .. تيسير التفسير ٤١٦/٨.

(٣) تيسير التفسير ٢١٣/١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: .. وقال ابن العربي وأهل المغرب يسمونه ابن العربي (١) : ونحن لا نقول بالزائد ـ يعني الصفات الزائدة عن الذات. ولا يخالف كشفنا باب الصفات الإلهية عين لا غير ، فإن من يقول : إنها غير واقع في قياس الحق تعالى عن الخلق في زيادة الصفة على الذات ، فما زاد هذا على الذين قالوا : إن الله فقير إلا بحسن العباره فقط ، فإنه جعل الذات لا يكون إلا بغيرها ، فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين ، قاله في الباب السبعين بعد أربعمائة من الفتوحات المكية (٢) وقال: إن القول بأنها غيره غلط ، وأنه جهل عظيم .وابن العربي هذا رجل مروع (٣) وذكر عن نفسه أن له إلهاما من الله ، ولا يقول إلا عن كشف . وكثيرا ما ينقل عنه ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ الحاقة (١٧) .. كما قال ابن العربي في فتوحاته تحصلت لي من ذلك نسخة معها كلام لبعض الأشعرية ، يبين ما خالف فيه الأشعري مثل قولنا : إن صفات الله ليست زائدة عليه ، وقد أذعنوا له ما لم يذعنوا لغيره ، وهو مرادهم بالشيخ الأكبر، (٤) ومن الفرق التي وقف معها الشيخ وناقشها في آرائها الخوارج ، والقدريه ، والمرجئه والكرامية (٥).

ثالثا : تعرضه للديانات والعقائد الأخرى : ـ

عرض الشيخ ـ رحمه الله ـ لبعض الأديان ، والمذاهب القديمة عرضا متفاوتا بين الإيجاز والاطناب، وسأعرض لما أشرت إليه شاهدا واحدا ، وهم النصارى لما أكثر الشيخ من

---

(١) البحر المحيط ـ لأبي حيان ١٧٤/٤ والمشهور أنه ابن عربي بلا ال التعريف للتفريق بينه وبين القاضي ابن العربي وكثيرا ما ورد في التفسير معرفا بأل..

(٢) الفتوحات المكية ١٠٢/٤.

(٣) ولم أدر ما معنى هذه الكلمة وعند مراجعتي للسان العرب وجدت أن من معانيها الخصيب ولعلة يقصد هذا المعنى .

(٤) تيسير التفسير ١٠٦/١٤ .

هكذا يحاول الشيخ أن يلصق ابن عربي صاحب (الشخصية المعقدة) القائل بالمنهج التأويلي ، وصاحب الفكر الذي استقاه من النظريات اليونانية ، والهندية ، وسربه إلى ثقافتنا، والذي تطرف تطرفا تجاوز فيه حدود الإسلام ، فقال بنظرية وحدة الوجود ـ ابن عربي الذي شن حملة شعواء ضد علماء الإسلام ، وفقهائه وسماهم (علماء الرسوم) ، (وفراعنة الرسل) هذا الذي يحكم عليه الشيخ أطفيش أنه شيخ أهل السنة الأكبر ونادرتهم الذي كتبت له المحبة في قلوبهم ، فوثقوا بأمشاج علمه، وتحقيقاته المنامية ، وإلهاماته التي اكتسبها في الثلث الأخير من الليل ، فكان لزاما عليهم أن يذعنوا له وألا يصدروا إلا عن قوله والشيخ محمد أطفيش لم يعنه من ابن عربي إلا الكلام الذي يوافق مذهبه ، وهذه هي علة إعجابه بفكره، وتحقيقاته وإلاّ فإني أجل فراسة الشيخ وذكاءه أن ينخدع بكلام ابن عربي ، والشيخ يعلم أن المجال الذي استشهد به من كلام ابن عربي ليس مما يؤخذ من ابن عربي ، وليس هذا الفن الذي يؤخذ به من ابن عربي ولكل علم وطريقة.

(٥) ٣٣٦/٢ ، ٥٠٥/٦ ، ٦٠٧/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحديث عنهم ، ولعل ذلك تعايشا مع واقع عصره الذي سيطرفيه الاستعمار على البلاد الإسلامية ، وذاق المسلمون على أيديهم ألوانا من الويلات ، خاصة الاستعمار الفرنسي الذي اجتاحت جحافله أرض الجزائر عام (١٨٣٠م) ، والذي حاول أن يجعل الجزائر قطعة من فرنسا ، وكان من سياسته تخريب العقيدة الإسلامية ، ولذلك أكثر الشيخ من الحديث عن النصارى ، وأبان عن فساد معتقدهم في الألوهية وأن ماهم عليه معلوم البطلان. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ النساء (١٧١) . قال : (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) . لا إله ثالث ، ولا ابن الله ، ولا الله (وكلمته) ؛ لأنه وجد بقوله كن أي بتوجيه الإرادة إلى وجوده . (وروح منه) أي وذوروح صادر من الله بلا واسطة أب وهي الروح التي خلقها الله - جل وعلا - والله لا يتجزأ ، ولا يتصف بالروح ، ولا بالحلول ، فلوكان ذلك لبقي الله - سبحانه - بلا روح أو بروح ناقصة بانتقال بعضها إلى عيسى في زعمهم إذ زعموه ، وذلك من صفات الخلق ، ولم يختص عيسى بذلك ، ففي انجيل لوقا. قال يسوع لتلاميذه إن أباكم السماوي يعطي روح القدس الذي يسألونه وفي انجيل متى : أن يوحنا امتلأ من روح القدس ، وهو بطن أمه، وفي التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام : اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك ، وفيها في حق يوسف عليه السلام ، يقول الملك هل رأيت مثل هذا الفتى الذي روح الله - عزوجل حال - فيه ، وفيها أن روح الله حلت على دانيال وغير ذلك . والنصارى لعنهم الله قالوا : - مريم روح الله ولد منها عيسى ، فلا هوتيته ، أي الهيته من جهة الأب تعالى الله - وناسوتيته أي إنسانيته من جهة الأم فنفى الله جل وعلا لاهوتيته ، وأثبت ناسوتيته . وقيل سمي روحا لأنه يحيي الموتى ، والقلوب ، وقيل روح منه بشارة من الله - عزوجل - لها على ألسنة الملائكة ، وقيل روح بمعنى رحمة ، وقيل سر من أسرار الله - عزوجل - وقيل ذو روح ، وقيل جبريل ، وحكى عن النصارى مذهباً ثانياً ؛ أن الله - جل وعلا - جوهر مركب في ثلاثة أقانيم الأب ، الابن ، وروح القدس ، ، ويريدون بالأب الذات ، وبالابن العلم ، وبروح القدس الحياة ، وكلا القولين باطل ، والقائلون منهم بألوهية مريم انقرضوا ولذلك أنكر نصارى العصر القول به . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ ، سورة الزخرف (٦٥) . تحدث عن فرق النصارى ، ثم قال: وما رأيت في الالهيين من هو أجهل بطرق الجدال من النصارى . إلا من قرأ علوم الإسلام منهم ، وتحقق فيها فإنه يكاد يسلم . وفي هذه

---

(١) تيسير التفسير ٢/٤٧٦ - ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأعوام طلب أحد النصارى المقدمين فيهم بلا علم في بريش ، أن يجادلني . فقال له بعض من قرأ علوم الإسلام من أهل بريش، وهي باريز : إنما نأذن لك لو كنت إذا علاك بالحجة تذعن له وتعترف له أما إن كنت إذ علاك بالحجة انتصرت بنا في الباطل فلا ، وكتبت حينئذ إلى النصارى بأن يحضروني أو أحضرهم للجدال فأبوا . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل** ﴾ محمد (٣) . قال: ولم أر أجهل بطرق الجدال من النصارى ؛ يعيبون القرآن بما هو ظاهر البطلان راجع إليهم ، ولا يستحيون فهم ، كنا موسه نفخت على جبل عظيم لتزيله بنفخها، وكأحمق بال في المحيط لينجسه ، وككلب عوى على البدر ليحط من سمائه ،

لا تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ويقاربهم اليهود إلا أن ذلهم دعاهم الى اللين فتستروا به ينكرون المحسومات، والبدهيات ، ويدعون وقوع المحالات، وكلما زادوا جهلا زادوا افتضاحا . (٢) وكثيرا ما يشير الشيخ إلى هيمنة القرآن الكريم ، وما هدى الله به أمة الإسلام ، وضلت عنه اليهود والنصارى . (٣)

واكتفي بهذه الأمثلة والشواهد ، وإلا فهناك المزيد المزيد ، وإن وقفات الشيخ مع النصارى لا تكاد تحصى ، وكل هذا يدل على ضلوع الشيخ ، واجادته في الرد على أصحاب الضلال ، ودحض شبهاتهم ، وافتراءاتهم من واقع أناجيلهم .

---

(١) تيسير التفسير ١٢/٥٥.

(٢) تيسير التفسير ١٢/٢٢٠.

(٣) = = ١/٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع
القضايا اللغوية و البلاغية
في هذا التفسير

ويقع ضمن مبحثين

المبحث الأول :

مسائل اللغة والنحو .

المبحث الثاني :

البلاغة وفروعها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : مسائل اللغة والنحو :-

أ ـ المباحث اللغوية :ـ

تفسير الشيخ حافل بالقضايا اللغوية التي تعرض لها العلماء ، ومن أهمها الاشتقاق ؛ وهو أخذ صيغة من أخرى ، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، وقد عني الشيخ بالبحث في أصول الكلمة ، وأساليب تصريفها ، فبحث عن أصل المادة ، وميزانها الصرفي ، وتصاريفها المختلفة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾ المزمل (١٤). يعرض لأصل الكلمة فيقول : ومادة (ك.ث.ب) للجمع ، وهو فعيل بمعنى مفعول ؛ أي مكثوب ، ثم تغلبت عليه الاسمية فصار اسما لذلك الرمل . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**فمن يؤمن بربه فلا يَخافُ بخساً ولا رهقا** ﴾ ، الجن (١٣) . يشير إلى أصل (رهقا) ، فيقول : ومادة (ر. هـ. ق) تدل على الإشراف على الشيء ، يقال: غلام مراهق أي يقارب ، (٢) وقد يذكر الشيخ أحيانا **الميزان** الصرفي دون أن يلمح إلى الاشتقاق ، فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **إنهم صالوا النار** ﴾، ص (٥٩) .قال : والأصل صَاليُوا النار بضم الياء ، نقلت ضمتها لنقلها إلى اللام فحذفت للساكن بعدها لفظا وخطا ، وحذف الساكن بعدها، والواو لفظا لاخطا . (٣) وكثيرا ما يشير الشيخ إلى المعنى المادي المحسوس مع ذكر نظائر الكلمة أو ما يقاربها للكلمة ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولقد صدَقَكُم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ آل عمران (١٥٢) . حيث قال : تبطلون حسهم بالقتل ، أو تصيبون حواسهم بالسوء . كقولك : كَبَدْته ؛ أصبت كَبِدَه ، وركبته ؛ أصبت رُكبَتَه . (٤) . وهناك نوع من الاشتقاق وجه به الشيخ اللفظ القرآني ؛ وهو الاشتقاق الأكبر ، ويطلق عليه الاشتقاق الكبيروهو أن تتعاقب الحروف فيبدل بعضها من بعض ويبقى المعنى متقاربا.

---

(١) تيسير التفسير ٢٣٧/١٤ ، انظر : المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم بن الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني . دار المعرفة بيروت ص ٤٢٦.

(٢) تيسير التفسير ٢٠٥/١٤ ، انظر مفردات الراغب ٢٠٤ ، لسان العرب لابن منظور ١٣٠/١٠.

(٣) مفردات الراغب ٢٨٥.

(٤) تيسير التفيسير ١٩٠/٢ ، مفردات الراغب ١١٧، لسان العرب ٥٢/٦، ٣٧٤/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لن يستَنْكِف المسيحُ أن يكون عبداً لله** ﴾ النساء (١٧٢) .قال: (يستنكف) لن يترفع وأصله مطلق الاعتزال عن الشيء أو الابتداء في شيء ، ومن هذا مع اختلاف المادة : استأنف العمل ، والجملة المستأنفة ، ومن ذلك كف الدمع ؛ إذا أزاله باصبعه ، وبحر لا ينكف أي لا ينزح، والنكف أيضا قول السوء ، يقال ما عليه في هذا الأمر نكف ؛ أي سوء ، فيجوز حمل الآية عليه، واستفعل للسلب ؛ وشهد الاستنكاف في الاقتناع ، والانقباض ، والتكبير ، وقد فسره ابن عباس بالاستكبار .(١) وفي قوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ الإسراء (٧٨) . قال: ومادة (دلك) ، وما أوله دال فلام بمعنى الانتقال كدلج مشى مقارب الخطو لثقل الحمل ، ودلج بمعنى : مشى ، ودله الرجل تحير أو ذهب عقله من الهوى ، ودله لسانه : مزح . ودلعه : أخرجه ، ودلف الشيخ قارب الخطى ، ودلق الرجل أراق المائع بالقاف ، ودله الرجل تحير أوذهب عقله من الهوى ، ودلهه حيرة ، ودلك بدنه أو ثوبه مثلا في الغسل : حكه...(٢).

المفردة القرآنية :

لقد أفاض الشيخ ـ رحمه الله ـ في تحقيق المفردات القرانية ، وأبان عن معناها ، وحدد مقصودها ، ووقف مع بعض الكلمات ، وأبرز ما بينها من فروق ، واستعان في ذلك بمعاجم اللغة ، وكتب التفسير . وقد يذكر عدة معان للكلمة تدل على وجوه المعنى ، ويختار أقربها. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا فَتعسا لهم وأضل أعمالهم** ﴾ محمد (٨) . ينقل طرفاً من أقوال العلماء في بيان معنى (فتعسا) ، فيقول معنى تعسا : عثواً ، وانحطاطا على الوجه والرأس ؛ أي انحطاطا في الحرب، فيكون معاكساً لقوله تعالى : ﴿ **ويثبتْ أقدامكم** ﴾ وعن ابن عباس : قتلاً ، وترديا في النار ، وهو تفسير بالواقع ، لا بوضع اللغة ، وقيل قبحاً . وقيل : رغماً ، وقيل : شتماً ، وقيل : شقاء ، وقيل : حزنا وشرا، والمشهور هلاكاً ، ومع شهرته فإن الهلاك يعم ذلك كله ، ويصلح له فهو أولى (٣) .

---

(١) تيسير التفسير ٤٧٩/٢. مفردات الراغب ٥٠٦، لسان العرب ٣٤٠/٩.

(٢) تيسير التفسير ٢٦٤/٧ ، مفردات الراغب ١٧١، لسان العرب ٤٢٧/١٠ وما بعدها .

(٣) تيسير التفسير ٢٣١/١٢، وهذه المعاني جميعها أوردها القرطبي ٢٣٢/١٦ وذكرها صاحب : لسان العرب ٣٢/٦ ، وصاحب القامو س المحيط ٢١٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولتعَرفنّهم في لحن القول**﴾ محمد (٣٠) . حيث قال: الإضافة للجنس ، وكأنه قيل في طرف القول أو لحن القول ؛ الطريق المائلة عن الطريق المعروفة ، كالتعريض ، والكناية ، كما يسمى الخطأ في النطق من حيث الإعراب لحنا ؛ لأنه عدول عن الصواب، تقول : لحنت له إذا قلت له قولا يفهمه عنك، ويخفى عن غيره ، لنحو البلاغة في العبارة . وقيل : لحن القول هنا الذهاب عن الحق ، ويقرب منها قول ابن عباس : اللحن هنا قولهم : مالنا من الثواب إن أطعنا ، ولا يقولون ما علينا من العقاب إن عصينا، ثم يقول : وتفسير اللحن بالميل أولى ، وهو الأكثر في الكلام ....(١) . وأحيانا يذكر الشيخ بعض الكلمات التي يظن أنها متحدة المعنى ، فيكشف ما بينها من فروق، وهذا ما يسمى بالترادف ؛ وهو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد. والترادف في اللغة أثبته الجمهور ، وانكرته طائفة من العلماء (٢) منهم ابن فارس ، وثعلب ، ومن المتأخرين عبد الفتاح لا شين . في كتابه صفاء الكلمة ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وذكرت أن الدكتور ابراهيم أنيس الذي قيل : إنه أثبته عدل عن مذهبه الأول ورجع عنه (٣) ، وممن أنكره كذلك استاذنا الدكتور فضل حسن عباس في مذكرته المفردات القرآنية . (٤) والحديث في هذه المسألة يطول ، وإنما ذكرت طرفا منها لنتعرف على ما قيل في هذه المسألة . والحقيقة أن الناظر في كتاب الله ـ تعالى ـ يلحظ فروقا دقيقة في الألفاظ ، ويرى أن كل كلمة مختصة بمعنى من المعاني . فالقول بالترادف يطمس تلك الفروق . وقد أشار الشيخ إلى فروق بين بعض الألفاظ ، فمن ذلك ما ألمح إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والكَاظِمين الغيظ** ﴾ آل عمران آية (١٣٤) .حيث قال: والغيظ هيجان الطبع لرؤية ما يكره أو لاستحضاره ، وإن تبعه إرادة الانتقام فغضب ، والغضب يظهر على الجوارح ، بخلاف الغيظ . (٥) . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون** ﴾ البقرة (٨٣) .

---

(١) تيسير التفسير ٢٦٤/١٢ انظر : البحر المحيط ٨٥/٨ ، لسان العرب ٣٩٢/١٢ ، القاموس المحيط ٢٦٨/٤ ، مفردات الراغب ٤٤٩.

(٢) المزهر في علوم اللغة ـ السيوطي ٤٠٤/١.

(٣) الإعجاز البياني ـ د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ١٩١.

(٤) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ص ١٠ طبع على آلة كاتبة.

(٥) تيسير التفسير ١٧٠/٢، انظر : مفردات الراغب ٣٦٨، لسان العرب ٤٥٠/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث قال: التولي الانصراف لحاجة مع ثبوت العقد، والإعراض الانصراف بالقلب ، وقيل التولي : الرجوع إلى ما كان أولا ، والإعراض : أخذ طريق آخر . (١) ويفرق بين التمني ، والتلهف عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم** ﴾ النساء (٣٢) . حيث قال: والتمني حب الشيء والميل لوقوعه ولو محالاً وهو للحال وما بعده ، والتلهف لما مضى وأكثر التمني لا يتحقق ويكون فيما يعلم أو يظن وبروية ودونها . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولو نزلناه على بعض الأعجمين** ﴾ الشعراء (١٩٨) . فرق بين الأعجم ، والعجمي . فقال: والأعجم : هو الذي لا يفصح ولو كان عربي النسب. والعجمي : هو الذي نسبته في العجم خلاف العرب ، ولو كان أفصح الناس ، وقيل الأعجم ما لا يعقل من الحيوان . (٣) .

الاتجاه النحوي في هذا التفسير :-

لقد أفاض الشيخ - رحمه الله - في ذكر مسائل النحو ، ومذاهب النحو يين ، واعتمد اعتمادا كبيرا على ما نخله من أقوال من سبقه مستعرضا شتى الوجوه ، والآراء ، ثم كان يُدْلي بدلوه فيزيد الأمر وضوحا وبيانا. وهذه أمثلة توضح منهجه في هذا الاتجاه :-

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير** ﴾ آل عمران (١٤٦) . ألمح إلى الاختلاف في أصل كلمة (كأين) ، وتركيبها. فقال: - (وكأين) تكثير ككم الخبرية ، وأصلها كاف التشبيه ، وأي الاستفهامية كتب تنوينها في الخط، وقيل كاف التشبيه ، وأوى بوزن ضرب مصدر ، أوى بمعنى انضم ، قلبت الواو (يا) وادغمت، والنون في الخط تنوين حدث لها معني التكثير بالتركيب ... (٤) ومن ذلك أيضا إيضاحه الخلاف في تركيب كلمة (ويكأن) في سورة القصص آية (٨٢) ، هل هي حرف مستعمل أو هي مركبة؟ يقول : وي إسم فعل بمعنى أعجب مما وقع من الخسف ، أو بمعنى أندم على ذلك التمني ، والكاف

---

(١) تيسير التفسير ١١٦/١ ، انظر : مفردات الراغب ٥٣٥.

(٢) تيسير التفسير ٣١١/٢ ، انظر : مفردات الراغب ٤٧٧ ، لسان العرب ٣٢١/٩.

(٣) تيسير التفسير ٢٩٠/٩ ، انظر : مفردات الراغب ٣٢٣، الكشاف ٣٣٦/٣.

(٤) تيسير التفسير ١٨١/٢ ، انظر الخلاف في ذلك : - إملاً ما من به الرحمن العكبري ١٥١/١ ، مغني اللبيب لابن هشام (٢٤٦) ، تفسير الرازي ٨٦/٥ ، تفسيرالقرطبي ٢٢٨/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف خطاب ، وأن الله تعليل أي لأن الله أو يقدر أعلم بصيغة المضارع أو الأمر ، وقال الكسائي ، ويونس : ـ أصله ويلك فحذف اللام ، فالكاف ضمير مضاف إليه ، وقيل : وي ا سم فعل وكأنه حرف تشبيه خرجت عنه إلى التحقيق ..، ولا يعرف ما قيل عن ابن عباس : ـ ويكأن كلمة واحدة بمعنى ألم ترَناصبة للفظ الجلالة ؛ أي ألم تر أن الله ..(١) ومما ذكره ورد على القائلين به مما أشار اليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ..**﴾ المجادلة (١) . حيث قال عن الواو في (وتشتكي) . عطف على تجادل ، ومن العجب جعل الواو للحال داخلة على مضارع مثبت ، مجرد من قد على القلة أو داخلة على مبتدأ محذوف ؛ أي وهي تشتكي بلا دليل على ذلك وبلا داع . (٢) ويقف طويلا مع بعض المسائل التي تنطوي في ظاهرها على إشكال نحوي ، فيبسط القول في المسألة ، ويجيب على ذلك بآية أخرى فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله :تعالى : ﴿ .. **إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك** ﴾ الدخان (٦،٥) . حيث قال : ومقتضى الظاهر رحمة منا، لكن جيء بلفظ رب تشريفا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإضافته إليه ، مع أنه رب كل أحد ، ولأن المربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين ، والجملة تعليل (ليفرق) ..، ورحمة : مفعول به لمرسلين ، ونُكر تفخيما وهي مطلقة عامة ، وقيل : المراد بها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويأباه كون الجملة تعليلا ، ويجوز كون الجملة بدلا من (إنا كنا منذرين) ، فتكون تعليلا لإنزال الكتاب إذا جعلنا (إنا كنا منذرين) تعليلا له فينصب رحمة على التعليل ، فالمعنى أنزلنا القرآن لأن عادتنا إرسال الرسل والكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم ، والنصب على المفعولية أولى ، وذلك في المعنى . كقوله تعالى : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ...**﴾ **فاطر** (٢) (٣)

---

(١) تيسير التفسير ٤٧٥/٩ ، انظر إملا ما من به الرحمن ١٨٠/٢ ، مغني اللبيب (٤٨٣)

(٢) تيسير التفسير ١٧١/١٢ ، انظر إملاء ما من به الرحمن ٢٥٧/٢، تفسير الآلوسي ٢/٢٨.

(٣) تيسير التفسير ٧٨/١٢، إملاء ما من به الرحمن ـ العكبري ٢٣٠/٢ الكشاف ٢٧١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة التي أكثر من ذكر أوجه الإعراب فيها ليكشف عن معانيها . قوله تعالى : ﴿ **فأولى لهم طاعة وقول معروف ..** ﴾ محمد (٢٠-٢١) . حيث قال: أولى اسم تفضيل بمعنى أحسن ، ولهم متعلق به ، وخبره طاعة ، أو طاعة مبتدأ أو لهم نكرة لعطف النكرة الموصوفة عليه ، وأولى خبر ؛ أي أولى من النظر إليك طاعة ، أو المعنى العقاب أحق بهم فحذف المبتدأ ، ويجوز أن يكون من باب قوله تعالى : ﴿ **أولى لك فأولى** ﴾ القيامة (٣٤) من الوَلْي بإسكان اللام ، بمعنى القرب ، وهو اسم تفضيل يستعمل في معنى قرب الهلاك فيكون صفة لمصدر محذوف ، أقيمت مقامه ، ولهم متعلق به . يقال: أولى له قاربه ما يهلكه ، وقيل هو فعل من هذا المعنى .، وقيل اسم فعل بمعنى وليهم شر بعد شر ، وقيل : وزنه من آل بمعنى رجع على صورة الدعاء برجوع أمرهم إلى الهلاك ولهم خبره ، وقال الرضى عام للشر ، ولهم خبره على أنه صفة مشبهة كأرمل وأرملة ، وطاعة خبر لمحذوف ؛ أي أمرنا طاعة أو مبتدأ محذوف ؛ أي طاعة ، وقول معوف خبر لهم ؛ أي الصواب أن يقولوا ذلك . (١)

تناوب حروف الجر :-

قضية قديمة حديثة ، تعددت فيها الآراء ونتج عن ذلك مذهبان : - مذهب يقضي بوقوع بعض الحروف مكان بعضها ، وهو مذهب الكوفيين ومن تبعهم . ومذهب ثان : لا يرى ذلك ، وهو مذهب جمهرة البصريين . ولعل مذهب البصريين ومن قال بقولهم هو الأقرب إلى بلاغة القرآن ، فلا ينوب حرف عن حرف ، يقول الدكتور الخالدي (إن للحرف القرآني دورا في تقرير الإعجاز البياني ، وإن هذا الحرف يشارك عناصر الدلالة والإعجاز ، ووجوه الإعجاز الأخرى في التعبير القرآني ، مثل الكلمة ، والجملة ، والأسلوب . (٢) أما عن موقف الشيخ أطفيش فقد تبع مدرسة الكوفيين ، وقال بتناوب حروف الجر في القرآن ، وأن

---

(١) تيسير التفسير ١٢/٢٥٠- ٢٥١، انظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٣٧ ، البحر المحيط قال أبو حيان : والإكترون على أن طاعة وقول معروف قول مستقل محذوف منه أحد الجزئين ..٨/٨٢ ، وقال الرازي : وهو كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره (خيرٌ لهم) أي أحسن وأمثل ٢٨/٦٢ ، وانكر الطباطبائي قول من قال إنها مبتدأ خبرها فأولى لهم وأنها امتداد الآية السابقة الميزان ٨/٢٤٠ ، وانظر غيث النفع في القراءات السبع . للسفاقسي على هامش سراج القارىء ص٣٥٢ .

(٢) البيان في اعجاز القرآن - د. صلاح الخالدي ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضها ينوب عن بعض ، فجاء تخريجه لكثير من الآيات على هذا المنحى أو يذكره ضمن عدة أقوال دون إختيار ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فردوا أيديهم في أفواههم** ﴾ ابراهيم (٩) . حيث قال: (إلى أفواههم) . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فاسئل به خبيرا** ﴾ الفرقان (٥٩) . حيث قال: (سل عنه) ، ومنه كذلك : ﴿ **ولأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ طه (٧١) . قال: عليها .

الأحرف الزائدة : ـ

يقول أحمد بدوي في كتابه (بلاغة القرآن) ، ويظهر أن تسميتها زائدة ؛ معناه أنها لا يتربط بها حكم إعرابي ، لا أنها لم تؤدِ في الجملة معنى (١) . ويعرّف أستاذنا الدكتور فضل عباس معنى الزيادة بقوله : (٢) الزوائد كلمات ، وأكثرها حروف ؛ رأى بعضهم أنها لا حاجة لها من حيث الإعراب ، فإذا أسقطت بقي الكلام تاما. ثم يتتبع أستاذنا تاريخ هذه المسألة فيقول : ـ ونكاد نجزم أنها لم تكن شائعة مشتهرة في خير القرون، بل كل حرف من حروف القرآن الكريم ، وكل كلمة تعمل في نفوسهم عملها ، ذلك لأن هذه الكلمات لكل منها معنى تؤديه (٣) . وقد ذهب شيخ المفسرين الإمام الطبري إلى نفي زيادة الأحرف في القرآن ، وناقش القائلين بذلك ، ورد عليهم في كثير من المواضع . (٤) وممن رد القول بالزيادة من المحدثين الدكتور محمد عبد الله دراز . (٥) والحق أن كل حرف في كتاب الله له دور ، وأثر في توضيح المعنى وتقريره ، وليس لنا أن نبطل عمل حرف واحد في كتاب الله العزيز . أما عن موقف الشيخ أطفيش فقد نحى نحو القائلين بوجود الزيادة ، فيعرب كثيرا من حروف الجر فالقرآن على أنه صلة أو زائد ، فإلى نماذج مما ذكره . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون** ﴾ النساء (٦٥) . يقول : (فلا) زيدت لتأكيد القسم أو لتأكيد النفي في الجواب . (٦)

---

(١) بلاغة القرآن ص ١٠٢.

(٢) لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن . د. فضل حسن عباس ص ٥٨.

(٣) المصدر السابق (٦٣)

(٤) تفسير الطبري ١/١٥٣ ـ ١٥٤.

(٥) النبأ العظيم ص ١٣.

(٦) تيسير التفسير ٢/٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أنكر القول بالزيادة هنا الإمام الرازي ، بعد أن ذكر الأقوال التي قيلت في الآية وناقشها قال: فعلمنا أن هذا القول أولى ، وهـو عدم الزيادة ، والله أعلم . (١) ومن ذلك أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم** ﴾ آل عمران (١٥٩) . حيث قال :ـ (ما) صلة للتأكيد. وقد رد القول بالزيادة هنا صاحب الفتوحات الإلهية ، ونقل عن السمين الحلبي . حيث قال : والثاني أنها غير مزيدة ، بل نكرة ، وفيها وجهان : أحدهما أنها موصوفة برحمة ؛ أي فبشيء رحمة ، والثاني أنها غير موصوفة ، رحمة بدل منها . (٢) وأحيانا يورد القول بالزيادة ويضعفه كما فعل عنـد تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ محمد (١٥) . حيث قال : ومثل (زائد) أي الجنة فيها أنهار وهو ضعيف (٣) . وممن أنكر زيادة (مثل) في هذه الآية الدكتور فضل عباس ، وأبان أن القول بالزيادة هنا كما يذهب رونق اللفظ فهو مخل بالمعنى ، فالمثل ليس مما اصطلح عليه الناس ، وانما المراد في هذه الآية الصفة العظيمة ؛ أي صفتها العجيبة الشأن ، العظيمة في غرابتها . (٤)

المعرّب في القرآن الكريم :ـ

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كتاب عربي مبين . أودع الله فيه جوامع الكلم ، وهذه قضيةٌ مسلمةٌ أبان عنهـا منزل الكتاب ـ تبـارك وتعالى . فقـال : ﴿ **إنّا أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾ يوسف (٢) .غير أن القرآن استخدم ألفاظاً كانت تستخدم في لغات أخرى ، وهذه مسألةٌ صارت مثار بحث بين العلماء قديماً وحديثاً ، فالمحققون منهم منعوا أن يكون في القرآن لفظ غير عربي ، ومنهم الإمام الطبري ، حيث قالوا : إنه ليس في القرآن ألفاظ غير عربية ، وأن ماورد في ذلك إنما هو إتفاق وتوارد وقد عقد فصلا في مقدمة تفسيره بعنوان (القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب، وألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم) (٥)

---

(١) تفسير الرازي ٢٤٨/٢٩، انظر ما قاله الطبري في تفسيره ، تفسير الطبري ١٠٠/٤.

(٢) الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل) محمد بن سليمان الجمل ٣٢٩/١.

(٣) تيسير التفسير ٢٣٦/١٢.

(٤) لطائف المنان (٢٨١) .

(٥) تفسير الطبري ٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر السيوطي هذا الخلاف ، ولخص القول فيه ، وذكر أن الأكثرية وفيهم الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، وابن فارس على عدم وقوع المعرب في القرآن . (١) ولعل هذا القول هو الصحيح المختار فالقرآن عربي بألفاظه ، وكلماته، وما ذكروه أنه من الدخيل بحاجة إلى إعادة نظر وتحقيق ، وهو يتعارض مع صريح القرآن ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ ، الشعراء (١٩٥) . أما الشيخ أطفيش فلم يعطنا رأيا محددا واضحا في هذه المسألة ، ففي مواضع ينص على أنه ليس في القرآن لفظ غير عربي ، ويتبرأ ممن يقول بالتعريب ، وفي موضع آخر ينساق وراء من يجوزون ذلك ، ويقول بقولهم ، فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾ الأنبياء (٩٨) . حيث قال: ـ وعن ابن عباس الحصب الحطب بالزنجية ، وإنما يذكر في القرآن من العجمة ماذكره العرب منها ، أو ما ذكره الله عن أهلها . (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس** ﴾ الحج (١٧) .قال:وأصل مجوس صغير الأذنين ، وقيل هو معرب مكئوس ، وقيل معرب ميخ كوش . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق** ﴾ ، الكهف (٣١) . قال: من سندس مارق من الحرير ، وأصله فارسي ، أو هندي قولان ، وأصله بالهندية سندون وغيرته الروم إلى سندس ، والعرب إلى سندس ، (واستبرق) ما غلظ منها ، فارسي عُرب .وأصله استبر بلا هاء أورومي أو استبره بالهاء بالفارسية ، وقيل عربي من البريق..(٣) والأمثلة على ذلك كثيرة : ـ وفي مواضع أخرى نطلع على أقوال قالها الشيخ تخالف ما تبناه في الأمثلة السابقة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي** ﴾ هود (٤٤) حيث قال: وزعم البعض أن البلعة الإزدراد لغة حبشية ، وبعض أنه لغة هندية ، ثم قال: وكل من فسر القرآن بغير لغة العرب فهو من المغرقين في الجهل إلا ما قام دليله . (٤)

---

(١) الإتقان ١/١٣٥ ـ ١٤١ انظر المسألة في لغة القرآن عبد الجليل عبد الرحيم (١٧٧- ١٩٨).

(٢) تيسير التفسير ٨/٣٧١.

(٣) تيسير التفسير ٧/٣٨٣.

(٤) تيسير التفسير ٥/٤٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ...**بأكواب وأباريق وكأس من معين** ﴾ الواقعة (١٨) . قال: وزعم بعض أن ابريق معرب أبريز ؛ أي صب للماء ، وأنا برى ء من دعوى كل تعريب لما قبلته العربية بلا تعريب . (١) وهكذا يتبين أن الشيخ لم يكن موفقا في اعطائنا موقفا واضحا مقنعا في هذه المسألة . فلم يثبت على قول واحد ، وإنما ساق أقوالا متناقضة دون بيان وجه الصواب فيها.

التضمين : لقد أشرت آنفا إلى أن لكل حرف معنى حقيقياً واحداً عند البصريين فهم ينفون أن يضمنوا حرفاً مكان حرف آخر، وقالوا بتضمين الفعل لأن التجوز فيه أسهل . قال ابن القيم : (وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال ، فيشربون الفعل المتعدي به معناه ، هذه طريقة إمام الصنعة سيبويه ، وطريقة حذاق أصحابه وهي قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ، ولطافة في الذهن. (٢) وأما الشيخ أطفيش فإنه ينقل ما قاله المتقدمون من أصحاب المدرستين (٣) ، فيأتي في الآية الواحدة برأي الكوفيين والبصريين .ولنقرأ ما قاله الشيخ في تلخيص هذه المسألة فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم يجمعكم إلى يوم القيامة** .. ﴾ الجاثية (٢٦) . حيث قال: أي في يوم القيامة للجزاء ، وقال البصريون يضمن يجمع بمعنى فعل يتعدى بإلى ،مثل : ـ ينهيكم أو يوصلكم ، وهكذا كلما خرج حرف عن أصل معناه يبقون الحرف على معناه ، ويؤولون متعلق الحرف بما يناسب معنى الحرف ، ومذهب الكوفين أقل تعسفا ، يخرجون الحرف عن معنها على سبيل التجوز، ومعنى في هنا أظهر لأنهم موتى موجودون . (٤) وأريد أن أنقل نصا آخر للشيخ حول تلخيص هذه المسألة لما فيه من زيادة تستحق التنويه ،

---

(١) تيسير التفسير ٦٨/١٣.

(٢) بدائع الفوائد لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ٢١/٢.

(٣) مدرسة البصرة : هي التي وضعت أصول النحو ، والمدارس الأخرى ثمرة تالية من ثمارها، والمؤسس الحقيقي لهذه المدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ المدارس النحوية ـ شوقي ضيف ٥ مدرسة الكوفة : بدأ نشاط هذه المدرسة متأخرا عند الكسائي وتلميذه الفراء اللذين استحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطابع خاص ، المدارس النحوية شوقي ضيف ص ٦.

(٤) تيسير التفسير ١٣٩/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾النجم (٣). وعن بمعنى الباء لأنه يقال: نطق بكذا من نيابة حرف عن حرف عند الكوفيين ، وقال البصريون : عن على أصلها لتضمن ينطق معنى ما يتعدى بعن ، مثل يصدر وهكذا في جميع المواضع ، الكوفيون يقولون : حرف بمعنى آخر ، والبصريون يؤولون المتعلق بما يناسب أصل معنى الحرف ، واختار بعض المحققين المتأخرين قولهم ، وأظن ابن هشام اختار قول الكوفيين . (١) وهذا تلخيص طيب للمسألة : إلا أنه يعكر عليه عبارته الأخيرة ، وهي ظنه أن ابن هشام اختار قول الكوفيين ، والحق أن ابن هشام في هذه المسألة لم يتخذ موقفا واضحا ينسب إليه فلم يختر قول الكوفين على إطلاقه ، وإنما الذي يفهم من كلامه أنه يدافع عن المذهب القائل : بوقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر . إلا أنه قليل الوقوع ، والذي قاله ابن هشام هذا نصه : (قولهم ينوب بعض حروف الجر عن بعضها الآخر، وهذا أيضا مما يتداولونه ويستدلون به، وتصحيحه بإدخال (قد) على قولهم ينوب ، وحينئذ يتعذر استدلالهم به ، إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك يقال لهم فيه لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة ، ولو صح قولهم : لجاز أن يقال: مررت في زيد ، ودخلت من عمرو، وكتبت إلى القلم ، على أن البصريين ومن تابعهم ، يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه وأن العامل ضمن معنى عامل ، يتعدى بذلك الحرف لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف) (٢) من خلال هذا النص لا يمكن أن ننسب لابن هشام مذهبا معينا خاصة أنه ذكر ذلك ، في الباب السادس الذي جاء في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين ، والصواب خلافها . وقد ذكر الشيخ أطفيش كثيرا من الشواهد على هذه المسألة ، واكتفي بالمثالين السابقين .

النصب على نزع الخافض : -

وهو يعني : (نصب الكلمة الواقعة في الأصل بعد حرف الجر ، ويكون النصب بعد أن نحذف الحرف الموجود وهذا الحرف يشيع توسعا في تعدية الفعل بدون الحرف اتساعا في العربية) (٣) . وهذا الحذف كما يقولون سماعي لا يصح القياس عليه ؛ أي أن

---

(١) تيسير التفسير ٥٢٤/١٢.

(٢) مغنى اللبيب ٧٣١/٢.

(٣) النحو الوافي عباس حسن ١٦٢/٢- ١٦٣ ، مغني اللبيب - ابن هشام ٨٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن أمثلة ذلك ما أورده من الشواهد الشعرية ليكشف عن معاني بعض الكلمات. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا** ﴾ النساء (١٠) . حيث قال: والعرب تقول أكل في بطنه إذا ملأه ، وإلا قالوا في بعض بطنه كقوله

كُلوا في بَعضِ بَطنكمْ تعفوا فإنَ زمانكم زمَنٌ خميصُ . (١)

ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** ﴾ النحل (٨) . قال: موضعا تسكنون فيه حين الإقامة ، ويجوز أن يعتبر بمعنى المسكن . قال :

جاء الشتاءُ ولم أعدد له سكناً يا ويح نفسي من شر القواميص .(٢)

أو يجعل بمعنى ما يستأنس إليه كقوله صاحب لامية العجم* :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وأحيانا كان يورد البيت ويعرف بقائله . فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾ المنافقون (٤) . قال: وقال جرير ، وهو إسلامي يخاطب الأخطل ، وهو نصراني ـ لعنه الله :ـ

ما زَالتْ تحسبُ كلَ شيء بَعدهُم خَيْلاً تكرُ عليهم ورِجالا . (٣) .

وأحيانا يورد الشيخ الخلاف في مسألة ، ويأتي لكل رأي بدليل من الشعر.

فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولو نزلناه على بعض الأعجمين** ﴾ الشعراء (١٩٨) حيث قال: جمع أعجمي حذفت ياء النسب تحقيقاً ، كما قرأ الحسن الأعجميين بياء النسب ،

---

(١) تيسير التفسير ٢٧٢/٢ ، والبيت لم ينسبه لقائله ، وقد أورده صاحب لسان العرب ولم ينسبه لأحد ٣٠/٧.

(٢) تيسير التفسير ٥٧/٧، (القواميص) : البرد ، أورد البيت صاحب لسان العرب ولم ينسبه لأحد ٧٢/٧.

(٣) تيسير التفسير ١٣/ ٣٦٨، أورد البيت القرطبي في تفسيره في نفس الموضع ١٢٥/١٨.

الإباضية يرون جواز اللعن على الكافر الحي والميت ، أما أهل السنة فيرون جواز اللعن على من مات كافرا كفرعون وأبي جهل وأما الأحياء فعلى التعيين فلا يجوز لعنهم ، وأما في غير تعيين فلا خلاف في جوازه ، انظر : تفسير القرطبي ١٨٨/٢، فتح الباري ٣٠٥/٣ *لامية العرب للشنفري ، . صاحب لامية العجم : الحسين بن علي الأصفهاني الطغرائي له ديوان شعر وأشهر شعره لامية العجم مطلعها : أصالة الرأي صانتني عن الخطل . الاعلام ٢٤٦/٢جواهر الأدب احمد الهاشمي ٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثله الأشعرون ، والأشعرين بحذفها نسبا إلى الأشعري . قال الكميت :

ولو جهّزت ضافِيةَ شَروداً لقد دخلتَ بيوتَ الأشعرينا .

وقيل : جمع أعجم فلا حذف ، بناء على جواز جمع أفعل الذي هو صفة مشبهة ، جمع المذكر السالم كأحمر . وهو قول : الكوفيين ، والبصرين خصوا جمع أفعل ذلك الجمع بما إذا كان اسم تفضيل ، لا صفة مشبهة ، وكان مقرونا بأل ومضافا لمعرفة ، وللكوفين قول الشاعر: حَلائلُ أحمَرين وأسودَين . (١)

وكثيرا ما يورد شواهد متعددة في موضع واحد. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا ..** ﴾ الرعد (١٣١) . يوضح معنى اليأس فيقول :

ألم يعلموا كما قال سحيم (٢) :

أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألا تيأسوا إني ابن فارس زهدم .

وكثيرا ما يكرر الشيخ البيت ويعيده في أكثر من موضع، مثال ذلك قول الشاعر :

ولا عيبَ فيهمْ غيَر أن سيُوفَهم يُهن فلول من قراع الكتائب . (٣)

حيث تكرر هذا البيت في كثير من المواضع . (٤) ويكتفي أحيانا بالاستشهاد بنصف بيت سواء أكان عجزا أم صدرا، ومنه قول الشاعر : (٥) علفتها تبناً وماءً بارداً .

ومن أغراض استشهاده بالشعر ما يورده لإبراز القيم والمواعظ ، والتزهيد في الدنيا . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأنه هو أمات وأحيا** ﴾ النجم (٤٤) .

---

(١) تيسيرالتفسير ٢٨٩/٩. وما بعدها أنظر : اتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٣٣٤ ، البحر المحيط ٤٢/٧.

(٢) أورد البيت صاحب لسان العرب، وقال زهدم اسم فرس سحيم بن غثيل اليربوعي ٢٧٠/١٢.

(٣) البيت أورده صاحب لسان العرب ونسبه لعنتره ٥٣٠/١١.

(٤) منها ١٦٦/٤، ٢٦٨/٦، ٧٣/١٣، ٢١٥/١٤، ٧٠/١٥.

(٥) هذا البيت لم يذكر العلماء نسبته إلى قائل معين وقد اختلفوا في تتمته وذكر بعضهم أن الشاهد صدر بيت وتمامه : حتى شتت همالة عيناها. خزانه الأدب ـ البغدادي ٢٣١/٢، شرح ابن عقيل ٥٩٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أورد هذين البيتين :

ولدتك أمك يـــا ابن آدم باكـــيا والناس حولك يضحكون سرورا .

فاجهد لنفسك أن تكون إذ بكوا في يوم موتك ضـاحكا مســرورا .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضض من أبصارهن** ﴾ النور (٣١) يورد هذه الأبيات :

كل الحوداث مبدؤها من النظر ومعظم النـار من مستصغر الشـرر.

والمرء مـــا دام ذاعين يقلبهـا في أعين العين موقوف على الخطر .

كم نظرة فعلت في قلب فاعلها فعل السهام بلا قوس ولا وتر . (١)

وأحيانا يقف الشيخ مع الآيات التي تتحدث عن الشعر والشعراء ، مثل قوله تعالى : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ الشعراء (٢٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر** ﴾ يس (٦٩) . يقف وقفات طويلة فيوضح الاختلاف القائم بين القرآن الكريم والشعر، ويبين أن الشعراء الذين ذمهم القرآن هم الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجتمع عليهم الأعراب ، ويستمعون أشعارهم ، ثم يشير إلى الشعراء الذين يتشببون بالشعر، فيقول : قبح الله الفرزدق ، وعمر بن ابي ربيعه ، وأبا نواس ونحوهم ممن يتشبب بالشعر ، وقبح من يرويه قاصدا مقصدهم. ثم يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع لشعر حسان وأجازه عليـه ، وكذلك عبدالله بن رواحه ، وكعب بن مالك ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل ببعض الأبيات الشعرية ولكنه كان يكسرها ، ويورد كثيرا من الأبيات التي نقلت عن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وفاطمة ، والحسن بن علي.(٢) .

الاستشهاد بالأمثال :-

عمد الشيخ - رحمه الله - إلى إيراد بعض الأمثال عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة قاصدا بذلك توضيح المعنى وبيانه.

يعرف الشيخ المثل بقوله : والمثل في العرف : كلام شبه مضربه بموردة ؛ أي المعنى الذي ورد فيه أولا ، والمضرب ما يشبه بذلك الوارد أولا ، ويستعمل مجازا بمعنى ما يستغرب ..(٣) وفي موضع آخر قال وضرب المثل تطبيق حال غريبة بتطبيق حال مثلها في

---

(١) تيسير التفسير ٩٩/٩ أورد هذه الأبيات الآلوسي في تفسيره ، ولم ينسبها لأحد ١٣٩/١٨.

(٢) تيسير ١٧/١١-٧٧.

(٣) تيسير التفسير ٤١٧/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغرابة . (١) فمن الأمثال التي ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**قد مكر الذين من قبلهم**﴾ النحل (٢٦) . قولهم (من حفر حفرة لأخيه جبا وقع فيه منكبا ، ومن حفر جبا لأخيه أوقعه الله فيه) . هنا المثل حكاه الميداني (٢) بلفظ من حفر مغواه وقع فيها ، والمغواة تحفر وتغطى للضبع، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**واضرب لهم مثلا أصحاب القرية**﴾ يس (١٣) حيث ذكر قول العرب (الصيفَ ضيعتِ اللبن) يضرب لمن يطلب شيئا قدفوته على نفسه ، وأصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه فطلقها ، وتزوجت بشاب فقير ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء ، فقال لها ذلك المثل . (٣) ومن الأمثال التي ذكرها (وافق شنٌ طَبقة) ،وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**﴾ النور (٤) ذكره الميداني وقال مثل يضرب لكل اثنين يجتمعان على صفات حسنة أو سيئة ، ووافق اسم رجل اسم امرأة . (٤)

وأحيانا يشير إلى المثل ويشرحه، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم** ﴾ النحل (٧٦). يقول : فأين هذا من الذي يشمله المثل السائر أينما أوجه الق سعدا ﴾ رجل يسمى أخبط رئيس قومه ، وهم سعد جفوة فارتحل عنهم إلى قوم فوجدهم قد جفوا سيدهم، كما جفاه قومه ؛ أي أينما أوجه ألق عشيرة كعشيرتي في الجفاء ، وليس سعد رجلا شريرا كما قيل بل عشيرته شريرة . (٥)

وقد أورد بعض الأمثال توافق في معناها بعض الآيات. فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ..** ﴾ الفرقان (٦٧) . وافق قول العرب (خير الأمور أوسطها) ، ووافق قولهم من جهل شيئا عاداه) . قوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يونس (٣٩) ووافق قولهم (احذر شرمن أحسنت إليه) ، قوله تعالى : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ التوبة (٧٤). ووافق قولهم لا يلدغ الرجل من جحر واحدة مرتين) (٦) ، قوله تعالى : ﴿ **هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل** ﴾ يوسف (٦٤) وأورد من ذلك الكثير وهذه الألفاظ أوردها السيوطي في الإتقان ، وأطلق عليها الأمثال الكامنة ؛ أي التي لا ذكر للمثل فيها . وأرى أن مثل هذا الصنيع واخضاع معاني القرآن لألفاظ تعارف عليها الناس لا يليق ببلاغة القرآن، (والعبارات المختارة الآنفة لا مورد في

---

(١)تيسير التفسير ١٩/١١ .
(٢) مجمع الأمثال للميداني ٣٠٦/٢.
(٣) مجمع الأمثال للميداني ٤٣٥/٢.
(٤) مجمع الأمثال ٤١٨/٣.
(٥) تيسير التفسير ٥١/٧.
(٦) وهذا الذي ذكره من كلام العرب هو حديث نبوي شريف رواه البخاري في كتاب الأدب رقم الحديث (٦١٣٣) فتح الباري يشرح صحيح البخاري ٥٤٦/١٠. ٢- الإتقان ١٣١/٢ - ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضربها ، فخرجت عن الحد الاصطلاحي ، وليس لها إيراد في القرآن باعتبارها مثلا فخرجت عن الحد التوقيفي للأمثال القرآنية التي لاتصاب بالاختيار بعد نص القرآن عليها ، وإني لاستغرب جدا أن تسمى تلك العبارات أمثالا كامنة) . (١)

ثانيا : الصور البلاغية في هذا التفسير :ـ

تمهيد :ـ

لقد أجمع أهل البلاغة والتفسير قديما ، وحديثا على أن القرآن الكريم بلغ قمة البلاغة ، وذروة الفصاحة . ولا سبيل لمعرفة أسرار بيانه ، وبديع لطائفة دون معرفة أساليب البلاغة بفنونها وأفنانها، وطرائقها واستعمالاتها ، ولقد ملأ الباحثون مئان المؤلفات فيما اشتمل عليه القرآن من لمحات بلاغية ، وبيانية ، وبديعية ؛ ولكنها كلها لا تفي بعظمة القرآن الكريم وإعجازه ؛ فبلاغة القرآن بحر لا ساحل له ، ولقد نوه الإمام الزركشي بضرورة معرفة بلاغة القرآن وفصاحته لكل من اشتغل بالتفسير ، حيث قال : (وهذا العلم أعظم أركان المفسر ؛ فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز في الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ..) (٢)

أما الشيخ ابن أطفيش ـ رحمه الله ـ فقد طرق في تفسيره مختلف مباحث البلاغة ، وقدم الكثير من الصور المتنوعة بفنونها المتعلقة بعلم المعاني والبيان، والبديع. وقبل أن أعطي الأدلة على ذلك أبين تجربة الشيخ مع البلاغة القرآنية ، وتذوقه لها كما أخبر عن نفسه ، فقد أدرك الشيخ روعة هذا القرآن وبلاغته الخلابة التي سطع سناها ، وعبق شذاها ،فنسمعه يقول عند تفسير ه لقوله تعالى :﴿**قل فأتوا بسورة مثله** .. ﴾ يونس (٣٨) : ـ الحمدلله الرحمن الرحيم الذي من علي بإطلاعي على تحقق بلاغته ، ومشاهدتي لطرقها ، وإدراكي لها، ولا كلام يفوقه، ولا يقرب من مساواته .... (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر** ﴾ يونس (٦٩) يقول : وبلاغة القرآن لا تطاق، وقد أدركت منها كثيرا بقدر طاقة المخلوق والحمد لله ، وبعضها تتنور في قلبي ، ويعجز لساني عن بيانها إلا بإطالة كلام . (٤) وسأعرض فيما يلي لبعض النماذج التي تتجلى فيها طريقة الشيخ ، ومعالجته لهذه القضايا .

---

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني محمد حسين الصغير ص ١١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣١١/١.

(٣) تيسير التفسير ٢٦٠/٥.

(٤) تيسير التفسير ٧١/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : علم المعاني : ـ

اتفق البيانيون على تسمية العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اقتضاء الحال باسم علم المعاني . (١)

أـ الالتفات : العدول من اسلوب في الكلام إلى اسلوب آخر مخالف للأول (٢) ، وقد وضع العلماء له شروطا ، وتحدثوا عن قيمته الفنية . (٣) وعن صوره :

والشيخ أطفيش قد عرض لبعض صورة في مواضع كثيرة من تفسيره ، وحاول تعليلها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ الفاتحة (٤) . حيث قال: ومقتضى الظاهر إياه نعبد ، وإياه نستعين ، ليهدنا بلام الدعاء ، أنعم عليهم بصيغ الغيبة مثل ما قبله إلا أنه لما أتى بالأوصاف الكاملة من كمال الرحمة والمشاهدة ، وصفات الجلال المحمود عليها ، وقدرته الكاملة بتدرج الأفهام في ذلك على وجه الغيبة ، وقوى برهان ذلك صار الغيب مشاهدا يتكلم معه بصيغ الخطاب ، وفي صيغة الخطاب تلذذ. (٤)

ومن صور الالتفات ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ، وإذا تتلى عليهم** ﴾ يونس (١٤.١٥) .

حيث قال : عليكم يا أهل مكة فجاء على طريق الالتفات من الخطاب في قوله : جعلناكم ، وتعلمون إلى الغيبة . (٥)

ومنه ما ذكره عند تفسير ه لقوله تعالى : ﴿ **هو الذي يُسيرُكم في البرِ والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرينَ بِهم ..** ﴾ يونس (٢٢) . حيث قال: ومقتضى الظاهر بكم للخطاب في كنتم ، وجاء بالغيبة إعراضا عن خطابهم لعد م لياقتهم ، يعز الخطاب إذ هم رجس لا ئقون

---

(١) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ص ٤٥.

(٢) الطراز ـ العلوي ١٣٥/٢.

(٣) انظر : البرهان الزركشي ٣١٤/٣ ، الاتقان ٨٥/٢، الكشاف ٦٤/١، جواهر البلاغة ٢٤٠.

(٤) تيسير التفسير ١١/١.

(٥) تيسير التفسير ٢٢٤/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحجاب . (١) وكان أحيانا يرد ما قيل أن في الآية التفاتاً فمن ذلك ما فعله عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون** ﴾ يس (٢٢) . حيث قال: ومقتضى الظاهر وإليه أرجع ، وليس ذلك التفاتا لأن ياء المتكلم ليست للمخاطب ، وإنما يكون التفاتا لو كان المعبر عنه في الموضعين واحدا ، وإن استعمل مالي لا أعبد في موضع (وما لكم لا تعبدو ن الذي فطركم) (٢) . ومن الذين ردوا القول بالالتفات في هذه الآية : السمين الحلبي كما ذكر ذلك صاحب حاشية الجمل . (٣)

ب ـ التقديم والتاخير : ـ

قال عنه الزركشي : (هو أحد أساليب البلاغة ، أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام ، وانقياده لهم ، له في القلوب أحسن موقع ، واعذب مذاق) (٤) وقد أورد الشيخ أطفيش صورا عديدة لأسلوب التقديم والتأخير ، ولكنه لم ينص على ذلك في كثير من الأحيان ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أفأنت تكره الناس** ﴾ يونس (٩٩) . أشار إلى تقديم المسند إليه على المسند الحقيقي . فقال: والهمزة لإنكار صحة ذلك ، وأنت فاعل لتكره حذف وحده وبرز ضميره منفصلا يدل على تكره المذكور بعد ، والمعنى : أيصح أن تكره الناس لا يصح ، ولو جعل مبتدأ لكان المعنى أأنت الذي تكرههم !! لا الله وهذا لا يصح لأن الله أيضا لا يكرههم على الإيمان .

أما عن تقديم المسند ، فقد ذكره الشيخ في مواضع كثيرة ، ومنها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ الصافات (٤٧) . حيث قال : وتقديم فيها للحصر أي انتفى منها خاصة الغول لا مثل خمر الدنيا . (٥) أما عن تقديم المفعول فقد ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم الجحيم صلوه** ﴾ الحاقة (٣١) حيث يقول : مفعول ثان ، لصل الذي

---

(١) تيسير التفسير ٥/٢٣٥.

(٢) تيسير التفسير ١١/٢٨.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٣/٥٠٨.

(٤) البرهان الزركشي ٣/٢٣٣.

(٥) تيسير التفسير ١١/١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعده قدم على طريق الاهتمام والحصر والفاصلة . (١) وهناك نوع من التقديم والتأخير لا يندرج تحت قاعدة منضبطة أكثر من ذكره الشيخ ، ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إلا إبليس أبى واستكبر** ﴾ البقرة (٣٤) . حيث قال: والاستفعال هنا للمبالغة ؛ أي تقدر منها كبر عظيم ، وهو أصل الإباء أو مع الآنفة إلا أنه قدم الإباء ؛ لأنه مما يظهر ، والاستكبار قلبي وأنما يظهر بأثره وذكرا جميعا لبيان أن إباءه لا يزول ، لأنه لكبر راسخ فيه . (٢) ومن كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** ﴾ النحل (٦) . حيث قال: وقدم الإراحة على السرح مع تأخيرها في الزمان ، لأنها أشد زينة ، إذا أريحت ممتلئة البطون ، والضروع تجري مجتمعة ، وتجتمع في المراح بأصوات عكس حالها السرح ، ولا سيما حال الربيع . (٣) وعند قوله تعالى : ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً** ﴾ الإسراء (٩٧) . قال: والترتيب في الآية لأن آفة السمع أشد من آفة البكم ، وآفة اللسان أشد من آفة البصر ، وآية سورة البقرة على التنزيل ، ووسط البكم فيهما لأنه لازم للصم كيلا يفارقه في الذكر . (٤)

جـ ـ القصر :

تمهيد :

يعرف القصر لغة بالحبس . واصطلاحا : بأنه تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص . (٥) وينقسم القصر بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام : ـ

١ـ قصر قلب : وذلك إذا كان المخاطب يعتقد عكس ما تقول

٢ـ قصر إفراد : وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره لأنك بالقصر تجعل الحكم على فرد واحد دون غيره .

٣ـ قصر تعيين : وذلك إذا كان المخاطب شاكا في الحكم بين المقصور عليه وغيره .

وينقسم القصر من حيث الواقع إلى قسمين : (٦)

---

(١) تيسير التفسير ١١٥/١٤ .

(٢) تيسير التفسير ٥٥/١.

(٣) تيسير التفسير ٤٦٠/٦.

(٤) تيسير التفسير ٢٩٧/٧.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها د. فضل حسن عباس ٢٧٧.

(٦) المصدر السابق ص ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- قصر حقيقي : وهو ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ، ولا يتجاوز إلى غيره .

٢- قصر إضافي : وهو القصر المجازي أو المبني على المبالغة .

ويكون القصر من حيث طرفاه على نوعين : -

فإلى بعض الأمثلة من تعامل الشيخ مع هذا الموضوع .

يشير إلى القصر من حيث طرفاه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم اله واحد** ﴾ الكهف (١١٠) .(١)حيث يقول (إنما أنّا بشرٌ) ، حصر موصوف وهو رسول الله على صفة هي كونه بشراً مماثلا لهم ، قصر قلب تنزيلا لاقتراحهم منها مما لا يكون من بشر مثلهم ، منزلة من يدعي أنه غير بشر غير مماثل لهم ، أو قصر تعيين تنزيلا لهم لذلك منزلة من لا يدري أنه بشر مثلهم ، والحصر الثاني : (أنّما إلهكم الهٌ واحدٌ).حصر موصوف هو الله - عزوجل - على الصفة هي الألوهية ، قصر قلب تنزيلا لعدم إذعانهم إلى القرآن منزلة من يدعي عدم الألوهية ، وقصر إفراد تنزيلا لذلك منزلة مدعي تعدد الإله ..، وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل** ﴾ آل عمران (١٤٤) . قال: لا يتجاوز الرسالة إلى الألوهية فتترك العبادة لموته ولا إلى الحياة أبدا بل يموت كما يموت الرسل بقتل أو بغيره ، وذلك قصر إفراد .. أو قصر قلب ، إذ توهموا أنه لا يجب البقاء على دينه بعد موته ، وهذا القصر منصب على النعت وهو قد خلت . (٢)

أما من حيث الواقع ، وانقسام القصر إلى حقيقي وإضافي ، فالأمثلة التي سبقت من قبل هي قصر حقيقي ، وأما الإضافي فمن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله** ﴾ يونس (٨١) . حيث قال : الذي جئتم به هو السحر لا غيره ، فتعريف الطرفين للحصر الإضافي كأنه قيل لا ما جئت به من الحق فإنه ليس سحرا . (٣) ومنه كذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ القلم (٢٥) .

حيث قال : والحصر الإضافي ؛ أي إنما قدروا على الغضب ، أو العزم على المنع فقط للمساكين أو على منع ثمارها عن المساكين لأنفسهم (٤) .وقد يخرج الآية على القسمين الإضافي والحقيقي ، فمن ذلك ما ذكره عن تفسيره لقوله تعالى :﴿ **ألا إنهم هم**

---

(١) تيسير التفسير ٥٠٦/٧.

(٢) تيسير التفسير ١٨٠/٢.

(٣) تيسير التفسير ٣١١/٦.

(٤) تيسير التفسير ٦٨/١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفسدون ﴾ البقرة (١٢) .حيث قال: انتبهوا أيها الناس قد تأكد أن هؤلاء مفسدون دون غيرهم . فالحصر إضافي ، وإن فسرنا الفساد بالنفاق كان حقيقيا لأنه لا نفاق الا فيهم بخلاف مطلق الفساد ، ففي غيرهم من المشركين .

هـ ـ الحذف والذكر :ـ

لقد ألمح الشيخ ـ رحمه الله ـ في مواضع متعدده من تفسيره إلى موضوع الحذف والذكر وإلى الأسرار البيانية الناتجة عنه ، وسماه الحذف والإيصال. يحذف المسند اليه أحياناً لتعدده ، وقد أشارإلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **زُين للذين كفروا الحياة الدنيا**﴾ البقرة (٢١٢) حيث قال: أي زين الله ، لأنه الموجد للزينة وخالقها ، وخالق تأثير وسوسة الشيطان ، أو زين الشيطان أو عالج حصول الزينة .(١) وقد يحذف المفعول لعدم الغرض من ذكره ، وقد أشار اليه عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **قالتا لا نسْقي حتى يصدر الرعاءُ.**﴾ القصص (٢٣) حيث قال : ولم يتعلق الغرض بالمفعول وهو الماشية فلم يذكر (٢). وقد يحذف جواب لولا بقصد التفخيم ، وقد أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **ولولا فضلُ الله عليْكُم ورحمتهُ وأن الله توّابٌ حكيم**﴾ النور (١٠) . حيث قال : والجواب محذوف على طريق المبالغة ، حتى كأنه لا يجيء به لفظ تقديره لكان ما يكون مما لا يطاق ، أو لهلكتم دينا ودنيا (٣) وقد يحذف الموصوف للعموم ، ولتذهب به النفس كل مذهب ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ** ﴾ الإسراء (٩) حيث قال :ـ هداية بيان فالحذف للعموم (للتي هي أقوم)؛ أي للسيرة التي هي أقوم أو للطريقة أو للمله أو للحالة ونحو ذلك مما هو مقبول ، فتذهب النفس كل مذهب لائق ، وذلك من بلاغة القرآن ، ولو صرح بواحد من ذلك لم تذهب النفس إلى غيره . أما الذكر فقد عرض له الشيخ من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما تلك بِيمينك يا موسى قال هي عصاي** ﴾ طه (١٨) حيث قال: وزاد موسى في الجواب على السؤال .استطابة للكلام مع الله عزوجل . كما قيل : ـ

وأملي حديثا يستطاب فليتني أطلت ذنوبا كي يطول عتاب (٤)

ولذلك ذكر لفظ هي . والآية دليل على جواز الزيادة ـ ولعله يقصد الزيادة في التوضيح

---

(١) تيسير التفسير ١/ .

(٢) تيسير التفسير ٤١٩/٩.

(٣) تيسير التفسير ٧٣/٩.

(٤) لم أجد قائله وقد أورده الآلوسي عند تفسيره لهذه الآية ١٧٧/١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتقرير ـ على ما بوب له بحسب ظاهر اللفظ من السؤال عن نفس العصا فقط تقريرا ، إذ زاد يا المتكلم وما بعدها ، وإما على أن المراد حال العصا فالجواب طبق السؤال .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أولا يذكر الإنسان** ﴾ مريم (٦٧) . قال: ولم يضمر الإنسان وهو المذكور قبل زيادة التقرير ، والإشارة إلى أن الإنسانية من دواعي التفكر فيما من شأنه أن يتفكر فيه كشؤون التكوين المصرح بالقدرة على البعث . (١) وعند قوله تعالى : ﴿ **إنه كان في أهله مسرورا** ﴾ الانشقاق (٣) .قال حال حياته في الدنيا (مسرورا) بالذات والإستهزاء بالمسلمين ، وغيبتهم ، والنقص منهم ، وسائر المعاصي معرضا عن التقوى والآخرة.

و- الاستفهام :-

لقد ألمح الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى بعض المعاني المجازية غير الحقيقية للاستفهام . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ البقرة (١٤٤) حيث يقول : والاستفهام توبيخ لهم أو انكار.

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا** ﴾ الإسراء (٤٠) . حيث قال ؛ والاستفهام التوبيخي منسحب على (أصفاكم) أو على (واتخذ) المعطوف على أصفاكم .(٢)

وقد جعل الزمخشري الاستفهام هنا للإنكار، وليس للتوبيخ وهو الأنسب فهو ينكر عليهم هذه الإفتراءات ويكذبهم بها .

وقد يحمل الاستفهام على الأمر ، فمن ذلك ما ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله** ﴾ فصلت (٥٢) . حيث قال: أخبروني عن الحال ، والاخبار بالشيء مسبب لازم لرؤيته ؛ بمعنى علمه أو ابصاره ، ثم انه عبر بالاستفهام عن الأمر . (٣) .

وقد يحمل الاستفهام على التقرير (٤) ويكون بغير الهمزة كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر** ﴾ الإنسان (١) . حيث قال: والاستفهام هنا تقريري ،

---

(١) تيسير التفسير ٩١/٧.

(٢) تيسير التفسير ٢٠٣/٧ . أنظر : اقسام الاستفهام البرهان ـ للزركشي ٣٢٨/٢.

(٣) تيسير التفسير ٤٤٥/١١. الكشاف : ٦٦٨/٢.

(٤) والفرق بين التقريري والإنكاري أنك في الأول تريد تثبيت الأمر وتحقيقه ، أو تنزع اقرار المخاطب. أما في الإنكاري فإنك لا تقرر المخاطب بل تنكر عليه ، وتستهجن منه ما حدث أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل . البرهان ٢٣١/٢ ، البلاغة ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجموع . (١) وتخريجه للآية على أن فرعون رب موسى تخريج لطيف مليح فلو اكتفى به لكان خيرا له وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور** ﴾ فاطر (١٩-٢١) . يقول : وأفرد البصر وأخره للفاصلة ، ولو قال: (وما يستوي العمي والبصراء) لم تأت الفاصلة . ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وما نحن لكما بمؤمنين** ﴾ يونس (٧٨) حيث قال: قدم لكما للاهتمام بالاعراض عنه وللفاصلة .

إلا أني وجدته في أحد المواضع ينكر قضية الفاصلة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** ﴾ فصلت (٤٢) فيقول (أليم) ولم يقل شديد مع أنه أنسب بقوله : (حميد) ، وقوله : (مجيد) للإيماء إلى أن تراكيب القرآن ليست كالإسجاع والخطب، وأن حسنه ذاتي ، والنظر فيه إلى المعاني دون الألفاظ (٢).

جـ : ـ سر التعبير واختيار الكلمة : ـ

لقد بلغ أسلوب القرآن الكريم أقصى درجات الإجادة ، والإحسان ووضعت ألفاظه في خير موضعها . فلا يمكن أن تبدل بأحسن منها . وقد وقف الشيخ مع كثير من الآيات ، وأبان عن سمو تعبيرها ، وسر اختيارها ، وروعة اعجازها .

فوقف مع بعض الحروف التي جاءت في موقعها التي تقتضيه ، فمن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم** ﴾ المائدة (٥٢) . حيث قال : قال فيهم دون إليهم ؛ لأنهم استقروا في الموالاة ، وإنما يسارعون من كفر إلى كفر (٣) . وقد يختار القرآن التعبير بالماضي عن المستقبل للدلالة على التحقيق ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ المائدة (١١٩) . أي يقول الله فالماضي لتحقيق الوقوع . (٤)

ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم** ﴾ سبأ (٤١) . حيث قال: ومقتضى الظاهر يقولون فجيء بالماضي للتحقق كأنهم قد حشروا . فقالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم نواليك . أما التعبير بالمضارع عن الماضي فيكون لاستحضار الصورة أو التجدد، والتكرار . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج**

---

(١) تيسير التفسير ٢٠٢/٨.

(٢) تيسير التفسير ٤٣٥/١٠.

(٣) تيسير التفسير ١٦/٣

(٤)تيسير التفسير ٢٢٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النهار في الليل وسخر الشمس والقمر ﴾ لقمان (٢٩) . حيث قال: وذكر الإيلاج بالمضارع لتجدده ، والتسخير بالماضي ؛ لأنه أمر لا تعدد فيه ، وإنما التعدد في أثره . (١) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون** ﴾ النحل (١١) حيث قال: (ينبت) المضارع للتجدد على مر الدهور ، أو لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة . (٢) وقد يختار القرآن الكريم التعبير بالجملة الاسمية تدل على الثبوت ، والجملة الفعلية تدل على التجدد كما يقول البلاغيون . (٣) وقد أشار الشيخ إلى هذه المسألة ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ النحل (١٢٥) . حيث قال: وذكر في الكفار ضل بصيغة الفعل إشارة إلى أنهم غيروا الفطرة وبدلوها بالكفر ، وذكر في المؤمنين لفظ المهتدين وهو اسم للدلالة على أنهم استمروا على الفطرة .(٤) ومنه ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** ﴾ الحج (٢٣) . حيث قال: ومعلوم أنه لابد من اللباس لا كالحلي ، ولا ندري مم هو فقال: عزوجل : إنه حرير ، وهذا لكون الكلام جملة اسمية أدل على الثبوت لذلك ، وللفاصلة جيء بالاسمية بعد الفعلية . (٥) وقد تأتي الكلمة في القرآن مفردة أو مجموعة حسب الدواعي التي تقتضي ذلك ، فيقف الشيخ عند هذه المسألة مشيرا إليها ، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ السجدة (٩) .حيث ذكر : أنه أفرد السمع لأن أصله مصدر وهو بمعنى الأذنيين ليوافق الإبصار والأفئدة ، فإن المراد العيون والقلوب ، ولا مانع من إبقائه على المعنى المصدري كما يناسبه الإفراد ، أو أفرد لأن أصله المصدر فنقول : أفرد لذلك ويكون مدركه واحد وهو الصوت . وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فما لنا من شافعين ولا صديق حميم** ﴾ الشعراء (١٠٠ - ١٠١) . قال: وجمع الشافع لكثرته ، وأفرد الصديق لقلته . (٦) . ويقف الشيخ أحيانا مع الكلمات مبينا صلاحيتها لاكثر من معنى يتأدى بها ، فمن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره

---

(١) تيسير التفسير ١٠/١٥٤.

(٢) تيسير التفسير ٦/٤٦٨.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها ـ د. فضل حسن عباس . ص ٥٦.

(٤) تيسير التفسير ٨/٤٠٦.

(٥) تيسير التفسير ١٠/١٧٤ .

(٦) تيسير التفسير ٩/٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقوله تعالى : ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ ن (١٦) . حيث قال: وفي تسمية أنفه خرطوما . إهانة لا شتهار الخرطوم في أنف الخنزير والفيل كأنه خنزير ، فإما أنه شبه بأحدهما ، ورمز إليه بذكر لازمه ، ولا يصح أن يكون سمى أنفه بالخرطوم للشبه ؛ لأن أنفه لم يشبه أنف الخنزير ، وصح هذا في الآخرة بأن يبعث وأنفه كأنف أحدهما ، واختير الأنف لأنه عضو يذكر بالعز وكذا الوجه . فإذا وسم فيه فذلك غاية في الهوان ، واشتق منه الأنفة في المعزز، ويقال فلان شامخ الأنف ، وحمى أنفه ، وفي الدم جذع أنفه ، ورغم أنفه . (١)

ثانيا : **علم البيان : ـ**

البيان لغة : الكشف والظهور .

واصطلاحا : أصول وقواعد يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق تختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، فالمعنى واحد يستطاع أداؤه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه. (٢)

أ ـ التشبيه : عقد مماثلة بين أمرين ،أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة ، لغرض يقصده المتكلم . (٣) لقد عرض الشيخ في تفسيره لصور من التشبيه ، ومعظم الصور التي عرض لها كانت من التشبيه البليغ ؛ وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ، ووجه الشبه . (٤) فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا** ﴾ مريم (٨٦) . حيث قال: ويجوز أن يكون معنى (وردا) دواب ترد الماء على التشبيه البليغ ، وقوى التشبيه بحذف أداته ، وبذكر ما يناسبها ، إذ قال: (نسوق) ، وذلك تحقير لهم ، ولا سيما أن المورد النار لا الماء . (٥) ومنه كذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا** ﴾ النبأ (٦) حيث قال : أي فراشا ، وهذا تشبيه بليغ بسطناها مع وسعها ، وغلظها ، (والجبا ل أوتادا) وهو تشبيه بليغ (٦) .

---

(١) تيسير التفسير ٦١/١٤ .

(٢) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ٢٤٤ .

(٣) المصدر السابق ـ ٢٤٧.

(٤) المصدر السابق ـ ٢٧٠.

(٥) تيسير التفسير ١١٧/٨.

(٦) تيسير التفسير ٣٨٤/١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز : ـ هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب ، لعلاقة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الوضعي . (١) لقد اختلف (٢) في حقيقة وقوع المجاز في القرآن الكريم ، والحديث في هذه المسألة يطول ، والذي يهمنا أنه لا يمكن إنكار المجاز في القرآن الكريم ، ولكن في حدود الاعتدال . أما عن المجاز في تفسيره الشيخ ، فقد أكثر من صوره، وطرقه المتعدده، وهذا دليل على أنه من المؤيدين له بل قد يكون بالنسبة للشيخ ضرورة ملحة بحكم فكره الذي يتبناه ، والذي يلجأ إلى التأويل على نطاق واسع. ومن أمثلة المجاز التي تطرق إليها : المجاز العقلي : (٣) وهو اسناد الفعل لغير فاعله ويسمى المجاز الحكمي . والمجاز المرسل : هو مجاز لغوي استعلمت فيه كلمة في غير معناه الأصلي ، لعلاقة غير المشابهة ، مع قرينه مانعة من المعنى الأصلي. فمن النوع الأول ما ذكره عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فوجدا فيها جدار يريد أن ينقض فأقامه** ﴾ الكهف (٧٧) . حيث قال: واسناد الإرادة إلى الجدار مجاز عقلي ؛ لأن إيراده الشيء سبب لقربه ، وملزوم لقربه ، فالمراد قرب وقوع الجدار ، أو استعارة بأنه شبه قرب السقوط بالإرادة لجامع الميل ، أو شبه الجدار بالإنسان أو الحيوان الآخر، ورمز إلى التشبيه بلازم الحيوان ، أو الإنسان ، وهو الإرادة ، وفي أصول الفقه أن محمد بن داود الأصبهاني (٤) منع المجاز في القرآن ، فرد الضمير إلى الخضر أو موسى أو الجدار ، على الله خلق ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإذا عزمَ الأمرُ ...**﴾ محمد (٢١) .حيث قال : إشتد الأمر والمراد أمر القتال ، والإسناد مجاز عقلي . فإن العازم الإنسان لا الأمر . (٥) أما المجاز المرسل ، فمن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **فقالوا أرنا الله جهرة** ﴾ النساء (١٥٣) حيث قال واطلق الجهرة على مطلق الاظهار . الإظهار فهو مجاز مرسل ، لعلاقة الإطلاق والتقييد ، والمعنى أرنا اله مجاهرا إلينا (٦) وقد يلجأ الشيخ أحيانا إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز في مسألة واحدة . ومن ذلك ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات** ﴾ النور (٤١)

---

(١) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ٢٩٠.

(٢) انظر البرهان ٢/٢٥٦. الاتقان ٢/٣٦

(٣) جواهر البلاغة ٢٩٦.

(٤) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، أديب مناظر شاعر قال عنه الصفدي الإمام ابن الإمام من أذكياء العالم أصله من أصبهان وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري ـ الاعلام ـ الزركلي ٦/١٢٠.

(٥) تيسير التفسير ١٢/ ٢٥١.

(٦)تيسير التفسير ٢/٤٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعد أن ذكر طرفا من تفسير الآية ، والرؤية بمعنى العلم استعارة بالإبصار بالعين ، لعلاقة الإدراك ، أو مجاز مرسل علاقته اللزوم أو التسبب ، وقيل حقيقة في الآية ، جمع بين الحقيقة والمجاز ، إذ جمعت التسبيح بالألسنة والتسبيح بغيرها مما يعلمه الله من الجمادات ، أو من حيوانات لا تسبح بلسانها . أو جمعت التسبيح بالنطق أو بلسان الحال ، وذلك على أن من في الآية مستعملة لغير العقلاء معهم تغليبا ، ويجوز أن يراد عموم المجاز وهو الخضوع الموجود في تسبيح اللسان وغيره، وأن أريد بمن العقلاء فقط فالتسبيح حقيقي فيقدر للطير عامل مجازي ؛ أو ويسبح الطير ..(١) فالشيخ هنا ذكر رأي القائلين بالاشتراك بين الحقيقة والمجاز ثم أورد جواب القائلين بعدم وجوده دون أن يختاره وأحيانا لا يؤيد الجمع بين الحقيقة والمجاز ، بل يخرج الآية على وجوه اخرى ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ النساء (٢٩) . حيث قال: لا تردوا أنفسكم بالقتل وما دونه من مضرة أخروية كالإشراك ، فالآية من عموم المجاز للخروج عن الجمع بين الحقيقة والمجاز .(٢)

جـ ـ الاستعارة :

الاستعارة هي : استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهه بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينه صارفه عن إرادة المعنى الأصلي . (٣) وقد نالت الإستعارة في الكتاب العزيز جانبا كبيرا من تفسير الشيخ فعرض للعديد من صورها مع التصريح بأسمائها في مواضع واغفاله ذكره في مواضع أخرى . فمن أمثلة ما ذكره من الإستعارة التصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصاره غشاوة** ﴾ البقرة (٧) حيث قال: وفي (صم) استعارة تصريحية تبعية ، وفي (غشاوة) تصريحية أصلية أو استعارة تمثيلية شبه قلوبهم وأسماعهم ، وأبصارهم ، وأحوالهم المانعة من الانتفاع بأشياء معدة للانتفاع منع مانع من الانتفاع بها . (٤) ومن أمثلة الاستعارة المكنية وهي التي حذف منها ذكر المشبه به ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف** ..﴾ الروم (٥٤) . حيث قال: جعل أساس أمركم ، شبهوا بالأساس والمادة على الاستعارة المكنية (٥) . وعرض الشيخ للاستعارة

---

(١) تيسير التفسير ١٢٦/٩.

(٢) تيسير التفسير ٣٠٩/٢.

(٣) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ٣٠٣.

(٤) تيسير التفسير ١٦/١.

(٥) تيسير التفسير ١٠٨/١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهكمية ، ومن أمثلتها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فلا تجعلو لله أندادا** ﴾ البقرة (٢٢) . حيث قال: وفي تسمية الأصنام أندادا استعارة تهكمية ، لأنهم علموا أنها عاجزة لافعل لها ، ولا تشارك الله تعالى في شيء ، كما يستعار أسد للجبان ، والتبشير للوعيد، وحكمة ذلك الإشارة إلى أن عليهم ذنب ، من اعتقدها مشاركة له في صفاته وأفعاله . (١) وأما الاستعارة التمثيلية فقد أشار إليها عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾ محمد (٤) . حيث قال: واصل وزر الحمل أو الثقل ، استعير لآلات الحرب، أو شبه الحرب بإنسان حامل لشيء ثقيل ، ورمز لذلك بإثبات ما هو ثقيل على التخييل أو ذلك استعارة تمثيلية (٢) . ومنه كذلك ما ذكره عند تسيره لقوله تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا** ﴾ النحل (٧٥) فبعد أن ذكر الشيخ طرفا من تفسير الآية ، قال: والآية استعارة تمثيلية في قوله : (عبدا مملوكا) ، واستعارة تمثيلية في قوله : (ومن رزقناه) كذا قيل ، والأولى أنهما معا استعارة واحدة (٣) .

وكثيرا ما يذكر الشيخ صورا بيانية متعددة في آية واحدة ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً** ﴾ آل عمران (١٠٣) . حيث قال: شبه قبول دين الله أو القرآن ، والعمل به ، والانتفاع باحضار حبل وثيق ، والارتباط به والتوصل به إلى خير ، فذلك استعارة تمثيلية ؛ وهي أولى من استعارة الإفراد كاستعارة الحبل للعهد ، تصريحية أصلية ، القرينة الإضافة ، واستعارة الاعتصام للوثوق بالعهد تصريحية أصلية ، واشتقاق اعتصم تصريحية التبعية ، وكاستعارة الحبل ، وابقاء اعتصموا ترشيحا ، أو في الحبل مكنية ، وفي الاعتصام تخيلية، ويجوز استعمال الاعتصام مع أنه تمسك مخصوص بجسم في مطلق التوثق ، فمنه التوثق بعهد الله ، فذلك مجاز مرسل أصلي لعلاقة الإطلاق والتقييد، واشتق منها اعتصم مجازا مرسلا تبعيا (٤) .

د ـ الكناية والتعريض : ـ

لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز المعنى الأصلي ، لعدم وجود قرينه مانعة من إرادته وقد عرض الشيخ للكناية والتعريض فبين الفرق بينهما ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** ﴾ البقرة (٢٣٥) . حيث قال:

---

(١) تيسير التفسير ٣٤/١.

(٢) تيسير التفسير ٢٢٦/١٢.

(٣) تيسير التفسير ٤٩/٧.

(٤) جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ص ٣٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوحتم به من عرض الكلام، أي جانبه واللفظ حقيقة، ومنهم الملوح إليه ليس حقيقة ولا مجازا، وقيل : اللفظ غير حقيقة ولا مجازا ، كما أن الكناية كذلك ، إذا لم يرد المعنى الموضع ، كما إذا قلت كثير الرماد للجواد، حيث لا رماد له . ويقال : التعريض ، أن تذكر شيئا مقصودا بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكنائي لتدل به على شيء آخر لم يذكر في الكلام . ويقال مثل قولك : طويل النجاد كناية ، ومثل قول الفقير : ـ جئت لأسلم عليك كناية وتعريض ، فبينهما عموم وخصوص من وجه (١) . فالتعريض عند الشيخ أخص من الكناية فكل كناية تعريض .

ومن أمثلة الكناية التي أوردها الشيخ ، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأحيط بثمره ، فأصبح يقلب كفيه** ﴾ الكهف (٤١) . حيث قال: وتقليب الكفين كناية عن الندم ، لأن النادم يفعل ذلك تحسرا، يكرر جعل ما بطن من يده إلى جهة الأرض . ثم إلى جهة السماء . (٢) ومنه كذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ **وإذا خلوا عضوا عليكُمُ الأناملَ من الغيظ** ﴾ آل عمران (١١٩) . حيث قال: ولا بد أن يكون عض الأنامل كناية عن الغيظ لقوله من الغيظ إلا أن يقال : مجموع ذلك كناية ، ووجهة عض الأنامل كثير من الغضبان فجعل كناية عن الغيظ . (٣) أما التعريض : فمن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾ سبأ (٢٤) . حيث قال : والمعنى إن أحد الفريقين منا معشر المؤمنين بالله الذي هو الرزاق ، ومعشر المكذبين بالوحدانية له المتصفون بأحد أمرين التمكن على الهدى ، والانغماس في الضلا ل ، وذلك عبارة انصاف بليغة في نسبة الضلال إليهم بالتعريض من غير تصريح مهيج لهم إلى العناد . كقولك : علم الله الصادق مني ومنك . (٤) ومنه أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ آل عمران (٨٤) . حيق قال : لا كإيمان أهل الكتاب ببعض وكفر ببعض ، وتثليث والحاد بالولادة وغيرها، فالآية تعريض بهم (٥) هذا منهج الشيخ في تحليله ، وعرضه لبعض اللمحات البيانية ، والباحث يرى أن الشيخ كان يذكر في الآية أكثر من نوع من أنواع البيان عند تحليله ، ولعل ذلك راجع إلى نظر المتكلم وذوق السامع ، وليس لذلك قاعدة منضبطة يمكن أن يحتكم إليها . والشيخ فيما عرض له من أساليب البيان السابقة ، وفيما وقف عنده من أمثلة ، نراه استعملها استعمالا عاما

---

(١) تيسير التفسير ٣٧٢/١ ، انظر تفسير الزمخشري ٢٨٢/١ وما بعدها .

(٢) تيسير التفسير ٣٩٩/٧.

(٣) تيسير التفسير ١٥٣/٢ .

(٤) تيسير التفسير ٣٧٥/١.

(٥) تيسير التفسير ١١٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شمل جميع أضراب البيان ، ولم يكن دقيقا في تفريقه بين هذه الأساليب ، وقد جرت العادة في العربية أن يميز بين هذه المتشابهات، ثم إنه يبدو على الشيخ تكلف ظاهرٌ في تحليلاته وعرضه.

ثالثا: علم البديع : ـ

والبديع علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال (١) لقد حفل الشيخ أطفيش بضروب البديع والمحسنات في ثنايا تفسيره ، ومن الأمثلة التي ذكرها المشاكلة : ـ وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، (٢) فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا** ﴾ الزمر (٧٣) . حيث قال: ومعنى سيق : زف كزف العروس ، ولكن عبر بسيق لمشاكله سيق السابقة ، ولا تتوهم الإهانة هنا ؛ لأن كون السوق إلى الجنة يدفع توهم الإهانة ، والإسراع إلى الجنة إكرام ، (٣) .

اللف والنشر : وهو أن يذكر عدة أشياء متعددة ، ثم يذكر لكل واحد منها ما يناسبه ، وما يتصل به اعتمادا على تمييز المخاطب ، ومن أمثلته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدي أو في ضلال مبين** ﴾ سبأ (٢٤) . فبعد أن ذكر شيئا من تفسير الآية قال: وقال أبو عبيدة : وإن الكلام لف ونشر مرتبان فقوله تعالى : ﴿ **لعلى هدى** ﴾ راجع إلى (وإنا) (أو في ضلال) إلى قوله (إياكم) ، ولا بعد (٤) فيه .

الجناس : هو تشابه لفظين في النطق واختلافها في المعنى وهو قسمان : جناس تام ، وجناس غير تام ، فمن أمثلة الأول ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ الروم (٥٥) . حيث قال: وبين الساعة وساعة جناس مماثل ، ولو اختلفا اعرابا ، وتعريفاً . وتنكيراً ، ولو اتحد مدلولهما في الأصل . وهو المدة الزمانية لاختلافها في القصد . (٥) ومن أمثلة الثاني : ما ذكره من التجانس بين لفظتي يوسف والاسف في قوله تعالى : ﴿ **يا أسفا على يوسف** ﴾ يوسف (٨٤) أسلوب الحكيم : وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه (٦) . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق**

---

(١) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي ٣٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٥.

(٣) تيسير التفسير ٣٠٨/١١.

(٤) تيسير التفسير ٣٧٥/١٠. الإتقان ٩٥/٢ ، جواهر البلاغة ٣٧٦.

(٥) تيسيير التفسير ١١٠/١٠.

(٦) جواهر البلاغة ٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ يس (٥٢) . قال: أو هو جواب على غير ما سألوا عنه لأن غيره أحق بالسؤال ، ويسمى الأسلوب الحكيم . وأحيانا يذكر الشيخ عدة صور من المحسنات في آية واحدة ، فمن ذلك ما أشارإليه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع** ﴾ هود (٢٤) . (١)حيث قال: صفتهم الشبيهة بالمثل في الغرابة ، والعجب كمثل الأعمى والأصم ، والكافرون كالأعمى وكالأصم ، والمؤمنون كالسميع وكالبصير ، كل فريق شبه باثنين فذلك أربع تشبيهات ، وفي الآية لف ونشر لا مرتبان ، ولا معكوسان لا جمالهما في الفريقين كالاجمال في ﴿ **وقالوا كونوا هودا أو نصارى** ﴾ البقرة (١٣٥) ولو قال مثل الكافرين ، والمؤمنين لكان مرتبا وفي الايه انطاق مرتين وهو الجمع بين متقابلين بالتضاد اذ جمع بين الأعمى والبصير ، وجمع بين الأصم والسميع ، وفيها مقابلة وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين وأكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، وهو داخل في الطباق وأخص منه ، وفيها تشبيه مركب (٢) .

-

(١) تيسير التفسير ٢/ ٥٨.

(٢) تيسير التفسير ٥/٣٩٣ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثامن

منهجه في الأحكام الفقهية

المبحث الأول :

عرضه لبعض قواعد أصول الفقه

المبحث الثاني :

عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

المبحث الثالث :

موقفه من المسائل الخلافية المذهبية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد : ـ

من أبرز المقومات العلمية التي حفلت بها شخصية الشيخ محمد أطفيش ، وانعكست على تفسيره فقهه، فقد ظهر الشيخ في هذا التفسير فقيها متضلعا ، محيطا بالمذاهب ، ذا قدم راسخة بأقوال الفقهاء وآرائِهم ، قادرا على الإفادة والاختيار ، كيف لا ومؤلفاته في هذا المجال كثيرة ، وتعد مرجعا فقهيا وافيا في المذهب الإباضي ؛ بل هي عمدة المذهب ، صنفها الشيخ لتكون في متناول حاجات الإباضيين .

أما بالنسبه إلى الخلاف بين الإباضية وأهل السنة فالحق أنه ليس هناك خلافات فقهية جوهرية بارزة تذكر بين أهل السنة والإباضية ، ولعل ذلك راجع إلى توحيد مصادر التشريع عند كلتا الطائفتين ، وهي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس. يقول علي يحيى معمر : (مصادر التشريع عند الإباضية هي : القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، والاستدلال، ويدخل تحت الاستدلال الاستصحاب والاستحسان، والمصالح المرسلة ، وقد يطلقون على الإجماع والقياس والاستدلال كلمة (الرأي) ، ثم ذكر بعض المسائل الأصولية التي تقول بها الإباضية منها : أن الإجماع القولي حجة قطعية ، والإجماع السكوتي حجة ظنية ، وحديث الآحاد يفيد العمل ولا يفيد العلم ، ويحتج في العقائد) (١) . وقد أشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى جهود الإباضية في هذا المجال ، فقال: ولهم فقه جيد ، وفيه علماء ممتازون ، ولهم آراء فقهة ، اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم) . (٢). والإباضية يتمسكون بمذهبهم ويرون أنه من أقدم المذاهب الفقهية نشأة وتأسيسا .ودراستي لهذا الفصل ستنتظم المحاور التالية :

أولا : بيان الشيخ لبعض قواعد أصول الفقه .

ثانيا : عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

ثالثا : موقفه من المسائل الخلافية المذهبية .

المبحث الأول : بيانه لبعض قواعد أصول الفقه : لقد أشار الشيخ ـ رحمه الله ـ لأصول الفقه في تفسير ه ، فذكر كثيرا من قواعده ، وأدلته ، سواء كانت مستنبطة من الآية التي يفسرها، أو أن الآية كانت مثارا لتقرير تلك القاعدة .فمن ذلك ما ذكره عند

---

(١) الإباضية مذهب إسلامي معتدل تأليف الشيخ علي يحيى معمر ص ٣٠.

(٢) المذاهب الإسلامية . ٩١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام..**﴾ البقرة(١٩٨) . حيث قال... والإفاضة من عرفات واجبة ؛ لأن الأمر المجرد للوجوب، وهو لا يتم إلا بالكون في عرفات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وهو ظاهر بلا تكلف عندي . (١) وعند بيانه للأشياء هل الأصل فيها الحل أم الحظر ؟ . قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة..**﴾ النحل (٨) . والأصل في الأشياء قبل النزول الحل إلا ما تبين. (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ولو أنزلنا ملكا لقُضي الأمر ثم لا ينظرون** ﴾ الأنعام (٩) . قال: لا يُؤخرون أقل من لحظة لتوبة ، أو معذرة ، أو رحمة ؛ لأن الاختيار قاعدة التكليف (٣). ومن القضايا الأصولية التي ذكرها وكررها ، وخرج برأي مستقل عن رأي الإباضية ـ كما يرى (٤) ـ قضية شرع من قبلنا ، هل هو شرعا لنا ؟ . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ البقرة (٢١٧) . قال: والمذهب ـ يعني الإباضي ـ أن شرع من قبلنا ليس شرع لنا ، والذي عندي أنه شرعا لنا ، وأنه يقوم على الاجتهاد. ما لم ينافه القرآن أو الحديث أو الاجماع بدليل راجح ، ولا خلاف في أنه ليس شرعا إذا صرح في ذلك بخلافه ، ولا يصح أن شيئا شرع لمن قبلنا، إلا إن ذكر عنهم في القرآن أو الحديث أو الإجماع أو رواه ثقة أسلم منهم .

---

(١) تيسير التفسير ٣٠٣/١.

(٢) تيسير التفسير ٤٦٢/٦.

(٣) تيسير التفسير ٢٤٢/٣.

(٤) الذي اطلعت عليه في مصادر الإباضية، ينص على أن شرع من قبلنا شرع لنا ، خلافاً لما قال الشيخ. . ومسألة شرع من قبلنا مسألة أصولية اختلفت فيها الآراء . وملخصها : أن الأحكام الشرعيه التي نص عليها القرآن أو السنة حكاية عن الأمم السابقه، وأقرها الله علينا فهي واجبة الاتباع مثل الصوم . أما الأحكام التي ورد فيها نص عن الأمم السابقه ثم نسخت عندنا، فقد اتفقوا على أنها ليست حكما شرعيا مثل قتل النفس للتوبه ، أما إذا جاء نص ولم يرد ما يدل على إلغائه مثل (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) سورة المائدة (٤٥) . فهنا اختلف العلماء باعتبارها مصدرا تشريعياً على قولين : ١ـ أنها حجة ويجب اتباعها قال بذلك الحنفية ، والحنابلة ، وبعض الشافعيه. ٢ـ ليس شرعا لنا ، ولا حجة علينا ، وهو قول الشافعي ، وبعض الأصولين. والذي يبدو – والله أعلم ـ أن العبادات وكيفيتها التي شرعت لمن قبلنا كانت لهم خاصه، (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) ، الحج(٦٧) . أما أصول العقيدة فهي مشتركة بين جميع الأديان ، ،يصدق ذلك حديث (الأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) . قال ابن حجر : ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد ، وإن اختلفت فروع الشرائع . فتح البارى ٥٥١/٦. كتاب الأنبياء ، رقم الحديث (٣٤٤٣). أنظر في هذه المسأله : الأحكام في أصول الأحكام ـ الآمدي ، ط القاهره ، ص ١٢٣ ـ١٢٥ ، أصول الفقه محمد أبو زهرة ، ص ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: عرضه لآراء الفقهاء وموقفه منهم .

يقوم منهجه في مثل هذه القضايا على بسط آراء فقهاء الصحابة ، والتابعين . إلى جانب آراء الفقهاء من أصحاب المذاهب ، أمثال : الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، الحنبلية ، والظاهرية ، وغيرها. وهو إذ يقوم بذلك لا ينسى أن يذكر مذهب الإباضية ، ويرجحه في أغلب الأحيان، ويحاول أن يدعم ترجيحه بأدله من القرآن الكريم ، والسنة النبوية سواء كانت قولية أو فعلية أو تقريرية ، أو ببحث لغوي . وفيما يلي بعض الأمثلة التي تلقي الضوء على موقفه من القضايا الفقهية المبثوثة في تفسيره: فما أشار إليه من آراء الصحابة والتابعين ، ما ذكره عند بيانه لمعنى الذكر ، والأيام المعدودات ، عند تفسير ه لقوله تعالى : ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات** ﴾ البقرة (٢٠٣). حيث قال: ـ وقال البخاري (١)عن ابن عمر أنه كان يكبر بمعنى تلك الأيام ، وخلف الصلوات، وعلى فراشه ، وفي فسطاطه، وفي مجلسه ، وفي ممشاه في تلك الأيام جميعا، يعني يوم النحر وثلاثة الأيام بعده المراده عندنا في قوله تعالى : ﴿ **في أيام معدودات** ﴾ ذلك التكبير ، وسائر الذكر في تلك الأيام مستحبان عندنا يعني الإباضية ، وعند أبي حنيفة ، إلا عند ذبح القرابين فعنده وجب التكبير ، وعندنا مستحب . والمراد بالأيام ما يشمل الليالي ، وعن ابن أبي ليلي : الأيام : يوم النحر ، ويومان بعده . قيل : وهو وهم ، ونسب لعمر وعلي ، والمشهور عنهما ، وهو قول : ابن عباس ، لا يلزم الوهم ، ولعله خص مزيد التأكيد في ذلك بالحج ، والواجب عند القائلين به في الحج ، هم الظاهرية . (٢) وهناك مسائل تناولها الشيخ وأفاض فيها ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأتمرا الحجَ والعمرة لله فإن أُحصِرتم فما استيسر من الهدْي** ﴾ سورة البقرة آية (١٩٦). حيث قال ما ملخصه :(وأتوابهما تامين بشروطهما وأركانهما لا تقطعوهما ، ولا تكدروهما بشي ء ، والأمر للوجوب ، فهما واجبان ذاتا وتماما ، وإن قرئ برفع العمرة ،فالمعنى : والعمرة ثابته لله على وجه الوجوب ، والعمرة واجبة ويدل للوجوب أيضا ، وأتموا الحج والعمرة ، والقائل بعدم وجوبها يقول : الآية أمر بإتمامها بعد الدخول فيها ، وكل نفل يجب إتمامه بعد الدخول فيه صحيحا ، فالحج واجب لقوله تعالى : ﴿ **وللّه على الناسِ حِجُ البيت** ﴾ آل عمران (٩٧) . كالصيام وجب بقوله تعالى : ﴿ **كُتب عليكم الصيام** ﴾ البقرة (١٨٣) ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ ، أمر بإتمامه والعمرة نفل لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قيل له : العمرة واجبة يا

---

(١) رواه البخاري في كتاب العيدين باب التكبير أيام منى ٥٣٤/٢.

(٢) تيسير التفسير ٣٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسول الله ؟ قال: لا ، ولكن أن تعتمر خير لك)(١) ، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، (الحج جهاد والعمرة تطوع) (٢) فالحديث بيان للآية لا نسخ ، فضلا عن أن يقال الحديث لا ينسخ القرآن ، فأقول نسخ هذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : العمرة داخلة في الحج إلى يوم القيامة ، ولا يضرنا إحتمال أن وجوبها تبع لوجوب الحج ، أو يصح بها الحج ولو نفلا و وقد قيل لعمر : وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فأهللت بهما جميعا، بالفاء ، فقال: هديت لسنة نبيك ، فلم يقل له عمر لم تفرض العمرة ، ولا يحتمل مع الفاء أن يقال وجبت عليه بالشروع ، ورواية إسقاط الفاء تبينها رواية الفاء ، وعنه صلى الله عليه وسلم : الحج والعمرة واجبان لا يضرك بأيهما بدأت ، فيجمع بين الروايات بأنها غير واجبة استقلالا كما وجب الحج ، وواجبة على مريد الحج أن يعتمر معه ، قبله ، أو بعده ولو كان الحج نفلا ، ومن أحرم لحج نفل أو عمرة وافسده أو أفسدها أتمه أو أتمها ، وأعاده أو أعادها، والحق أن الصحابي حجه ، خلافا للشافعي .. (فان أحصرتم) ؛ أي منعتم عن الإتمام بعدو أو مرض أو غيرهما ، وأصل الآية في العدو فقط لقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ . فيقاس علها غيره، هذا مذهبنا ، ومذهب أبي حنيفة ، ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم : (لا إحصار الامن مرض ، أو عدو أو أمر حابس) ، وهو عموم ، وروى عنه بعض الصحابه من أحرم بحج أو عمرة ثم حبس عن البيت بمرض جهده أو عدو حبسه ، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي ، وأهل عمر بن سعيد بعمرة فلسع ، فقال ابن مسعود : ابعثوا بالهدي ، واجعلوا بينكم وبينه يوم أمارة ، فإذا كان ذلك فليحل ، وخص مالك ، والشافعي الحكم بحصر العدو . لقوله (فإذا أمنتم) ، وقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو ، ويعترض بالحديث المرفوع قبل هذا ، وليس ضعيفا.

قيل لأنه روي من طرق مختلفة ، وإن شرط الحاج محلي حيث حبستني فلا هدى عليه إن حبس بعدو أو غيره ، لقوله صلى الله عليه وسلم لضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، حجي واشترطي ، وقولي : محلى حيث حبستني يا الله ، والأصل أنه لا يختص هذا بها بل

---

(١) رواه الترمذي في كتاب باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا رقم الحديث (٩٣١) ٢٦١/٣ وقال حديث حسن صحيح ، قال المحقق لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة غير الترمذي .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب المناسك باب العمرة رقم الحديث (٢٩٨٦) قال المحقق : في اسناده ابن قيس المعروف (بمندل) ضعفه أحمد وابن معين ٩٩٥/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو لها ولغيرها عند أحمد ، وأحد قولي : الشافعي ، والحديث حجه لنا ، ولأبي حنيفه : أن غير العدو كالعدو في الآية ، والعمرة كالحج. فما (استيسر من الهدى) فالواجب ما استيسر أو فعليكم ما استيسر من شاة ثنية أو بقره أوبعير ، قال ابن عباس: وما عظم فهم أفضل ، وعن ابن عمر الهدى بقرة أو جزور ، ولا تكفي الشاة. (**ولا تحلقوا رؤوسكُم حتى يبلغ الهدى مَحِله**). وهو موضوع حلول المعهود ، وهو منى ، أيام منى ، أو الحرم مطلقاً ، ولو قبل أيام منى. وعندنا وعند أبي حنيفة يوقت لذبحه ، وعند أبي حنيفة ولو كان حاجا فبالحرم متى شاء ، وعند أبي يوسف ، ومحمد في أيام النحر ؛ وإن كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عنده وعندهما ، وقال الشافعي ينحر حيث أحصر ، ولو في الحل ، فمحله عنده موضوع حلول الحصر ، ويتقوى مذهبنا بقوله حتى يبلغ ، وعلى المحصر للحج أو العمرة أو كلاهما من قابل ، كما تقضى الصلاة ، والصوم ، وكما اعتمر صلى الله عليه وسلم من قابل ، وهكذا شأن النفل إذا دخل فيه صحيحا ، واحتج الشافعي في عدم وجوب القضاء بأن الله لم يذكر القضاء ، قلت : يلزم عليه أن لا يلزم قضاء ما وجب من حج أو عمرة إذا أحرم به ، وأحصر عنه ، ولا قائلا بذلك ، وإنما لم يذكر لأن المقام لشأن الإحصار ، لا لبيان كل ما يجب عليه ، ووجه اللزوم أن الآية في الإحصار مطلقا لا في الإحصار عن النفل خاصة واحتج الشافعي في أن النحر حيث حل بالحبس ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحر حين حبس في الحديبية ، وهي من الحل ، كما قال مالك ، فأجيب بأنها من الحرم كما قال الزهري عن رسول الله صلى الله وسلم . أن الحديبية من الحرم ، فقال لذلك ـ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه بالحرم ، وبه قال أبو حنيفة ، وصحح أرباب الحديث أنها من الحل ، ويجمع بأنها في طرف الحرم كما قال الواقدي علي تسعة أميال من مكة . (٢)

وهكذا أطال الشيخ محمد أطفيش ـ رحمه الله ـ ، وأفاض في ذكر الفروع الفقهية المتعلقة بهذه الآية ، ودخل في تفصيلات فقهية حتى استغرقت معه عدة صفات ، وأصبح القارئ يحس وكأنه مع كتاب في الفقه المقارن أو موسوعة فقهية ، ولو أن الشيخ اقتصد في

---

(١) تيسير التفسير ١/٢٨٧ ـ ٢٩٠.

(٢) تيسير التفسير ١/٢٨٧ ـ ٢٩١ ، انظر الخلاف في هذه المسائل : كتاب الام لمحمد الشافعي دار الشعب ١١٣/٢ المحلى لابن حزم مكتبة الجمهورية العربية مصر ٣/٧، تفسير القرطبي ٣٦٨/٢، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي المكتبة التجارية ٢٧٥/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرضه لمثل هذه المسائل بالقدر الذي تتضح به الآية لكان ذلك أجدى وأنفع ، ففي ظنّي أن طالب التفسير ليس بحاجةٍ إلى مثل هذه الإفاضة، أو هذ ا الاستطراد. والشواهد التي عرضتها بعضا من شواهد لا تحصى .

نصرة الشيخ لآراء بعض المذاهب : لقد لاحظت من خلال قرأتي لهذا التفسير توافق رأي الإحناف مع رأي الإباضية في مسائل فقهية كثيرة وكم لقي رأي الإحناف الرضا والقبول من الشيخ أطفيش، فكثيرا ما ينتصر لرأيهم ؛ لأنه يوافق مذهب الإباضية بل إنه صرح بذلك ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإنّ طلّقها فلا تحلُ لـه من بعدُ حتى تَنكح زوجا غيره** ﴾ البقرة (٢٣٠) فبعد أن عرض لآراء الفقهاء في مسألة الرجوع ، قال عن أبي حنيفه ؛ وهو كثير الوفاق بينه وبيننا معاشر الإباضية الوهبية في المسائل (١) وكثيرا ما يردد ابن اطفيش هذه العبارات ، وعندنا وعند أبي حنيفه ، ومذهبنا ومذهب أبي حنيفه ، وقول أبي حنيفه هذا موجود أيضا في المذهب.ومن أمثلة انتصاره لمذهب الاحناف ما ذكره عند بيانه لحكم السعي بين الصفا والمروة ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إنّ الصفا والمروةَ من شعائرِ الله** ..﴾ البقرة(١٥٥) . فذكر قول مالك والشافعي : أنه ركن من أركان الحج فلا يصح الحج بدونه ، ويبطل بتركه. وذكر رواية عن الإمام أحمد أنه سنة غير واجب ، ورد هذا القول . وذكر رأي الاحناف أنه واجب وليس بركن ، إذا تركه وجب عليه دم . ثم قال : ولا حجة لمن قال بأنه غير واجب ، وهذا مذهبنا ، ومذهب أبي حنيفة . (٢) والأمثلة على ذلك كثيرة . وبالرغم من ذلك فإنه أحيانا يقف مع أبي حنيفة في بعض آرائه ويخالفة . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** ﴾ البقرة (٢٦٧) ذكر أنواع الحبوب التي تجب فيها الزكاة ، ثم قال: وأخطأ أبو حنيفة إذ أوجبها في كل ما أنبتت الأرض ، ولو بقولا ،وبطيخا ولو قليلا.(٣) وأحيانا ينتصر الشيخ أطفيش لمذهب الشافعي حين يوافق قوله قول الإباضية : فعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح** ﴾ النساء (٦) قال: حد النكاح ، وهو البلوغ بإحدى علامات البلوغ، فإن لم تكن فخمس عشرة سنة عندنا ، وعند الشافعية، وأقيمت عليه الحدود،وزعم أبو حنيفة أن مدة البلوغ للذكر ثماني عشرة سنة ،

---

(١) تيسير التفسير ١/٣٥٧.

(٢) تيسير التفسير ١/٢٢١.

(٣) تيسير التفسير ١/٤٣٦ انظر تفسير القرطبي ٣/٣٢٢ ، نيل الأوطار ٤/١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأنثى سبع عشرة، وله قول كقولنا تُفتي به الحنفية .(١) وقد يوافق قول الإباضية قول المالكية فيذكره ، ومن ذلك ما أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ما كان لهم أن يَدخُلُوها إلا خائفين** ﴾ البقرة (١١٤) . حيث قال: ولا يجوز عندنا أن يترك مشرك أن يدخل مسجدا ، إلا إن لم تقدر ، وذلك قول مالك لقوله تعالى : ﴿ **إنمّا المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام** ﴾ التوبة (٢٨) . والمساجد كلها مثله في التطهير من الأنجاس فهي مثله في الحرمة (٢) . وكثيرا ما يقف الشيخ مع مذهب الظاهرية .الذي يقوم على أساس العمل بظواهر الكتاب والسنة . فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأتَ القرآنَ فاستَعذْ بالله من الشيطانِ الرجيم** ﴾ النحل (٩٨) قال: آردت قراءة القرآن فالإستعاذه قبل القراءة ، أطلق المسبب وهو القراءة على السبب ، وهو الإرادة ، أو إذا شارفت قراءة القرآن . وقالت الظاهرية : بعدها للفظ الآية، ولا يقدرون الإرادة وهو خطأ فاحش .. ، فعن نافع عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، والحديث يفسر القرآن ، وبالعكس ويستعاذ للقراءة في الصلاة وغيرها وزعم البعض أنه وجوبا على الصحيح ؛ لأن الأمر للوجوب.، وقيل استحبابا ، ونسبه قومنا للجمهور .. (٣) وقد يخالف الشيخ ما عليه أصحابه وأهل مذهبه . إلا أن هذا منه نادر، وقليل ، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فعِدةٌ من أيام أُخر** ﴾ البقرة (١٨٥) . حيث قال : فعليه صوم عدة إذا أفطر ، أو يُقدر فأفطر عقب قوله أو على سفر، وكذلك عليه عدة الشهر إن أفطره كله إن كان تسعة وعشرين قضى تسعة وعشرين فقط ، ولو بدأ القضاء من أول شهر وكان فيه ثلاثون فلاتهم ، فإنما عليه قضاء شهر رمضان الذي خوطب به ، فإذا كان من تسعة وعشرين لم يزدد ، والآية حجة لي ، وذكر بعض أصحابنا (يعني الإباضية) ، وبعض قومنايعني أهل السنة أنه إن بدأ من أول الشهر أتمه زاد على رمضان أو نقص، وبعض إن نقص أتمه . (٤) . . وأحيانا يذكر الشيخ الخلاف الذي يقع بين علماء المذهب الإباضي ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أو الطِفل الذين لم يَظهروا على عوراتِ النساء** ﴾ النور (٣١) . قال: وفي المراهق في المذهب قولان : بعض يحكم عليه بحكم البالغ ، وبعض لا يحكم عليه به وهو الصحيح .

ثانيا: موقف الشيخ من الأئمة الأربعة: لقد حمل ابن أطفيش على أئمة المذاهب الأربعة ، وسلقهم بعبارات لا تليق أسبغ الله رحمة على الجميع . فمثلا عند تفسيره لقوله

---

(١) تيسير التفسير ٢٦٥/٢ انظر تفسير القرطبي ٣٥/٥.

(٢) تيسير التفسير ١٦١/١ انظر تفسير القرطبي ٧٨/٢ وما بعدها

(٣) تيسير التفسير ٨٧ وما بعدها ، انظر تفسير القرطبي ١٧٥/١٠.

(٤) تيسير التفسير ٢٦٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زُبرا كل حزبٍ بما لديهم فرحون** ﴾ المؤمنون(٥٣).قال: (كل حزب) من أولئك المتقطعين (بما لديهم) من الأمر الذي اختاروه معجبون به أخطأوا واعتقدوا خطأهم صوابا . وذلك أقبح شيء ، ودخل بالمعنى في الآية كل مذهب زائغ ، وإنما يقبل الله المذهب الخالي عن البدعة ، وقد كان الناس لايعرفون إلا القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والاجتهاد، لمن تأهل له ، ثم كانت المذاهب والتقليد، وإنما ظهر بعضها في آخر القرن الثاني ، فإن عمر مالك عام واحد (١) ، حين مات إمامنا جابر بن زيد ، إذ مات عام ستة وتسعين ، ومالك ولد عام خمسة وتسعين ، ومات عام وتسع وسبعين ، وعمر أبي حنيفة حين مات جابر خمسة عشر عاما ؛ لأنه ولد عام ثمانين من الهجرة ، ومات عام مائة وخمسين ، ولا وجود للشافعي وأحمد في زمان جابر ، لأن الشافعي ولد سنة مائة وخمسين ، ومات سنة أربع ومائتين ، وأحمد سنة مائة وأربع وستين ، ومات عام مائتين وواحد وأربعين . وما ظهر مذهب مالك في المغرب إلا سنة أربعمائه وخمسين بعد دخول العرب المغرب ، وقبل ذلك كان مذهبه في الحجاز ، وانتشر مذهب الأوزاعي في أواسط المادة السادسة إلى أندلس ، ودخل من أهل مذهب مالك أندلس يحيى بن يحيى ، ويحيى بن بكر ، وفرغوس، ولم يعبأ بهم أحد إلا المرابطون ، وأحكامه مهجورة في أندلس ، وقد هرب الشافعي الى مصر خوفا من القتل ، أو العذاب ، وقيد المأمون أحمد وضربه حتى غاب عقله، ومات في سجنه، فعل ذلك بهم لقولهم بالرؤية ، وقدم القرآن ، فأين الاتفاق على هؤلاء الأربعة ، وقيل في هؤلاء الأربعة غير ما مر... (٢) هذه التهم التي رمى بها الشيخ ـ عفا الله عنّا وعنه ـ فقهاء الإسلام ، لا تليق من مثل الشيخ بمثل هؤلاء الأعلام ، وإنما هي تمثل طرفا من مظاهر اعتزاز الشيخ بمذهبه ، وقسوته على أئمة المذاهب ، والتهوين من فقههم . وإذا كان أئمة المذاهب يمكن أن يدخلوا تحت معنى هذه الآية على حسب زعم الشيخ ؛ فإنه يستلزم منه كذلك دخول الإمام جابر بن زيد ـ فيهم ، فكأن الشيخ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ؛ فطريقة فقه الإمام جابر بن زيد لا تختلف عن غيرها من طرق بقية المذاهب. ويمكن أن نسأل الشيخ ، هل يمكن أن يدخل أئمة المذاهب تحت معنى هذه الآية وأن يُخصوا بالذم ؟ وأحسب أن الإجابة لا تحتاج إلى دليل ، فالآية واضحة الدلالة على أنها في غير المسلمين كما نص على ذلك شيخ المفسرين الإمام ابن جرير ، حيث قال عند تفسيره لهذه الآية (فَتَفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى

---

(١) والعجيب من الشيخ أنه يروي لنا قصة يذكر فيها أنه قيل لجابر بن زيد إن مالك بن أنس راى الهلال وحده في جملة الناس فقال امسحوا حاجبيه فمسحوهما .... !! ١٠/٢٠١ .

(٢) تيسير التفسير ٩/٣٣-٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإجتماع على الدين الواحد، والملة الواحدة ، دينهم الذي أمرهم الله بلزومة زبرا كتبا ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة ، وكذبوا بحكم الإنجيل ، والقرآن ، وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم ، وكذبوا بحكم الفرقان وعن مجاهد(كل حزب بما لديهم فرحون) ، وهؤلاء أهل الكتاب (١) وقد صرح الشيخ محمد أطفيش بذلك عند تفسير ه لأول الآية، حيث قال: (فتقطعوا) بسبب كفرهم فصاروا أديانا مختلفة . (٢)

ثم إن أصحاب المذاهب الأربعة هم صفوة الناس في جيلهم ، تمتعوا بشخصيات فريدة، تفرض احترامها على الآخرين ، ومهما اتسعت واختلفت وجهات النظر ؛ فالأمر لا يعدو مجال الاجتهادات الفقهية ، ومن الثابت أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اجتهدوا في عصره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأذن لهم في ذلك ، وهذا منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إرشادٌ لأمته على ضرورة الاجتهاد مهمااختلفت الأزمان ، كيف لا والأحكام التي تضمنها الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، فيها نصوص تحتمل إختلاف الأفهام ، وفيها قواعد كلية بحاجة إلى تفصيل وبيان ، فهذه القواعد ، وتلك الأحكام هي التي خصها أئمة المذاهب بالبحث والدراسة والفقه، ولا فقه إلا باجتهاد، والإجتهاد عندنا واجب كفائي في كل عصر ، فإذا لم يقم به أحد أثم المسلمون جميعا في ذلك العصر.ثم إن الصحابة كان عددهم كثيرا ، فهل كانوا جميعا فقهاء يستنبطون من نصوص الكتاب والسنة ؟ ، أم كان منهم المجتهد ، ومنهم المقلد، ومنهم المكثر ، ومنهم المقل ! والتابعون كذلك. والفقهاء على مدار التاريخ الإسلامي كثر ، ولكن أئمة المذاهب اعتنى بهم تلاميذهم ودونت آراؤهم، وهم جميعا على اختلاف طرقهم في الاستنباط رائدهم الحق والوصول إليه ، ولا يرى الواحد منهم غضاضة في الرجوع عن قوله ، إذا تبين له وجه الصواب في غيره، فاقوالهم ليست وحيا . أما ما قاله الشيخ محمد أطفيش عن انتشار المذهب المالكي في الأندلس ، فلنستمع إلى ما يقوله الشيخ أبو زهرة عن انتشار هذا المذهب ، حيث قال: (وفي الأندلس كان المذهب المالكي صاحب السلطان وقد قالوا: إن أهل الأندلس أخذوا بمذهب الأوزاعي الذي كان فقيه الشام أمداً ، حتى جاء المذهب المالكي فاستولى عليها ، ولقد استوثق المذهب بسلطان الدولة عندما ولي القضاء يحيى بن يحيى الذي كان مكينا عند أميرها، فكان لا يوالي إلا من فقهاء ذلك المذهب ، وقد قال ابن حزم الأندلسي

---

(١) تفسير الطبري ١٨/٢٣-٤.

(٢) تيسير التفسير ٩/٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك : مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة ، والسلطان ؛ الحنفي بالمشرق ، والمالكي بالأندلس (١) . وذكر القاضي عياض : أن أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك هو زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشيطون ، والذي أخذ العلم على يد الإمام مالك ، توفي سنة (١٩٣ =٨١٨ هـ) . (٢) أما ما عبر عنه الشيخ بالهروب إلى مصر بالنسبة إلى الإمام الشافعي ، فالشافعي لم يلق عصا الترحال منذ نشأته، واستفاد من ذلك خبرة وعلما ، ولم يقم الشافعي في بغداد طويلا خاصة في عهد المأمون. وأما عن سبب خروجه من بغداد إلى مصر ؛ فيوضحه لنا الشيخ أبو زهرة حيث يقول ما ملخصه : في سنة (١٩٨) هـ ، آلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد، وصارت الغلبة للعنصر الفارسي ، وما كان بهذا القرشي أن يرضى المقام ثم إن المأمون كان من المتكلمين فأدنى إليه المعتزلة ، واعتبر نفسه منهم ، والشافعي ينفر من المعتزلة ، ومناهج بحثهم ، فما كان لمثل الشافعي أن يرضى المقام معهم ، فلا بد من الرحيل إلى بلد آخر ، فوجد بغيته في مصر ؛ لأن بها تلاميذ مالك ، وإقامة الليث بن سعد ، ولأن واليها قرشي عباسي . وقد قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : كان سبب قدومه إلى مصر ،أن واليها العباس(٣) بن عبد الله بن موسى بن عباس وفرض له الوالي عطاء .. . أما ما رمي به الإمام أحمد في محنته في خلق القرآن ؛ فإنه من المعلوم أن الإمام أحمد ممن يكره علم الكلام ومسائله ، ولكنه أجبر عليه إجباراً ، وصبر في سبيل الدفاع عن الحق ، وتحمل الضرب بالسياط ، والأغلال بالأصفاد ، واستهان بكل ذلك ، ولم تلن له قناة حتى هيأ الله له من أكرمه سنة (٢٣٤) ، وأخرجه من السجن ، وتوفي خارجه سنة (٢٤١ هـ) ، وشيعته بغداد كلها تقديرا لعلمه، وتكريما لسنة رسول الله ، وعلم السلف الصالح الذي كان يجمعه ذلك الإمام الجليل) (٤) . وأخيرا فإن من النصف في القول ان نقول : إن هؤلاء الأئمة أوقفوا أنفسهم للعلم والتعلم، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ، وتحملوا في سبيل ذلك ما تحملوا . فلا يجب الظن بهم إلا خيرا . وخطاؤهم في الاجتهاد لا يبيح النيل منهم ، أو التشفي بهم ، وحق على كل مسلم ألا يخرج من سعة الإسلام ويسره إلى قوالب ضيقة يصهر فيها نفسه ،

---

(١) محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية محمد أبو زهرة ٢٤٢.

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض مطبعة الشمال الافريقي الرباط ١٢٢/٣ وقد فصّل في كيفية دخول المالكية إلى الأندلس.

(٣) محاضرات في تاريخ المذاهب ٢٥٨-٢٦٠.

(٤) المصدر السابق ٣٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلماء على أن المتعه حرام (١). وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان : لو سلمنا تسليما جدليا أن الآية تدل على إباحة نكاح المتعه ، فإن إباحتها منسوخه كما صح نسخ ذلك في الأحاديث المتفق عليها (٢).

الزواج من الكتابيات :-

لقد عرض الشيخ لهذه المسألة وناقشها مناقشة علمية هادئه ، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **ولا تنكِحوا المشركاتِ حتى يؤمن** ﴾. سورة البقرة آية (٢٢١) . حيث قال ما مجمله : لا تتزوجو أيها المؤمنين (المشركات) ، ولو كتابيات ذميّات ، جروا على تحريم الكتابيات الذميات كغيرهن ، ثم نزل نسخ تحريمهن ، بقوله تعالى ﴿ **والمحصناتُ من الذين أُوتوا الكتاب** ﴾ سورة المائدة آية (٥) ، وبقيت الكتابيات المحاربات ، وسائر المشركات على التحريم ، ولو اقترنت الآيتان لقلت إن ذلك تخصيص للعموم ، كما شهر في المذهب. وعند الشافعي أن ذلك من تخصيص العام ، ولك أن تقول لا نسخ ولا تخصيص بل المشركات في الآية غير الكتابيات ؛ لأنه كثُر في القرآن مقابلة المشركات بالكتابيات ، كقوله تعالى ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين** ﴾ سورة البينة آية (١) . ولو كان أهل الكتاب أيضا مشركين ، لقوله سبحانه ﴿ **عما يشركون** ﴾ سورة التوبة آية (٣١) وأجاز بعض قومنا نكاح الحربيّات الكتابيات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب،وليس بشيء ، ونص ابن عباس على المنع وهو الصحيح .

وقالت الأمامية من الروافض ، وبعض الزيدية : إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ والصحيح أنه تخصيص من هذه الآية العامة . (٣) وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ المائدة (٥) . قال ما ملخصه : لا يجوز عندنا تزوج الأمة الكتابية ولا التسري بها ، واجاز ابن عباد منا تَسرِيها، واجاز ابو حنيفة تزوجها ، ومنع الشافعي تزوجها وتسريها مثلنا لقيد الإحصان . ولا تحل الحربية ولوحره عندنا وهو قول ابن عباس لبعد شأنها، ولان التزوج بر ، وقد قال الله جل وعلا ﴿ **إنما ينهاكم الله عن**

---

(١) تفسير القرطبي ١٣٠/٥ قال مكي في الايضاح عنده هذه الايه (والظاهر أنها محكمه مخصصة مبينة بآية المائدة في جواز نكاح الكتابيات) ١٦٩ .

(٢) أضواء البيان ـ الشنقيطي ٣٨٦/١٢ انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النكاح باب نكاح المتعة ١٧٩/٩ ـ ١٩٠ .

(٣) تيسير التفسير ٣٣٥/١ ـ ٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين قاتلوكم ﴾ الممتحنة (٩) . وقال ﴿ **لا تجد قوما** ﴾ المجادلة (٢٢) . وقال : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ الروم (٢١) وكيف يكون الود، والرحمة للكافرة هذا ما اختاره الشيخ . (١) وهذه مسألة خلافية بين والمذاهب. وقد أجمع الجمهور على إباحة الزواج بالكتابيات ، وذهب بعضهم إلى الكراهة، أما الحربية فيحرم تزوجها عند الحنيفه إذا كانت في دار الحرب ، وتكره عند غيرهم (٢) .

المسح على الخفين : ـ ينكر الإباضيون المسح على الخفين ، وعلى هذه الطريقة سار الشيخ محمد أطفيش في تفسيره ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قُمتُم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايدَيكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم إلى الكعبين** ﴾ المائدة (٥). حيث قال: (وارجلَكم) عطف على وجوه أو أيدي فهي مغسولة كما جاءت به السنة ، وعمل الصحابة ، وهو قول الجمهور ، وكما جاء الحد بقوله تعالى : ﴿ **إلى الكعبين** ﴾ ولم يجيء في المسح الحد ..، ثم ان كانت تمسح فقد نسخ مسحها بالحديث. قال عطاء : والله ما علمت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين ، وعن عائشة رضي الله عنها : لأن تقطعا أحب إلي من أن تمسحا. وهكذا نجد الشيخ ينتصر لرأي مذهبه، ويعتمد على أقوال وردت بهذا الصدد ، ويترك ما تواتر من أحاديث ، وما اعتمد عليه جمهور الفقهاء ، فقد روى الإمام البخاري ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه مسح على الخفين ، وأن عبدالله بن عمر سأل عمر رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : نعم ، إذا حدثك سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عنه غيره . وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بأدواة فيها ماء ، فصب عليه حين فرغ من حاجته ، فتوضأ ومسح على الخفين . (٣) وكذلك روي الإمام مسلم (٤)عن المغيرة ، وعن بلال : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين ، وعن جرير أنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل له تفعل هكذا قال نعم رايت رسول الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه . قال ابراهيم : كان يعجبهم هذا الحديث، لأن اسلام جرير كان بعد نزول المائدة . ونقل لنا الامام ابن حجر ، عن ابن المنذر ، ـ وابن المبارك قولهما : ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف ، لأن كل من روي عنه منهم إنكاره، فقد روي عنه اثباته، وقال ابن عبد البر : لا أعلم ، روي عن أحد من فقهاء السلف

---

(١) تيسير التفسير ٣/٣١

(٢) انظر المغني لابن قدامه حيث ذكر الخلاف في المسألة واشار الى اتفاق الجمهور على حله ٧/٥٠٠ ، أحكام القرآن للجصاص ، ٢/١٥-٢٠ ، الفقه الاسلامي وادلته وهبة الزحيلي ٧/١٥٤-١٥٥.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الوضوء باب المسح على الخفين ١/٣٦٥

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انكاره الا عن مالك ، مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته، وقد صرح جماعة من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين ، ومنهم العشرة ، وفي ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن البصري . حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين . (١) وقال الإمام الشوكاني : (٢) وقد نسب القول بمسح الخفين إلى جماعة الصحابة ، وما روي عن عائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة من انكار المسح . فقال ابن عبد البر : لا يثبت . قال أحمد : لا يصح حديث أبي هريرة في انكار المسح وهو باطل ، وما روي عن عائشة أنها قالت : لأن أقطع رجلي أحب إليّ من أن أمسح عليهما ، ففيه محمد بن مهاجر ، قال ابن حبان : كان يضع الحديث.

من أصبح جنبا في رمضان : أشار الشيخ محمد أطفيش ـ رحمه الله ـ إلى هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ البقرة (١٨٧) حيث قال: (حتى) غاية للأكل والشرب لا لهما وللجماع لقوله صلى الله عليه وسلم (٣) : (من أصبح جنبا أصبح مفطرا)(٣)، فيجب الكف عنه إذا لم يبق ما يتطهر فيه. وهكذا رجح الشيخ آراء مذهبه وانتصر له بما استند إليه من هذا الحديث ، وهو بذلك يخالف جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ، والأئمة الأربعة الذين ذهبوا إلى أن من أصبح جنبا يكون صيامه صحيحا ، واستدلوا بحديث عائشة ، وام سلمة ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه.وسلم ـ (كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم) (٤) . وأما الحديث الذي استند إليه الشيخ فقد أجاب عليه الجمهور أنه منسوخ أو هو محمول على من طلع الفجر عليه وهو مجامع فاستدام ، أو هو أمر إرشاد إلى الأفضل ، فإن الأفضل أن يغتسل قبل الفجر ، ولو خالف جاز (٥) وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فالآن باشروهن** ...﴾ البقرة (١٨٧) فإنه لما مد إباحة الجماع إلى طلوع الفجر فبالضرورة يُعلم أن الفجر يطلعُ عليه وهو جنبٌ ، وإنما يتأتى الغسل بعد الفجر (٦) .

---

(١) فتح الباري ١/٣٦٦.

(٢) نيل الأوطار ـ الشوكاني ١/١٧٧.

(٣) رواه بمعناه الإمام أحمد عن أبي هريرة رقم الحديث (٧٣٨٢) ص ٢/٢٤٨. وأورده ابن حجر في الفتح وذكر أقوال العلماء فيه ٤/١٧٥.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الصيام باب ٢٥ اغتسال الصائم رقم الحديث ١٩٣٠ ٤/١٨١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٨/٢٢٠.

(٥) نيل الأوطار ٤/٢١٣ ، النووي ٨/٢٢١ ، الفتح ٤/١٧٥.

(٦) تفسير القرطبي ٢/٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفع اليدين ووضعهما في الصلاة :

لقد سار الشيخ أطفيش على مذهب الإباضية في عدم رفع اليدين مع التكبير في الصلاة ، وعدم وضع اليمنى على اليسرى ، ونفى أن يكون هناك حديثاً صحيحا يكون حجة لمن قال بذلك . يقول عند تفسيره لقوله تعالي: ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ الشرح (٧) . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى البيت رفع يديه ، ويقول : ترفع الأيدي إذا رؤية البيت ، وعلى الصفا والمروة ، وعشية عرفه ،وفي جمع ، وعند الجمرتين ، وعند الميت ، وزاد قومنا ـ يعني أهل السنة ـ عند تكبيرة الإحرام (١) .وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فصل لربك وانحر**﴾ الكوثر (٧) . يقول : وفي البيهقي والحاكم ، وابن مردويه (سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسم ـ عن النحر جبريل عليه السلام ـ فقال: ارفع يديك أي إلى نحرك عند كل تكبيرة في الصلاة ، وإن ذلك صلاتنا معشر الملائكة وزينة الصلاة) . قلنا هذا حديث موضوع لوصح للزمه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أكثر منه في صلواته ، وكذلك الصحابة ، ولم نجد حديثا صحيحا في أنه فعله ولافي صحته، ثم رأيت ابن كثير (٢) قال: إنه حديث منكر جدا ، وابن الجوزي قال: إنه موضوع ، وكذا حديث ابن جرير عن أبي جعفر (٣) مرفوعا ؛ أنه رفع اليدين عند تكبيرة افتتاح الصلاة ، وحديث البخاري وغيره ضع يمناك على يسراك ، ثم ضعهما على صدرك في الصلاة ، كل ذلك موضوع لا يصح (٤) لا شك أن الشيخ كما هو واضح يحاول تعمية هذه المسألة وخلطها ، فالاحاديث التي نقلها أولا ، صحيح أنها لا تخلو من ضعف ، كما نقل عن ابن كثير وابن الجوزي ، مع أن ابن كثير لم يحكم على الحديث بأنه منكرجدا كما زعم الشيخ ، وإنما قال : بعد أن ساق الحديث الذي استشهد به الشيخ وساق، ورواية أخرى . وكل هذه الأقوال غريبة جدا ، والصحيح إن المراد بالنحر ذبح النُسك . ولكن الشيخ محمد أطفيش من أجل مناصرة مذهبه لم يكتف بذلك بل حكم على الاحاديث التي اعتمدها أهل السنة بالوضع ؛ مع أنها في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . حيث قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع

---

(١) تيسير التفسير ٢٢٤/١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٥٨/٤.

(٣) تفسير الطبري ٢١٠/٣٠- ٢١١،

(٤) تيسير التفسير ٣٦٨/١٥. لقد رأينا سابقا كيف أنه يخالف مع جاء في الصحيحين ، إذا عارض ما يرتئيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يديه حتى يكون حذو منكبيه، ويفعل ذلك حين يكبر للركوع ، وإذا رفع رأسه من الركوع (١) . قال الإمام القرطبي بعد أن ساق هذا الحديث: قال ابن المنذر : وهذا قول الليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، واسحاق ، وأبي ثور، وحكى ابن وهب عن مالك هذا القول ، وبه أقول لأنه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، وقال الإمام النووي : أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام ، واختلفوا فيما سواها، فقال الشافعي ، وأحمد ، وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم يستحب رفعهما أيضا عند الركوع والرفع منه، وهو رواية عن مالك ، وقال أبو حنيفة لا يستحب رفعهما في غير الإحرام (٣) أما وضع اليمنى على اليسرى فهو ثابت كذلك في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ، حيث قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة . قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمي (يسند) ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم . (٤) وفي صحيح مسلم عن وائل بن حجر أنه رأى رسول الله وضع يده اليمنى على اليسرى حين دخل في الصلاة (٥) قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الحديث : قال ابن المنذر : لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف ، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين ، وهو الذي ذكره مالك في الموطأ ، ولم يمسك ابن المنذر عن مالك غيره ، وروى ابن القاسم عن مالك الإرسال ، ثم قال : قال العلماء في هذه الهيئة أنه صفة السائل الذليل وهو أمنع من العبث ، وأقرب إلى الخشوع ، وكأن البخاري لحظ ذلك فعقبه بباب الخشوع (٦)

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الأذان باب رفع اليدين مع التكبير رقم الحديث ٧٣٦ ص ٢/٥٦، ورواه كذلك مسلم في كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين ٤/٩٣- ٩٤. ورواه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة باب افتتاح الصلاة ١/٧٥.

(٢) القرطبي ٢٠/٢٢١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٩٥.

(٤) فتح الباري كتاب الاذان باب ٨٧ رقم الحديث ٧٤. ص ٢/٢٦٢.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/١١٤ ، ورواه الإمام أحمد ٤/٣١٧.

(٦) فتح الباري ٢/٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة

هذا التفسير ما عليه وماله .

- ما عليه

لقد من الله سبحانه عليّ وصاحبت الشيخ محمد أطفيش من خلال تفسيره أكثر من سنة ونصف ، حاولت خلالها أن أتعرف على حياته، وبيئته التي أحاطت به ، كما حاولت أن أكشف عن منهجه في التفسير من خلال تفسيره

(تيسير التفسير) . وكان من نتيجة هذه الدراسة أنها سجلت عليه بعض المآخذ ، ويعلم الله - سبحانه - كم للشيخ من فضائل ؛ ولكن الحق أحق أن يتبع وعمل الشيخ جهد بشري فلا بد أن يعتريه ما يعتري البشر ، فلم يخل من سلبيات لو لم توجد فيه لكان أجدى وانفع وأوسع انتشاراً ، فمن أهم المآخذ التي أخذت على هذا التفسير بايجاز : -

١- توسعه في الإسرائيليات :

من أخطر المآخذ التي سجلها البحث على الشيخ تساهله في قبول الإسرائيليات حيث رصد موقفه منها فكشف عن مشاركته لكثير من المفسرين الذين تسربت هذه الإسرائيليات إلى تفاسيرهم ، حيث أطلق الشيخ لقلمه السيّال أن يسطر مابدا له من خرافات تتعارض مع العقل والمنطق فضلا عن أنها لا تستند إلى برهان أو دليل وتركها دون تعليق أو نقد.

٢- كثرة الاستطرادات والتوسع في ذكر قضايا لاعلاقة لها بالتفسير .

مع أن الناظر إلى عنوان هذا التفسير يتصور أن كله حديث عن التفسير بأسلوب سهل ميسر إلا أنك عندما تأخذ في قراءته تلحظ سيلاً من المعارف والعلوم الخارجة عن علم التفسير ولا تدعو إليها الحاجة ، فإذا تكلم في موضوع فصّل فيه القول ، وتصورت أن الكتاب في ذلك العلم ، زد على ذلك أنه كان يقحم نفسه في موضوعات وفرضيات علمية اختلفت فيها الآراء قديماً ، والبحث فيها ضربا من الظن ، ولم يقرها العلم الحديث بل أثبت بطلانها .

٣- الفكرة التي صاحبتنا في هذه الدراسة ومع كل فصل من فصولها هي ظهور أثر مذهبه الإباضي ومنهجه العقلي ، وثقافته الكلامية ، فقد تبع الشيخ أفكار مدرسة الإباضية بدقيقها وجليلها ، وفسر الآيات وفق فهمها ، وتصدى للرد على مخالفيه ومناوئيه، وخاض معهم معارك جسيمة وشن هجومات وغارات على جبهات مختلفة ، وعلى قواعد خصومه الفكرية ووسيلة في ذلك المجادلة والمناظرة .

٤- ومما سجله هذا البحث على الشيخ موقفه من الأحاديث التي تخالف مذهبه ، حيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قام بالتخَلُص من كثير من الأحاديث الشريفة التي استند إليها مخالفيه بإنكارها أوحكم عليها بالوضع وفي أحسن الأحوال يقول : الله أعلم بصحته فإن صح فمعناه كذا وكذا مما يوافق مذهبه. وفي الوقت الذي ينكر فيه بعض الأحاديث الوارده في الصحيحين ، والتي قد تبلغ حد التواتر تراه يستشهد بأضعف الأحاديث التي تناصر ما ذهب إليه ، ثم إنه يورد كثير من الأحاديث دون تخريجها أو الحكم عليها ، فضلا عن روايته لبعض الأحاديث بالمعنى ودون الإشارة إلى أن هذا المعنى حديث ، زد على ذلك تحفظه من الاحتجاج بالحديث النبوي في مجال اللغة والنحو.

٥- عدم دقته في عرضه وترتيبه للتفسير،فإن حسن التنظيم ،والترتيب والعرض من الوسائل الضروريّة المشوقة التي يجب أن تراعى عند الكتابة والتصنيف ، وكتب التفسير - بوجه خاص - أحوج ما تكون إلى تحقيق هذه العناصر لتنوع مادتها. والشيخ أطفيش لم يحالفه الحظ في تحسين شكل التفسير ، وتنسيق مادته ، فجاء التفسير مشوشا غير مرتبا ومسائله متفرقه مختلطة ، فيبدأ بالسورة فلا تعرف بدايتها من نهايتها ، وينتقل من غرض إلى غرض ويتكلم عن موضوع في مكان ثم يعود إليه في مكان آخر واختلطت مادة هذا التفسير مع التنبهات والتعليقات والأبحاث ، والأحكام والقصص والدقائق واللطائف فضلا عن الأخطاء المطبعية ، والتصحيف والتحريف وعدم ترقيم الآيات ؛ لذلك كله فَقَدَ هذا التفسيرُ عنصر التشويق والإقبال عليه .

٦- ومن المآخذ التي سجلت على الشيخ نقله كلام غيره مستشهداً به ، أو ناقلا إياه دون أدنى اشارة وأحيانا يقول : قال بعض المفسرين أو قال بعضهم....

ما له :

ورغم المآخذ التي سجلها هذا البحث عن الشيخ في هذا التفسير ، فان له مواقف تُحمد، قل أن توجد في غيره وما أكثرها ﴿ **إن الحسنات يذهبن السّيئات**﴾ هود (١١٤)فمن محاسن هذا الكتاب :

١- تناول مسائل اللغة والنحو فقد رأينا الشيخ في هذا التفسير يحلق في سماء العربيه ليصيب شيئا من نجومها ، ويغوص في بحر الضاد ليلتقط درراً من أصدافها، ويتفنن في لغتها تفنناً يدل على ثرائِه واقتداره في أركان هذا العلم ، يظهر ذلك من خلال عنايته ببلاغة القرآن ، وإعجازه البياني واهتمامه باللفظ القرآني وبما يدل عليه من قضايا ، ويُستَنبَطُ منه من أحكام واستشهاده بالأشعار والأمثال...

٢- ومن محاسنه كثرة النقول التي أوردها في تفسيره ، ورواية عن الصحابة أجمعين فلم يقتصر على فئة معينة بل روى عن جميع الصحابة بما فيهم علي وعثمان ثم نقله عن المفسرين والقراء والنحويين واللغويين والبلاغين والأصولين والفقهاء .. وغيرهم بالإضافة الى ما نقله عن أهل مذهبه ولم يكن الشيخ مجرد ناقل لهذه الأقوال بل كان يناقشها في أغلب الأحيان مناقشة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علميه تظهرُ منزلته وبراعته في التفسير وقد أجاد الشيخ في صنيعه ،هذا لما فيهِ من الإطلاع على آثار العلماء والمفسرين.

٣- ومن مزايا هذا التفسير ، بعد الشيخ عن التفسير الإشارى الباطني الذي استعملته الصوفية ظانّين أن النصوص ليست على ظاهرها بل لا بدلها من معانٍ لا يعرفها إلا ذو العلم الباطني وأن الظاهر غير مراد، فرد الشيخ مثل هذه التفاسير ورأى فيها مخالفة للعقل ولا يرتضيها الشرع وأنها دعاوي لا دليل عليها . وشنع على القائلين بها .

٤- ومما يحمد للشيخ في هذا التفسير شخصيته التي تظهر بوضوح عند معالجته لكثير من القضايا المختلف عليها ، فقد مَلك الشيخ قدرة حِواريّة وحجة بالغة ، وجُرأةً فيما يراه حقا واستخدم الشيخ هذه المزايا في الرد على أصحاب الديانات المنحرفة ودحض معتقداتهم واثبات خطأ ما يؤمنون به .

٥- استطاع الشيخ أن يُسخِر ثقافته الواسعة وتبحره في العلوم المختلفة لخدمة أغراض التفسير كعلم الفقه وعلم الأصول ، وعلم النحو والبلاغة ، والفلك والتاريخ ، العقائد ، والكلام.

٦- تفسير الشيخ يمثل العصر الذي عاش فيه (فقد عاش في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأربعة عشر عاما من القرن العشرين) وهذه الفترة من أحرج الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية . وناقشها الشيخ في تفسيره بكل ما فيها من محاسن ومساوئ وعكس لنا صورة ما تعيشه الأمة من أحداث ومتغيرات ، وما تعانيه من مشكلات اجتماعية وسياسية ؛فكافح ونافح في سبيل توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم في ظل الخلافة العثمانية ، التي كانت هدفا للإستعمار وكان الشيخ من بين القلائل الذين يدركون خطر الاستعمار وينهبون إلى ذلك . فوظّف الشيخ فهمه للآيات لعرض ما تعانيه الأمة، ومحاولة التركيز على ما أورده القرآن الكريم من حلها وهو بهذا يشابه اتجاه المدرسة الحديثة في التفسير .

٧- معالجته للقضايا الفقهية وآيات الأحكام فقد ظهر الشيخ في هذا التفسير فقيها متبحرا حاز أُسس الإجتهاد واقتدر على توجيه الآراء ، وعرض إلى جانب مذهبه الإباضي للفقه المقارن فكشف عن العديد من مذاهب العلماء ، وآرائهم الفقهيه واظهر بعض قيم الأحكام والتوجيهات السلوكية التي تؤخذ من الآيات وتعرض لبعض أصول الفقه ، فحقق بذلك كله ثروة فقهية طائلة .

٨- محاولة الشيخ التركيزعلى التفسير الموضوعي فقد ظهرت في هذا التفسير عناية صاحبه بإظهار القرآن الكريم لحمه واحدة واهتمامه بربط الآيات التي تتحدث عن موضوع معين بعضها ببعض.

ب - في ضوء هذه الدراسة لتفسير الشيخ محمد أطفيش (تيسير التفسير) أود أن أسجل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه التنبيهات والاقتراحات.

ـ هناك من يجعل تفاسير الفرق الإسلامية من التفسير بالرأي المذموم ويصنفونها ضمن التفاسير المنحرفه المبتدعة ، وهذا التعميم في الحكم لا يتسم بالعلمية والموضوعية ، ولعل المنهج الحق أن ننظر إلى هذه التفاسير أنها من تراثنا العلمي ، وأن نجل مصنفيها ، وبعد أن نتفحص ما فيها ونبذل الجهد في تمييز صوابها من خطئها بعد ذلك نحكم على الموضع الذي جاء فيه الإنحراف أو الخلل ، خاصة العلماء المعاصرين في دراستهم المنهجية التي يجب أن يبتعدوا عن الصراع المذهبي ، واللجاجة والغضب . فحقٌ على أهل العلم أن يجتهدو ، وقد تختلف وجهات النظر ، ولكن لا يجوز أن يُبنى عليه شقاق ، أو تتنامى بسببه الاحقاد . ومعلوم أن الحق ليس حكرا على أحد أو على مذهب أو مسلك ، والنقد ، وإبداء الملاحظات لا يجعل الحق حكراً للناقض ، ويسوغ لأصحابه استحلال أعراض المسلمين والنيل منهم لا سيما العلماء والدعاة ، وإن هناك رجالاً أفذاذا ، وعلماء أجلاء خدموا هذا الدين ، وبلغوا من العلم مبلغه ، وقدم صدقهم في الدعوة راسخة ، وهم أهل لكل ثناء ، ولكنهم غير معصومين ، فحقهم أن لا نغلوه فيهم ، ونبرر أخطاءهم كما لا يحق لنا أن نجفِيَهم ، ونتلمس أخطاءهم وننكر جهودهم ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك ، وفرق بين نقد عالم من علماء المسلمين له باع في العلم والدعوة ، وبين رد على ملحد متجن ، أو مستشرق حاقد .

- يجب إيقاف حركة التمزيق الفكري ، والقضاء على الانحياز المذهبي الطائفي فالمسلمون جميعا هم الجماعة ، وولاء المسلم لا يكون إلا لدين الله ، ونهج رسول الله . وليستعلي هذا الولاء على كل إنتماء وانتساب ولتجتمع الأمة بكل فآمها على دعائم الحب في الله والأخوة الإسلامية . من هنا تكون بدايات التصحح ولم الشمل وقصد الحق المبين.

- وفي نهاية هذه الدراسة اسجل اقتراحي أن يُيسر هذا التفسير كما أراده مصنفه، وأن يحقق تحقيقا علميا ، وأن يطبع طباعة جديدة ويخرج للمكتبة القرآنية بصوره أدق ترتيبا وتنظيمـا ، وأن ينبه على ما فيه من سلبيات ، وأن تُعزى الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها وتوضع بين قوسين ، وتخرج فيه الأحاديث النبوية وتحقق الأخبار والمرويات، ويعلق على الإسرائيليات ، ويذيل بفهارس تفصيلية متكاملة تساعد الباحثين والمتعاملين مع هذا التفسير ، وإلا فانه بصورته الحالية لا يحقق الغرض المنشود منه ويتعب كل من يغامربقراءته.

وفي النهاية أسال الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن لا يجعل فيه نية لاحد كما أساله أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين إنه جواد كريم وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلي يوم الدين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصادر والمراجع

- ابراهيم خليل بركة **ابن تيمية وجهوده في التفسير** - المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤.

- ابراهيم محمد الباجوري **شرح جوهرة التوحيد** - تحقيق مجموعة من العلماء دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣.

- أحمد أحمد بدوي **من بلاغة القرآن** - دار النهضة مصر القاهرة ١٩٥٠.

- أحمد أمين **ضحى الإسلام** - مطبعة النهضة المصرية الطبعة السابعة بدون تاريخ .

- أحمد بن تيمية **مقدمة في أصول التفسير** تحقيق د. عدنان زرزور دار القرآن الكريم . الطبعة الأولى ١٩٧٣.

- أحمد بن تيمية **الفرقان بين الحق والباطل** تحقيق حسين غزال دار احياء العلوم بيروت ١٩٨٣.

- أحمد بن تيمية **الايمان** خرّج أحاديثه ناصر الألباني دار الحمصي بيروت ١٩٨٦.

- أحمد بن تيمية **مجموع الفتاوي** جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم مكتبة المعارف الرباط.

- أحمد بن تيمية **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** تعليق محمود فايد نشر رئاسة البحوث السعودية.

- أحمد بن حمد الخليلي - **الحق الدامغ** - بدون ذكر للطابع والسنة .

- أحمد بن حمد الخليلي **جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل** - مكتبة الاستقامة سلطنة عُمان الطبعة الأولى ١٩٨٤.

- أحمد بن حنبل - **مسند الامام أحمد** - مؤسسة قرطبة ١٩٧٨ .

- أحمد عطية - **القاموس الاسلامي** - مكتبة النهضة - مصر ١٩٦٣ .

- أحمد بن محمد البنا - **اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر** - تحقيق د/شعبان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسماعيل ـ مكتبة الكليات الأزهرية وعالم الكتب بالقاهرة / بيروت ١٩٨٧ .

ـ أحمد محمد صبحي ـ **علم الكلام دراسة فلسفية لأداء الفرق الاسلامية** ـ دار النهضة بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٥.

ـ أحمد مسعود ـ **منهج الخطيب الشربيني في التفسير** ـ اطروحة ماجستير الجامعة الأردنية .

ـ أحمد مصطفى المراغي ـ **تفسير المراغي** ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٢.

ـ أحمد الهاشمي ـ **جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)** ـ دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية عشر .

ـ الأزكوي ـ أبي جعفر محمد بن جعفر ـ **الجامع** ـ مطبعة عيسى البابي ـ مصر .

ـ الأسفراييني ـ المظفرت ـ **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين** ـ تحقيق محمد الكوثري الطبعة الأولى .

ـ الأشعري ـ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ـ **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين** ـ دار إحياء التراث ـ عني بتدقيقة هلموت ديتز ـ الطبعة الثالثة .

ـ الأشعري أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري **الإبانة عن أصول الديانة** ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٥.

ـ الألوسي ـ شهاب الدين أبي الفضل الألوسي ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣.

ـ الأنباري ـ عبد الرحمن بن محمد الأنباري ـ **الانصاف في مسائل الخلاف** ـ دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

ـ الآمدي ـ سيف الدين أبي الحسن **الاحكام في أصول الأحكام** تحقيق سيد الجميلى دار الكتاب العربي ١٩٨٤ .

ـ الأيجي عضد الدين عبد الرحمن أحمد ـ **المواقف** عالم الكتب ، دون ذكر للطبعة والسنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الباقلاني - أبي بكر بن الطيب - **اعجاز القرآن** - تحقيق أحمد صقر - دار المعارف مصر الطبعة الثالثة .

- الباقلاني **الانصاف تحقيق محمد الكوثري** ط ٢

- البغدادي - عبد القادر عمر البغدادي - **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة - الطبعة الثانية - ١٩٧٩ .

- البغوي - أبي محمد الحسين بن مسعود - **معالم التنزيل** - تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار - بيروت دار المعرفة - ١٩٨٦ .

- أبو بكر بن العربي محمد بن عبدالله - **العواصم من القواصم** - تحقيق محي الدين الخطيب - دار اسامة بن زيد بيروت - بدون تاريخ .

- **احكام القرآن** تحقيق علي محمد البيجاوي دار الفكر بيروت ١٩٨٤ .

- بكير بن سعيد أعوشت - **دراسات اسلامية في الأصول الإباضية** - مطبعة البعث قسنطينة - ١٩٨٢ - الطبعة الثالثة .

- البيهقي - الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - **السنن الكبرى** - مكتبة الباز للنشر والتوزيع عن طبعة الهند - ت ٤٥٨ .

- **الأسماء والصفات** تحقيق محمد زاهد الكوثري دار أحياء التراث .

- الترمذي - أبي عيسى محمد بن عيسى - **سنن الترمذي** تحقيق كمال يوسف الحوت - دار الفكر بيروت.

- الجبوري - أبو اليقظان عطية الجبوري - **دراسات في التفسير ورجالة** - دار الحرية للطباعةبغداد - الطبعة الثانية ١٩٧٧ .

- الجصاص - أبي بكر أحمد بن علي الرازي - **أحكام القرآن** تحقيق محمد الصادق دار احياء التراث - بيروت - بدون تاريخ .

- أبو جعفر النحاس - محمد بن أحمد الصفار المرادي المعروف بأبي جعفر النحاس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الناسخ والمنسوخ في القرآن** - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى - ١٣٢٣.

- الجرجاني عبد القاهر - **اسرار البلاغة (في علم البيان)** - محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت ١٩٧٨.

- الجرجاني **دلائل الإعجاز (في علم المعاني)** محمد رشيد رضا دار المعرفة ١٩٧٨.

- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد **النشر في القراءات العشر** تصحيح علي محمد الضباع دار الفكر.

- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م .

- ابن الجزري **طبقات القراء** عني بنشره ج برجستراسر الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

-جمال أبو حسان **ابن عاشور ومنهجه في التفسير** أطروحة ماجستير بالجامعة الأردنية ١٩٩٢.

-جميل بن خميس السعدي العُماني - **قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة** ، وزارة التراث القومي والثقافة - عمان - ١٩٨٣.

-جمال الدين القاسمي ، **محاسن التأويل** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث بيروت الطبعة الأولى ١٩٥٧م .

-جودة محمد المهدي - **الواحدي ومنهجه في التفسير** - نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ١٩٧٨ .

-جولد سيهر - **العقيدة والشريعة في الإسلام** - نقله إلى العربية مجموعة من العلماء دار الكتب الحديثة - مصر الطبعة الثانية ت ١٩٢٠م .

-جولد سيهر **مذاهب التفسير الإسلامي** نقله إلى العربية عبد الحليم النجار دار اقرأ بيروت - ١٩٨٥.

- الجويني - امام الحرمين - **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** - تحقيق د/ محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجيطاني - أبو الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطاني النفوسي - **قناطر الخيرات** - وزارة التراث القومي والثقافة - عُمان ١٩٨٣.

- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين البغدادي **تلبيس ابليس** دار الفكر ١٣٦٨ هـ .

- الحاكم النيسابوري - ابو عبد الله النيسابوري - **المستدرك على الصحيحين** في الحديث مكتبة النصر الحديثة .

- ابن حجر - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني -**فتح الباري بشرح صحيح البخاري** - تحقيق مجموعة من العلماء - دار الريان للتراث - المكتبة السلفية - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

- ابن حجر العسقلاني **تهذيب التهذيب** - دار الفكر بيروت ١٩٨٤ م.

- ابن حجر العسقلاني **الإصابة في تميز الصحابة وهامشه الاستيعاب** - لابن عبد البر - دار احياء التراث العربي ، تقريب التهذيب تحقيق محمد عوامه دار البشائر بيروت ١٩٨٦ .

- ابن حزم - أحمد بن حزم الظاهري - **الفصل في الملل والأهواء والنحل** - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥ .

- ابن حزم **المحلى** - مكتبة الجمهورية العربية مصر .

-حسن ابراهيم حسن **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي** الطبعة السابعة ١٩٦٤.

- حسنين محمد مخلوف ، **صفوة البيان** لمعاني القرآن دار الفكر .

- أبوحيان الأندلسي محمد بن يوسف **البحر المحيط** دار احياء التراث ،بيروت الطبعة الثانية.

- ابن خالوية - **مختصر في شواذ القرآن** من كتاب البديع . عني بنشره ج برجستراسرج برجستراسر دار الهجرة دون تاريخ .

- ابن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-خديجة الحديثي **موقف النحاة في الاحتجاج بالحديث الشريف** - وزارة الثقافة بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨١ .

- ابن خلدون **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم** ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٩ .

- الخطيب البغدادي أحمد بن علي **الكفاية في علم الرواية** دائرة المعارف العثمانية .

-خميس بن سعد الرستاقي **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين** تحقيق سالم بن حمد الحارثي - وزارة التراث العماني مطبعة البابي مصر دون تاريخ .

-خير الدين الزركلي **الاعلام** دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ .

- الخياط أبو الحسن المعتزلي **الإنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد** تحقيق د . نيروخ دار الندوة الإسلامية بيروت ١٩٨٨.

- الدارمي أبو محمد عبد الرحمن ت **سنن الدارمي** دار الكتب العلمية بيروت .

- أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني **سنن أبي داود** مطبعة البابي مصر .

- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد **طبقات المشايخ بالمغرب** تحقيق ابراهيم طلاى مطبعة البعث الجزائر .

- الداودي محمد بن علي بن أحمد الداودي **طبقات المفسرين** مكتبة وهبه القاهرة .

- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** تحقيق عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٨٧.

- الذهبي **سير أعلام النبلاء** تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة بيروت .

- الذهبي **تذكرة الحفاظ** دار المعارف العثمانية الهند ١٩٠٧.

- الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ت **المفردات في غريب القرآن** تحقيق محمد سيد كيلاني . دار المعرفة بيروت .

- الأصفهاني **مقدمة جامع التفاسير** تحقيق د. أحمد حسن فرحات دار الندوة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الربيع بن حبيب الأزدي **الجامع الصحيح مسند الربيع** تحقيق الشيخ يوسف الوارجلاني ، مكتبة الثقافة .

-رجب محمد عبد الحليم **الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة** مكتبة العلوم مسقط ١٩٩٠.

- رمضان عبد التواب **فصول في فقه العربية** مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثانية .

- الزركشي بدر الدين محمد عبدالله **البرهان في علوم القرآن** تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار التراث القاهرة.

- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر **سير الأئمة وأخبارهم** تحقيق اسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢.

- زكي مبارك **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق** دار الجيل بيروت .

- الزمخشري محمود بن عمر **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** رتبه مصطفى حسين أحمد دار الكتاب العربي ١٩٨٦.

-سالم البيهنساوي**الحكم وقضية تكفير المسلم** دار البحوث العلمية الكويت ، دار البشير عمان الطبعة الثالثة ١٩٨٥.

- سالم بن حمود شامس السيابي ، **إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء** تحقيق د. سيدة اسماعيل مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٧٩.

- سالم السيابي **أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج** تحقيق سيدة اسماعيل وزارة التراث القومي عمان .

- السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب **طبقات الشافعية الكبرى** تحقيق محمود الطناحي وعبد ا لرحمن الحلو مطبعة البابي ١٣٨٣.

- أبو السعود محمد بن محمد العمادي **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** دار احياء التراث العربي بيروت .

- سيد قطب **في ظلال القرآن** دار احياء التراث بيروت الطبعة السابعة ١٩٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **التصوير الفني في القرآن** دار الشروق بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧٩.

- ابن سلام الإباضي **الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية** تحقيق رف . شفار تز ، وسالم بن يعقوب دار اقرأ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥.

- سليمان الباروني النفوسي **مختصر تاريخ الإباضية** مكتبة الضامري مسقط عمان الطبعة الرابعة بدون تاريخ .

- سليمان بن عمرالعجلي **حاشية الجمل على الجلالين المسمى (الفتوحات الالهية)** مطبعة مصطفى الباجي .

- سليمان بن داود بن يوسف **الخوارج هم أنصار الإمام علي** دار البعث الجزائر ١٩٨٣.

- السهمي **تاريخ جرجان** علم الكتب بيروت ١٩٨١ .

-السيوطي جلال الدين السيوطي **الدر المنثور في التفسير المأثور** دار الفكر الطبعة الأولى .

- السيوطي **المزهر في علوم اللغة** تحقيق علي الباجوري وآخرين مطبعة الحلبي مصر.

- السيوطي **تفسير الجلالين وبهامشه أسباب النزول** دار الفكر بيروت .

- السيوطي **الاتقان في علوم القرآن** مكتبة الثقافة بيروت ١٩٧٣.

- السيوطي **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** تحقيق محمد أبي الفضل دار الفكر بيروت الشافعي محمد بن ادريس **الأم** دار الشعب .

- الشنقيطي محمد الأمين ت (١٣٩٣ هـ) **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن** الإفتاء الرياض السعودية ١٩٨٣.

- الشوكاني محمد علي الشوكاني **ارشاد الفحول** إلى تحقيق الحق في علم الأصول .

- الشوكاني **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** دار الفكر العلمية بيروت الطبعة الأولي ١٩٨٣م .

- الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم **الملل والنحل** تحقيق محمد سيد كيلاني بيروت ١٩٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن أبو شيبة أبي بكر عبدا لله بن محمد ت (٢٣٥هـ) **مصنف بن أبي شيبة** ضبط كمال يوسف الحوت .

- صابر طعيمة **الإباضية عقيدة ومذهبا** دار الجيل بيروت ١٩٨٦.

- صدقي سليم محمد **دراسة نقدية لتفسير الخازن** أطروحة ماجستير بالجامعة الأردنية .

- الصفاقسي علي النوري **غيث النفع في القراءات طبع بهامش سراج القارئ المبتدي** دار الفكر بيروت ١٩٧١.

- صالح بن أحمد الصوافي **الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة** وزارة التراث القومي عمان ١٩٨٣.

- ابن الصغير - القرن الثالث الهجري - **أخبار الأئمة الرستميين** تحقيق محمد ناصر ابراهيم النجار دار الغرب الإسلامي . ١٩٨٦.

- الصاوي أحمد الصاوي المالكي **حاشية العلامة الصاوى على الجلالين** دار إحياء الكتب العربية مصر .

- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ١١٦ معجم الطبراني الكبير تحقيق حمدي السلفي بغداد مطبعة الأمة وزارة الأوقاف .

- الطبري أبو جعفر **جامع البيان في تفسير القرآن** دار الجيل بيروت ١٩٨٧ **تاريخ الأمم والملوك** المطبعة الحسينية القاهرة ١٣٣٦هـ .

- الطوسي محمد بن الحسين **الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد** مطبعة الآداب نجف الإشراف ١٩٧٩.

- عائشة عبد الرحمن **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق** دار المعارف ١٩٧١ .

- عادل نويهض - **معجم اعلام الجزائر حتى منتصف القرن العشرين** - المكتب التجاري بيروت ١٩٧١.

- **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** قدم له الشيخ حسن خالد مؤسسة نويض ١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد العزيز المجذوب **الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيدية** تقديم على الشيابي الدار التونسية للنشر ١٩٧٥.

-عبد الفتاح لاشين **صفاء الكلمة** دار المريخ بالرياض ١٩٨٣م .

- العكبري ابو البقاء عبد الله بن الحسين **املاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن** دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٩.

-عبد الكريم الخطيب **التفسير القرآني للقرآن** دار الفكر العربي .

-عبدالله بن حمد السالمي **مشارق أنوار العقول** علق عليه وصححه الشيخ أحمد الخليلي الطبعه الثانيه ١٩٧٨.

- عبد الله السالمي **شرح الجامع الصحيح** مسند الربيع مكتبة الاستقامه عُمان .

-عبد الله محمد الغماري **بدع التفاسير** مكتبة القاهرة مصر الطبعة الأولى ١٩٦٥ .

-عبد المجيد حمودة **المدارس الكلامية بافريقيا إلى ظهور الأشعرية** مطبعة العرب تونس ١٩٨٦م .

-عبد المجيد عبد السلام المحتسب **اتجاهات التفسير في العصر الحديث** دار الفكر بيروت ١٩٧٣ .

- أبو عبيدة معمر بن المثنى **مجاز القرآن** تحقيق محمد فؤاد سزكين . مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١.

-العجلوني اسماعيل بن محمد **كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر على السنة الناس** تصحيح أحمد القلاش مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣.

-عدون جهلان **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد اطفيش** مكتبة الضامري عُمان ١٩٩١م .

-عدون قشار **اللمعه المضيئه في تاريخ الإباضيه** مكتبه الضامري عُمان ١٩٩٠ .

-عفت محمد الشرقاوي **الفكر الديني في مواجهة العصر** دار العودة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عقيل بهاء الدين عبدالله ت (٧٦٩)هـ **شرح ابن عقيل** تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية التجارية الكبرى مصر الطبعة ١٤ (١٩٦٥) .

- ابن عطية ابو محمد عبد الحق الأندلسي **المحرر الوحيد في تفسير الكتاب العزيز** تحقيق مجموعه من العلماء الدوحه ١٩٧٩ الطبعة الأولى ١٩٧٧ .

-علي شواخ الحق - **معجم مصنفات القرآن الكريم** - دار الرياض ١٩٨٣ .

- أبو علي الفارسي الحسن عبد الغفار ت ٣٧٧ **الحجه للقرّاء السبعه** مجموعة من العلماء دار المأمون للترا ث ٢٨٣ الطبعة الأولى ١٩٨٧.

-علي مصطفى الغرابي **تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام غير المسلمين** مكتبة الأنجلوا المرّيه الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

-علي يحي معمر **الإباضية في موكب التاريخ** الحلقه الأولى مكتبه وهبه الطبعه الاولى .

- علي معمر **الإباضيه مذهب إسلامي معتدل** قدم له أحمد السيابي .

- علي معمر **الاباضية بين الفرق الاسلامية** كتاب في المقالات في القديم والحديث المطبعيه العربية مسقط ١٩٨٧ .

-عمار الطالبي **آراء الخوارج الكلامية** الشركة الوطنيه للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٨ .

-عمر بالحاج محمد صالح **دراسةفي الفكر الاباضي** الطبعة الاولى ١٩٨٦ .

- ابن العماد الحنبلي عبد الحي **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** تحقيق لجنة احياء التراث العربي بيروت دار الآفاق الجديد دون تاريخ .

-عوده خليل أبو عوده **بناء الجمله في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين** دار البشير عمان الاردن ١٩٩٠.

-عوض محمد خليفات **نشأة الحركة الاباضية** ١٩٧٨.

- **النظم الاجتماعيه والتربويه عن الإباضية في شمال افريقيه** في مرحلة الكتمان نُشر برعم من الجامعه الاردنيه ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-عيسى البوسعيدى **نبدةعن حياة الشيخ قطب الأئمه** مجله جبرين العدد العاشر ١٤١٢هـ .

-فؤاد سزكين **تاريخ التراث العربي** - جامعه محمد بن سعود السعوديه .

- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا **معجم مقاييس اللغة** تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر بيروت ١٩٧٩.

-فاروق عمر- **العباسيون الأوائل** - مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٧م .

- **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين** دار أقراء بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

- الفخر الرازي محمد فخر الدين ت ٦٠٤ **الفتح الكبير** دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة .

- الفراء ابي زكريا يحيى بن زياد **معاني القرآن** تحقيق محمد على النجار ، وأحمد يوسف نجاتي عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ .

- ابي الفرج الاصفهاني **الأغاني** دار الثقافة بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٨.

- الفردبل - **الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١ .

- فضل حسن عباس - **البلاغة فنونها وأفنانها** دار الفرقان الطبعة الاولى ١٩٨٥ .

- فضل عباس **لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزياده في القرآن**، دار النور للطباعة بيروت الطبعه الأولى **المفردات القرآنيه مظهر من مظاهر الاعجاز** بحث على آله كاتبه .

-فضل عباس **اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا** اطروحه دكتوراه في التفسير بجامعة الازهر ١٩٧٢.

- فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي - **منهج المدرسه العقليه الحديثه في التفسير**- مؤسسه الرسالة الرياض الطبعه الأولى ١٩٨١.

- فهد الرومي **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** السعوديه الطبعة الاولى ١٩٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب **القاموس المحيط** المؤسسة العربية للطباعة بيروت .

- ابن قدامة المقدسي ابو محمد عبدالله بن أحمد **المغني** تعليق محمد رشيد رضا الطبعة الثالثه ١٣٦٧ .

- القرطبي ابو عبد الله محمد الانصاري - **الجامع لاحكام القرآن** - دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٨٥.

- القصبي محمود زلط - **القرطبي ومنهجه في التفسير** دار الانصار مصر ١٩٧٩.

- القلهاني ابي سعيد محمد الازدى القلهاني **الفرق الاسلاميه من خلال الكشف والبيان** حققه وقدم محمد عبد الجليل مركز الدراسات تونس ١٩٨٤ .

- الكتاني محمد بن جعفر **الرساله المستطرفه لبيان مشهور كتب السُنه المشرفه** دار الكتب العلميه بيروت .

- ابن كثير ابو الفداء الدمشقي ت ٧٧٤هـ **البداية والنهاية** تحقيق مجموعه من العلماء دار الكتاب تفسير القرآن العظيم مكتبه دار التراث القاهره دون تاريخ .

- ابن كثير **الباعث الحثيث شرح اختصار** علوم الحديث تاليف احمد محمد شاكردار الكتب بدون تاريخ.

- الكرماني محمود بن حمزة الكرماني **اسرار التكرار في القرآن** تحقيق عبد القادر عطاء دار الاعتصام الطبعة الثانيه ١٩٨٦.

- الكليني ابي جعفر محمد بن يعقوب الرازي **الأصول من الكافي** تعليق علي اكبر الغفارى الطبعة الرابعة دار صعب ودار التعاون بيروت ١٤٠١هـ .

- ابن ماجه ابي عبدالله الفزويني **سنن ابن ماجه** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت .

- مالك بن أنس **الموطأ** تعليق محمد فؤاد عبد الباقي المكتبه الثقافه بيروت ١٩٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محسن عبد الحميد **تطور تفسير القرآن قراءة جديده** وزارة التعليم جامعة بغداد ١٩٨٩.

- محمد اطفيش **هميان الزاد إلى دار المعاد** وزارة التراث القومي والثقافه عُمان .

- محمد أطفيش **الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص** تحقيق ابو اسحاق الطبعة الثانيه ١٩٨٠.

- محمد أطفيش **كتاب الرسم** مطبعه عيسى البابي الحلبي مصر ١٩٨٤ .

- محمد أطفيش **شرح النيل وشفاء العليل** المطبعة السلفيه القاهرة ١٣٤٣.

- محمد أطفيش **جامع الشمل** دار الجيل بيروت .

- محمد أطفيش **شامل الاصل والفرع** ١٩٨٤ .

- محمد أطفيش **وفاء الضمانه** بأداء الامانه في فن الحديث الطبعه الثانيه ١٩٨٨ .

- محمد أطفيش **الجنه في وصف الجنة** وزاره الثقافه مسقط .

- محمد أطفيش **شرح لاميه الافعال** وزارة الثقافه مسقط .

- محمد ابراهيم شريف **بحوث في تفسير القرآن الكريم وتاريخه - اتجاهاته - مناهجه** الطبعة الثانيه ١٩٨٦م.

- محمد حسن **الامام الشوكاني مفسراً** دار الشروق للنشر بيروت ١٤٠١ هـ .

- محمد حسن عواد **تناوب حروف الجر** دار الفرقان للنشر عمان .

- محمد الحسناوي **الفاصله في القرآن** المكتب الاسلامي دار عمّار عمان - الاردن ١٩٨٦.

- محمد حسين الذهبي **- التفسير والمفسرون** دار أحياء التراث بيروت .

- محمد الذهبي **الاتجاهات المنحرفه في تفسير القرآن** . دار الاعتصام الطبعه الثانيه ١٩٧٨م.

- محمد الذهبي **الاسرائيليات في التفسير والحديث مكتبه** وهبه القاهره ١٩٩٠ .

محمد الخضر حسين **بلاغة القرآن** جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٩٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **دراسات في العربيه وتاريخها** الكتاب الاسلامي دمشق الطبعه الثانيه ١٩٦٠.

- محمد رشيد رضا **تفسير المنار** الهيئه المصريه العامه للكتاب مصر ١٩٧٢ .

- محمد أبو زهره **أصول الفقه** دار الفكر القاهره ١٩٥٧ .

- **محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهيه جمعيه الدراسات الاسلاميه** مطبعه المدني بدون تاريخ .

- محمد بن شامس البطاشي **سلاسل في الأصول والفروع والادب** وزارة التراث القومي سلطنة عُمان .

- محمد صالح الجابري **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين** بتونس الدار العربية للكتاب ١٩٨٣.

- محمد الظاهر عاشور **التحرير والتنوير** الدار التونسيه للنشر تونس بدون تاريخ .

- محمد فؤاد عبد الباقي **المعجم المفهرس لالفاظ القرآن** دار الفيحاء .

- محمد الفاضل بن عاشور **التفسير ورجاله** دار الكتب الشرقيه تونس ١٩٧٢ .

- محمد عبد العظيم الزرقاني **مناهل العرفان في علوم القرآن** دار احياء الكتب العربيه القاهره الطبعة الثالثه.

- محمد عبدالله دراز **النبأ العظيم** دار القلم الكويت الطبعه الثانيه ١٩٧٠ .

- محمد علي **دبوز تاريخ المغرب الكبير** دار أحياء الكتب القاهره ١٩٦٤.

- محمد عماره **تيارات الفكر الاسلامي** دار المستقبل العربي الطبعه الاولى ١٩٨٣.

- محمد عيسى موسى **الاباضيه في اعمال المستشرق البولوني تادوز ليفيكي** مجله عالم الكتب السعوديه عدد ١/رجب ١٤٠٤ هـ .

- محمد محمد أبو شهبه ٢٢٢ **الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير** مكتبة السنه القاهره الطبعه الرابعه ١٤٠٨ هـ .

- محمد محمد مخلوف ٢٢٣ شجرة **النور الزكيه** في طبقات المالكيه دار الكتاب العربي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت محمد ناصر الدين الالباني ٢٢٤ **سلسلة الاحاديث الضعيفه والموضوعيه** المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٩ هـ .

- **صحيح الجامع الصغير** المكتب الاسلامي الطبعه الثانيه ١٩٧٩ م.

- محي الدين بلتاجي **دراسات في التفسير وأصوله** مكتبه الهلال الطبعة الاولى ١٩٨٧.

- مصطفى ابراهيم المشني **مدرسه التفسير في الاندلس** مؤسسه الرسالة الطبعة الاولى ١٩٨٦

- مصطفى زيد **النسخ في القرآن** دار الفكر.

- مصطفى الصاوى الجويني **منهج الزمخشري في تفسير القرآن** دار المعارف مصر الطبعة الثانية.

- مصطفى الشكعه **إسلام بلا مذاهب** الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧.

- مصطفى محمد الحديدي الطير **اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده الى مشروع التفسير الوسيط** سلسة البحوث الاسلاميه السنه السابعة عدد ١٠، ١٩٧٥.

- مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** تحقيق محي الدين رمضان مؤسسه الرسالة الطبعة الثانية ١٩٨١.

- الملطي ابو الحسين محمد بن أحمد ٣٧٧ **التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع** تعليق محمد زاهد الكوثري مكتبه المثنى بغداد، والمعارف بيروت ١٩٦٨

- ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد **لسان العرب** دار صادر بيروت .

- مهدي المخزومي **مدرسه الكوفه ومنهجها في دراسة النحو** مكتبة البابي الحلي مصر ١٩٥٨.

- الميداني احمد بن محمد **مجمع الامثال** تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم القاهره البابي الحلبي ١٩٧٨.

٤٤٠٢٩٤

- ناصر الدين سعدوني بوعبدلي **الجزائر في التاريخ** العثماني دار الثقافه الجزائر ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن النديم محمد بن اسحاق ٣٨٥ **الفهرست** تحقيق ناصر عباس عثمان دار قطري بن الفجاءه الطبعة الاولى ١٨٥.

- النسائي **سنن النسائي** بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي دار احياء التراث العربي بيروت .

- النووي ابو زكريا يحي شرف الدين **صحيح مسلم بشرح النووي** دار احياء التراث العربي ١٩٨٤.

- نور الدين العتر **منهج النقد في علوم الحديث** دار الفكر دمشق ١٩٨١.

- النيسابوري نضام الدين الحسن بن محمد **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** دار الجيل بيروت على هامش تفسير الطبري .

- **أسباب النزول** دار الكتب العلميه بيروت ١٩٧٨.

- ابن هشام ابي محمد عبدالله جمال الدين ٧٦١ **مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب** تحقيق ومازن المبارك ومحمد على حمدالله دار الفكر الطبعه الثالثه ١٩٧٢.

- **أوضح المسالك الى الفيه ابن مالك** محمد محي الدين عبد الحميد دار احياء التراث العربي الطبعة الخامسه ١٩٦٦ .

- أبو هلال العسكري **الفروق في اللغة** دار الآفاق الطبعه الثالثه بيروت ١٩٨٣.

- هنري ماسيّه مستشرق **الاسلام** ترجمه بهيج شعبان ، منشورات عويدات الطبعه الاولى ١٩٦٠.

- هود بن محكم الهواري (القرن الثالث) **تفسير كتاب الله العزيز** تحقيق وتعليق بالحاج بن سعيد شريفي دار الغرب الاسلامي بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٠.

- الهيثمي أحمد بن مجر ٩٧٤ **الصواعق المحرقه في الرد على أهل البدع والزندقه** مكتبة الحقيقه ١٩٩٠ .

- وهبه الزحيلي **الفقه الاسلامي وادلته** دار الفكر دمشق ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ياقوت الحموي ابو عبدالله **معجم البلدان** دار صادر بيروت دون تاريخ .

- يحي بن سلام **التصاريف تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه** تحقيق هند شلبي الشركة التونسية للتوزيع .

- يحي هويدي **تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية** مكتبة النهضة .

- يوسف عبد الرحمن الفِرت **القرطبي المفسر سيره ومنهج** دار القلم الكويت الطبعه الاولى ١٩٨٢ .

- يوسف الورجلاني ابي يعقوب **الدليل والبرهان** تحقيق الشيخ سالم الحارثي سلطنة عُمان .

- يوليوس فلهوزن (مستشرق) **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام** الخوارج والشيعه ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The style of :

Al - sheikh Mohammad Itfeish in his explanation " Tayseer Al - Taf sir"

prepared by :

Monhammad Mustafa Al- Khawaja supervised by :

Dr. Ahmad Fareed .

The style of AL-Sheikh Mohammad Itfeish is a scientific, methodical syudy of the life of one of explanation figures in the thirteenth and fourteenth H.centuries.

1- His book of explanation is called " Tayseer AL-Tafsir " .

This study gave an outhined idea about the sheikh's belief, who belongs to the abadhieh school . It aimed to explain the main outlines from the beginning through his a bstract methodical point of view .

This study revealed important sides of AL-Sheikh's life which gave more information about him , his character , his morals, his writings, and what he did of thoughtful works, educational and struggler for serving his relegion and belief.

It contained an outlined show of AL-Abadhieh explanations along their history up till now; and gave more information about it, its authors and the way they dealt with " Kuran" in explanation and clarification.

It tried to show the trend which the classifier of this explana-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

tion followed, the style he accepted, and to know his position through the two types of explanation : preferable and reasonable, and the trial to combine them. The major characteristic of AL-Sheikh's method is inspection and the broadness of matters he discussed.

This study revealed also the effect upon him of those explainers who preceeded him . How he dealt with them, what are the mistakes which were recorded against him and what are the fields which he surpassed in .

This study concentrated on the thoughtful rule which he started from , in treating all the matters which he dealt , and to liberate his opinious, and the extent of his dependence upon the context of the Holy Kuran .

This study ended that the sheikh is a collective explainer, a critic man of letters, a rebellious politician, a social reformer and a convertor for his belief that didn't make him sometimes a complete objective .

His explanation indicates his wide knowledge and the depth of his knowledge in different sciences.

In spite of that his style in writing was not easy to be read regarding the content and shape.

It doesn't fit different levels of readers . The class that can get use of that , are those who are specialized in this field .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit